

الكتاب العربي السعودي ٣٣

أحمد السباعي

الطبعة الثانية
١٤٠١هـ - ١٩٨١م



الكتاب العربي السعودي ٣٣

أحمد السباعي

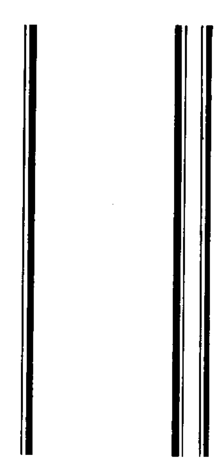
قال وقلت

الطبعة الثانية
١٤٠١ - ١٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم



الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤



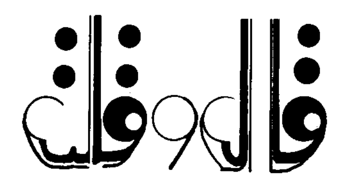
قال وقلت لصاحبي !!

افتسألني من هو صاحبي ؟

ـ هو كل من صادفني في بحث او اثارني لنقاش

وربما تخيلته كما عاش الشعراء قبلي يتخيلون من يسألهم عن الدمن والاطلال وعن مسيرة الدرب !!

انه يسألني عن رأيي في كثير من دروب الحياة وأنا لا أرى ضيراً في الافصاح عما أراه . ولغيري ان يخالفني الى مارآه !!





الجزء الأول



أيخاصمون من أجل مبدأ ؟

قال صاحبي : السنا نزعم ان الانسان بعد مسيرته الطويلة في الحياة اخذ يتحضر ويباهى بما حقق في مراتب المدنية فما باله بعد كل هذا يتعامل اليوم بادنى ما عرف من معاني الوحشية ؟؟

قلت : هو ذاك لقد كان ينازل خصمه بالحجر أو الحديد ، أو الخشب ، في وحشية بالغة لأن ذهنيته الضيقة لا تتسع لفهم خصمه ، ولان خلافه مع الخصم لم يكن خلافا على رأي ، أو عقيدة بقدر ما كان خلافا على الغنيمة .. ليشبع جوعته ، أو المرأة ليطفئ لوعته على نحو ما الفت الوحوش في غاباتها .

لقد كان هذا مقبولا يوم كانت الطبائع جلفة لم تهذبها الحياة ، ولم تصقل مواهبها والجلف لا يبالي في سبيل انتصاره أن يدوس في شخصك كل مكرمات الحياة لأنه لا يخاصمك اذ يخاصمك دفاعاً عن رأي ، بل بدافع من حقد طاغ ، وشهوة عارمة ، واعصاب تتوتر في غير منطق .

ولكن هذا الانسان الذي ساير مئات الحضارات عبر التاريخ ، وشذبت طباعه ملايين الاحداث ، واستطاع أن يسمو بمعنويته فوق كل ما عرف من مدنيات فوق الارض .. هذا الانسان الذي تحدثك ثقافته العلمية عن ارقى النظريات الاخلاقية من العيب ان يسلك في معاملة مخالفيه ارخص المعاملات السلوكية ، وادناها الى وحش الغاب .

لقد دار في ذهني قبل اليوم ما دار في ذهنك اليوم . فلم أجد ما أعلل به جموده على هذه الوحشية التي كان يتعامل بها قبل مئات الأجيال

اخشى أن يكون الخلاف اليوم خلافا على حب البقاء ، خلافا على شهوة السيطرة ! فكان لا بد له أن يصطدم ببقاء اخر لا يقل عنه شهوة وحبا في السيطرة !

ما يمنع الناس ان يختلفوا على المبادئ الفكرية دون أن يبالغ كل مخالف في تقدير ما انتهت اليه فلسفته الخاصة اذا كان مخلصا بحق لمبدئه لا لشخصه والغريب فيما نسمع اليوم ان من قومنا خارج حدود الجزيرة من اغوتهم بعض المذاهب المتطرفة فلم يكفهم أن يقفوا بهذا عند حدود أنفسهم بل راحوا يفرضون غوايتهم على غيرهم بالحديد والنار .. في انفعال حاقد ، وشهوة عارمة ، وهم اليوم يأبون الا ان يثبتوا وجودهم في تحكم واستعلاء ، وهم رغم هذا لم يستطيعوا الى هذه اللحظة ان يقدموا من تعاليم فلسفتهم الفكرية ما يحقق سعادة الحياة ، بقدر ما قدموا عن شهواتهم في السيطرة .

ايقال بعد هذا انهم يخاصمون من أجل مبدأ ؟

لقد عاشت المبادئ مظلومة في كل أدوار التاريخ .. وعاش البشر يتنازعون تحت رايتها افكا وبهتانا كما كانوا يتنازعون في الغاب قبل أن تصقلهم المدنية وتهذب طباعهم فالى متى ؟؟



انطلاقة الصحف

قال صاحبي : ألا تؤمل لصحافتنا ان تبلغ في أحد الايام مبلغ غيرها من الصحف العالمية واسعة الانتشار فتتوسع في تعليقاتها واخبارها وتتصدى لسائر الحوادث الداخلية والخارجية بصورة تشبع نهم القارئ المتطلع ؟

قلت : وما يمنعني ان أؤمل هذا ونحن على أبواب نهضه عامه وفي رأيى أن من الانصاف أن لا ننسى أن صحافتنا لا تزال وليدة أعوام لا تقاس بغيرها اذا عن لك استقصاء القياس ، وهي الى هذا صنيعه القارئ المتهم !! كما هي صنيعة التاجر المودرن الذي يحبس ثلث رأس المال على الدعاية والاعلان وهو يعرف مدى أثر ما تفعل الدعاية والاعلان .

ان الأمم التي بلغت اليوم أوج حضارتها لا يعرف الفرد فيها كيف يصافح مائدة افطاره قبل ان يقرأ أهم أخبار الصحف ولا يعرف التاجر معنى للرواج قبل أن يبذل المئات أو الألوف في سبيل الدعاية لها والصحف مع هذا تصدر في مجتمعات وأوساط يتجاوز احصاؤها عشرات الملايين أو مئاتها فاذا اعطيتني مثل هذه الأوساط الواسعة وهيأت لي من افرادها من ليس بينهم من يستغنى عن تتبع الصحف مهما ضعف شأنه وأقنعت بيوت المال بفوائد البذل في سبيل الاعلان فثق اني سأضمن لصحافتك نتائج تجارى نظائرها في أرقى بلاد العالم .

لقد قرأت عن صحيفة عادية ذكروا أنها توزع يوميا ١٣٠ الف نسخة ومنها تستطيع أن تقدر عدد سكان المنطقة كما ذكروا أن دخلها من بند الاعلانات التجارية يوازي مائة ضعف بالنسبة لحصيلتها من البيع فما يمنع مثل هذه الصحيفة أن تنفق عن سعة في سبيل اعدادها ٠

ذكروا أن هذه الصحيفة تستخدم ثلاثة مخبرين لتغطية أخبار الحكومة في المدينة ، وثلاثة مخبرين لتغطية أخبار الحكومة والمدارس فى الضواحي ، ومخبرا لتغطية أنباء المدارس والكليات في المدن ، ومخبرا لاخبار المحاكم العليا ، وآخر لاخبار المحاكم العامة ، وثلاثة مخبرين لتغطية نشاط الشرطة ، وستة مخبرين للرياضة ، ومخبر للشئون الدينية ، وخمسة لتغطية أنباء المجتمع والسيدات ، ومخبرين للمزارع ومثلهما للموسيقى ، ومثلهما للمسارح ، ومخبرا للانباء المالية ، وعدة مخبرين يعهد اليهم بمهام عامة ومثلهم يتولون الاعداد الخاصة وأعداد أيام الأحاد ، وستة مصورين .

من هذا ترى أن بند المنصرفات بند واسع ومنه تعلم دون شك ان مثل هذه المنصرفات لا يغطيها الا دخل أوسع ، وان هذا الدخل الواسع يعتمد كل الاعتماد على القارئ النهم الذي باتت الصحيفة جزءا من حياته كما يعتمد بيوت المال التي تفهم قيمة الاعلان واثره الحيوي في رواج سلعته .

لا يجب يا صاحبي أن تستعجل الأمر فانطلاقتنا في الحياة لا تزال جديدة ولقد مرت الأمم الصاعدة قبلنا بمثل ما نمر به اليوم حتى انتهت الى غايتها وانت اذا بدالك ان تقيس خطوتنا بالنسبة الى من تقدمنا على الدرب ستجد فى مداها الواسع ما يطمئنك على مستقبلنا وحسبك تأكيدا ما تشاهده من انتشار المدارس هذا الانتشار الواسع الذي عم المملكة من أقصاها الى أقصاها وفى هذا أفضل ركيزة للبناء الشامخ .

مُنظّمات الشّباب الدّولية

قال صاحبي : يبدو أن شبابنا قصر نشاطه في اكثر الأحوال على ميدان كرة القدم فهل نسي أن في الحياة من ميادين النشاط عشرات وعشرات يستطيع أن يوزع اتجاهاته بينها ..

قلت : ان من أطراف ما قرأت عن نشاطات الشباب في السنوات الأخيرة برامج الشباب الدولية . هناك منظمات في أوربا وأمريكا وبعض بلاد الشرق تتبادل الزيارات بشكل منظم ، فقد نشر أن نحو عشرين ألف طالب أمريكي غادر بلاده في السنوات الأخيرة ضمن اطار هذه البرامج ، وأكثر من ١٥ ألف أوربي أرتحل في سبيل هذه الغاية ...

انهم يسافرون في كل صيف جماعات تتكون كل جماعة من عشرة الى عشرين شخصا تتراوح أعمارهم بين ١٦ الى عشرين سنة الى مختلف البلدان التي يشملها البرامج في الأمريكتين وآسيا وافريقيا وأوربا حيث يجرى توزيعهم تحت اشراف منظماتهم على العائلات في البلاد المضيفة ، يعيش أحدهم ابنأ لعائلة لمدة شهر يختلط بهم ويعاونهم ويشارك مشاركة فعالة في أعمالهم حتى اذا عاد طلب الى العائلة المضيفة انتداب أحد أبنائها الشباب لزيارته في بلدته حيث يختلط بدوره بعادات جديدة ويشارك في سائر أنواع العمل الذي يزاولونه .

ان الزائر الشاب طبقاً لبرامج هذه المنظمات يقاسم العائلة التي تضيفه طعامها

وشرابها ويخالطها فيتعلم لغتها ويدرس أفكارها ويتعرف مفاهيمها في الحياة ووسائل عيشها ، وربما اختصرت بعض المنظمات برامجها على بلادها فندبت من شباب المدن أفرادا ينزلون ضيوفاً على الأرياف يتوزعون بين العائلات يعايشون أهلها ويختلطون بأعمالهم فى الزراعة والتسويق وسائر أنواع العمل في الريف كما يندبون في الوقت نفسه من شباب الريف من ينزلون ضيوفاً على عائلات المدينة .. ينزل الضيف على بيت العائلة كفرد منها تتبناه العائلة الى مدته المقررة وتبيحه أن يشارك في أعمالها في المدينة وتطلعه على جميع النشاطات حولها لتستقيم له فكرة عامة عن حياة المدينة وألوان نشاطها في كثير من المرافق العامة ..

كتب أحد هؤلاء الشباب بعد أن انتهت ضيافته في احدى المدن الفقيرة يقول : لقد تفتحت عيناي على أشياء عديدة كنت لا أفهمها . تعلمت ما هو الفقر الحقيقي وتحسست حرارة الشخصية الانسانية من خلال عيشى ضيفا في عائلة مزارعة وبدأت أفهم لوناً من الثقافة مختلفة التوجيه عن كل ما أعرف ..

وتوسعت بعض هذه المنظمات في برامجها فشكلت لجنة للخدمات الاجتماعية والمساعدات العملية تهيىء رحلاتها في مخيمات تتوزع في أطراف البلاد التي تعين خدمتها فيشارك أعضاؤها فى الأعمال العامة فى بناء البيوت أو الجسور أو اصلاح الشوارع .

فما يمنع شبابنا أن تكون له منظمات على مثل هذا المنوال تستطيع أن تبدأ نشاطها في شهور الاجازة بين المدن والأرياف يتبادلون الزيارات بشكل منظم فينزل الريفي ضيفاً على بيت في المدينة كما ينزل المدني ضيفاً على بيت في الريف ..

يشاركون في أعمال لا يعرفونها ويخالطون حياة يجهلونها ..

انه أسلوب عملي ينشط الدورة الدموية ويوسع مفاهيم الشاب ..

كيف يكون الحجّ عظيم الأثر !!

قال صاحبي : ألا ترى أننا معشر المسلمين ننسى كثيرا من المعاني السامية للحج ، ونكتفي بأعماله الحركية .

قلت : بلى وذلك شأننا في أكثر فروضنا الدينية فنحن نؤديها اعمالا حركية وننسى أنها لا تكون صحيحة الا اذا تعاملنا بما توحيه معانيها من سمو !!

واذا كان موضوعنا اليوم الحج فليس الحج طقوسا مؤداة ننتهي منها الى الظفر بلقب الحاج . بقدر ما هو تعارف وتقارب وتضامن !

انه عيد يجمع المسلم في اقاصي الشرق ، بالمسلم في أقاصي الغرب ، بالمسلم في أطراف الشمال ، بالمسلم في أبعد الجنوب ، يجمعهم على اختلاف ألسنتهم ، وألوانهم . ليتبادلوا الرأي في شؤونهم ويتعرفوا أحوال أقطارهم ، ويطلعوا على أحدث ما حدث بين أممهم فيتفقوا على ما يصلح أمورهم ، ويتضامنوا على ما يؤيد دعوتهم .

وان ننس فلا ننس أن الشريعة الاسلامية وهي تتمسك باللغة العربية في تلاوة القرآن واقام الصلاة كانت ترمى الى البعيد في سياق هذا الصدد .. ترمى الى اشاعة هذه اللغة بين أجناس المسلمين لتحيا اللغة كواسطة عقد يجمع الصيني ، الى الهندي الى قبائل الهوسه في أدغال أفريقيا .

حتى اذا جمعهم جامع في مثل مناسبة الحج وجدوا سبيلهم هينا الى المفاهمة ، وتبادل الآراء ، وتوحيد الكلمة على منوال موحد يتضامنون في اطاره ويتعاونون.

هو ذا جوهر الشريعة ننساه وربما عنينا أكثر ما عنيْنا بالظاهرة الحركية حتى انتهى أمرنا الى ما نعانيه من فرقه وما نقاسيه من تأخر .

ونحن نشهد اليوم أكثر حجاجنا يهبطون هذا البلد المقدس على أمل أن يقدسوا منسكهم وهي طاعة نتمنى الى الله أن يغدقها بفيض نعمته .. ولكنها طاعه كم تكون عظيمة الاثر لو عرفنا كيف نجعلها تتسع لحكمة التضامن الاسلامي في ظل بيته العظيم .

كم تكون هذه الطاعة عظيمة الأثر اذا عرفنا كيف نتصافح متحابين ونتعامل متوادين . فلا نغبن ، ولا نماكس ، ولا نشاكس .

كم تكون هذه الطاعه عظيمة اذا عرف مواطنونا حقوق ضيوفهم من الكرامه والاكرام وعرف الحجاج واجبهم من دماثه الخلق ولين الجانب .

كم تكون هذه الطاعة عظيمة اذا مشى الأبيض الى الأسود ، والأصفر الى الأسمر ليسأله الرأي ، ويناقشه الأحداث ، ويضع يده في يده ايمانا بالوحدة ، وتعزيزاً للتضافر ، وتوكيداً للتضامن في ظل الاسلام .



هل آن أوان الحساب ؟

قال صاحبي : إننا نعاصر اليوم أمما تتحدى الحياة . وتواجه أهوالها ، فلا تلبث أن تتحكم في مقدراتها . فما معنى أن نعيش على فتات موائد هم ؟

قلت : انه مرضنا الاجتماعي الذي عاش يفت في سواعدنا .. فنحن نمتطي السيارة الى اقص مسافاتنا الشاسعة دون أن نشغل أذهاننا بالوسيلة التي بنيت عليها فكرة السيارة ، ونحن نطوى مئات الأميال أو ألوفها على جهاز طائر بين السماء والسحاب دون أن نناقش أسلوب الجهاز الذي شارك الطيور في سمائها واستطاع أن ينقل حمله الثقيل الى أقصى بقعة في الأرض ، ونحن ننتفع بالوف الأجهزة في سائر مرافقنا الحيوية . ابتداء من ومضة المصباح الى نبضة اللاسلكي الى ذبذبه التلفزيون الى غير هذا وذاك ..

ننتفع بكل ذلك في كسل ممتع دون أن تلح علينا ضمائرنا في ضرورة المشاركة لنبدع كما يبدعون أو نبتكر لحياتنا ما يغير تقاليدها ويدفع بها لتشارك الأمم الحية في مضمار التجديد .

ان أدنى ما ينقصنا لنعايش الأمم التي نحيا على فتات موائدها أن ننس الخصائص الفكرية التي ولدنا بها ، وأن نتشجع فنصنع لذواتنا خصائص فكرية جديدة قابلة للتطوير ان التحديات التي باتت تواجهنا بها الحياة الجديدة لا

يصح أن نستسهل مصاعبها أو ننام ونسترخي أمام مآتيها فذلك أقصى ما يؤكد خسارتنا ويحقق فشلنا .

أن أمم الشرق قاطبة أثبتت الى اليوم عجزها عن مسايرة ما جد في حياتها .. ذلك لأنها أستنامت لخصائصها النفسية التي ولدت بها وأستروحت الراحة في ظل مااخترعت لها الأمم الحية من وسائل التقدم ولا يضمن لها القدرة على مماشاة الحياة ومجاراة السائرين في مناكبها الا أن تأنف طعام فتات الموائد وتجاهد في سبيل أن تثبت غناها بما تبتكر في مجال التقنين فلا تشترى أسطوانة الأجنبي الا اذا وافق ان يبيعه من صنفها جهازاً كامل المعدات .

لقد مرت بالشرق ومرت بامة العرب عهود كانت تملى فيها علومها وآراءها ومبتكراتها على كل متطلع الى تجاربها فما بالها اليوم تنسى أمجادها وتستنيم لسؤال عود الكبريت والابرة وريشة القلم ؟؟

لقد صنعت نفسها دون شك يوم صنعتها وفرضت ذاتيتها يوم فرضتها وأكبر ظني أنه لو تهيأ لها اليوم ان تحاسب نفسها بالمقاييس التي كانت تعتمدها معياراً للحياة الصحيحة لثبت لها مقدار الخسارة التي منيت بها في عصرها الحاضر .. فهل آن أوانها لتناقش نفسها الحساب ؟



تيار الحياة لا يصيخ لنقاش

قال صاحبي : مررت اليوم بكسارة ميكانيكية في أحد جبالنا الشامخة تؤدي عملها بشكل جبار يفصل الصخور ، ويطعن الاحجار فتداعت الأفكار في رأسي : ترى كم عامل استغنى عنه صاحب هذه الكسارة وتركه لا يجد عملا ؟

قلت : انها فكرة اذا اتخذتها مقياساً هدمت الحياة ، وحطمت عجلة التطور ، وعشت في أول كهف يصادفك كما عاش اجدادك يوم نشأت الحياة .

تستطيع أن تطبق اراءك على أحدث الألات الزراعية فتلغيها ، وعلى وسائل المواصلات بأنواعها فتمحوها ، وعلى سائر بيوت الصناعة الميكانيكية فتهدمها .. لتجد اليد العاملة في رأيك ميدانها واسعاً ، ولا تنس بعد هذا أو قبله أن شئت أن تمنع الات الطباعة أن تدور ليجد النساخون والمسودون سبيلهم الى الارتزاق .
سلام على الوف الكتب وملايين الصحف والمجلات والنشرات وفي هذا سلام على الثقافة في أوسع مجالاتها التي تلفظها المطابع مع طلوع كل شمس لتغذى عقولنا بالكثير الذي ليس له مدى.

أنا لا أستبعد وجود أفراد مهما قلوا يعيشون على مثل هذه الأفكار .. ولكن تيار الحياة في طريقه لا يبالي بالأخذ والرد .

لا .. لا يا صاحبي ليس لك أن تفلسف معطيات الحياة على هذا النحو الجامد .. ليس لك أن تجدف على الكسارة أو الآلة مهما كان نوعها والا كان على جدك أن يلعن الأزميل والرفش لأن آباءه كانوا لا يعرفونه قبل أن تتطور بهم الحياة ..

ثق أن تيار الحياة لا يعرف الفلسفة ، ولا يصيخ لنقاش فحذار أن تقف في مجراه صلداً يابساً أو تعرض نفسك لاعصاره الجبار.



مَاذا عِنْدَهُم ؟؟

قال صاحبي : يسألني عن أروع ما لفت نظري في رحلاتي الى أوربا وأمريكا .

قلت : أهم ما لفت نظري أنهم أقوام تعودوا النظر الى البعيد . هم يحتفون بمصالحهم حفاوة بالغة الأثر وفي سبيل هذه الحفاوة يعرفون كيف يحسنون التعامل فيما بينهم وبين مواطنيهم وبينهم وبين سائر من يعاملهم من الأجانب والغرباء في أساليب ربما حسبتها أثرا كنتيجة للنظر البعيد لا أكثر !!

فمصالحهم وأرباحهم وكل مقومات نجاحهم تعتمد في أهم ما تعتمد على كياستهم وحسن تعاملهم .

وأحسب أنهم بمرور الأيام وتحت ضغط مصالحهم انطبعوا بطابع الكياسة في التعامل فباتت جزءاً من حياتهم فأنت لا تتفق مع أحدهم على موعد الا وجدته حريصاً يحسب له الدقيقة والثانية ، وأنت لا تعقد معه صفقة الا تسلمتها نظيفة قل أن يشوبها شائب ، ولا تبتاع سلعه الا وجدت ثمنا مقدراً محدوداً لا يغتالك فيه سعر !!

قل أن تجد البائع الذي تساومه وتحاوره فاذا ثمن السلعة يهبط الى النصف أو الثلث اذا طالت المماحكة ذلك لأن لسمعته حقا لا يصح ان يغفله فيسيء بذلك الى مصالحه .

وأنا عندما أقول انهم انطبعوا على حسن التعامل في أكثر أعمالهم اليومية فاني أعني ذلك بمعناه فانت لا تجدهم مجتمعين في مقر تجاري أو أمام أحد مكاتب المسؤولين في ادارة رسمية أو مؤسسة أهلية الا رأيتهم ينتظمون في صف طويل يأخذ فيه الشخص منهم دوره في نظام مقدر لا يسبق غيره ولا يزاحمه ، أو يتقدم عليه وربما طال الحديث بين المسؤول وأحد مراجعيه وأنت الى جوار المراجع في سبيل أمر هام فليس لك أن تنبس بحرف يقطع حديثهما مهما طال الحديث ومهما أستغرقك الوقت !!

عليك أن تحترم دور غيرك وأن تعطيه فرصته في غير تشويش

لا أنكر أن لكل شعب حسناته وسيئاته ، وان لبلاد الشرق من الحسنات ما يصح أن يزدهي بها ولكن كثيرا من أوساطنا لا تحسن الا تيكت الناجح في سبيل مصالحها .

انها أولى من يبيع في نظافه ، ويشتري في غير مماحكه ، ويعقد صفقاته بكلمة محترمة ، وموعد صادق ، واساليب شريفة تبنى سمعتها بين أمم العالم وتضمن لها مركزاً له قيمته الرفيعة .



كيف نقضي عُطلتنا ؟

قال صاحبي : والآن وقد عادت العطلة الصيفية ستعود التساؤلات اياها عن فراغ العطلة وكيف يقضيها شبابنا .

قلت : لقد قرأت عن بلد أوروبي خبراً مؤداه ان اتحاد الطلبة قرر قبل حلول الصيف أن يستفيد الطلبة سياحياً من شهور عطلتهم فقرر تنظيم الراغبين منهم في مجموعات يتراوح عدد أفراد المجموعة من عشرين شخصا .. تنطلق المجموعة بكامل أفرادها وخيامها ومعداتها في صورة لا تختلف عن نظام الكشافة فتبدأ سياحتها الى بلد أو أكثر خارج القطر وتنطلق غيرها الى بلاد أخرى في آسيا أو أفريقيا أو جنوب أمريكا بشكل لا ترهقه النفقات فخيامهم مهيأة للنزول في أي بلد يختارون وهم يتعاونون أينما نزلوا على اعداد طعامهم بأيديهم عدا ما ينتظرون من مساعدة البلاد التي يهبطونها كضيوف رحل وهم بهذا يتعرفون الى بلاد يجهلونها ويدرسون تقاليدها وعاداتها وأخلاقها . عدا ما يتمتعون به من مناظر خلابة ومشاهدات رائعة وتجارب واسعة فلو فكر المهيمنون على شبابنا في المملكة في مثل هذا الرأي ودرسوا تفاصيله وما يمكن تطبيقه على ضوء حياتنا لاستطاعوا أن ينتهوا الى نتائج تهئ لهم معارف واسعة واحتكاكا نافعاً وتسلية مفيدة في أسلوب نشيط .

في استطاعة فريق من الأساتذة أن يدرسوا الفكرة فينطلق كل منهم على رأس مجموعة من طلبته ليبدأ سياحته بهم لا أقول خارج حدودنا الى قارات نائية فحسبنا بلادنا الشاسعة فنتفرق فيهااوزاعاً ندرس طرقهاوجبالهاوواحاتها ومناطق الاثار فيها ومنازل البدو الرحل من فيافيها نختلط بهم وندرس أسلوب حياتهم ونتعرف الى تقاليدهم فنقضي بذلك أكثر أيام العطلة في حياة حركية وعيش لذيذ متجدد !!

وسوف لا نتكلف في سبيل هذا انفاقا مرهقا اذا أعددنا خيامنا وتعاونا على اعداد الطعام بأيدينا واستعنا بتبرعات أثريائنا وهم كثر وعرفنا كيف نعيش رحلتنا بأسلوب الكشاف الذي يرى متعته في الانطلاق والتقشف .



مَزيداً مِن العناية بالبَدوي في خيمته

قال صاحبي : ما ذكاء يثير الدهشة الاحظه في هذا الاعرابي القبيلي الذي يحمل الى بيتنا الماء .

قلت : انها خلة أصيلة كدنا أن نفقدها في اعرابنا الاقحاح فقد عشنا دهراً طويلا نهملهم ونتركهم للفاقة والجهل ولكننا اليوم وقد شرعنا نبني لهم المدارس في قراهم البعيدة وأحيائهم القاصية ، وبين لحاف جبالهم .. ونندب لهم خبراء الشؤون الاجتماعية والزراعية ، واخصائي الصحة العامة فسترى كيف يعقد المستقبل عليهم آماله الواسعة ، ويبنى على كواهلهم ما يرجوه من امجاد .

أنت تعرف مما قرأت عن تاريخ فجر الاسلام ان بدوك هؤلاء كانوا عماد الاسلام ، وكانوا أساطينه الراسخة ، واعلامه الشاهقة .. لقد جندوا امامه الجيوش ، وفتحوا الفتوحات ، واسسوا الممالك ، وتصدروا في ممالكهم الجديدة سائر شؤون الحياة .. سياسية كانت أو عمرانية ، أو اجتماعية ، أو علمية .. لقد نبغ منهم رجال في الفقه ، وسائر علوم الدين ، كما نبغ ، منهم القادة ، والساسة ، وبرز منهم اعلام في الفلسفة ، والطب ، والرياضيات ، وسائر الفنون التي شاعت لعهدهم .. فلم يستعص عليهم مجال ولم يحل دون تفوقهم حائل .

فهل نسينا كل هذا ؟

احسبنا نسيناه يوم نسيناهم ، ونسينا شمائلهم ، وتجاهلنا مواهبهم ، وتركناهم عصوراً طويلة يتمرغون في الجهل والحاجة .

نسينا احياءهم وقراهم ومنازلهم بين القفار الغامرة ، والرمال العاتية .
نسينا واحاتهم المزهرة ، وارباضهم الآهله ، وتركناها للجفاف يحيلها الى هشيم ، ولقسوة الدهر تذروهامع الرياح .

وبعد فهل تنبهنا ؟
يبدو أننا بعد لأى طويل بدأنا نذكرهم .. بدأنا نفهم حقوقهم في الحياة فهذه المدارس التي شرعنا نشيدها بين منازلهم ، وهذه المراكز الجديدة التي شرعنا ننشرها لتعنى بزراعتهم ، وتشرف على أعمالهم الحياتية من صحية الى اجتماعية الى اخر ما هنالك من اختصاصات حيوية ستكون لهم مركز انطلاق جديد ، وستثبت للايام القادمة مبلغ حصافة البدوي وكفاءته ومواهبه الأصيلة .

ومالنا نذهب بعيداً ونحن نرى اليوم طلائع النمو تتهادى في أفنائها بين السهول والوهاد ، ونرى بعض حصادها يفيض ليزاحم المدينة في كفاءاتها .

حيهلا بهذه الطلائع ومزيداً يا قوم من هذه العناية لنمحو أخطاء ما أسلفناه في عهود النسيان !!

نستطيع أن نبني على كواهل قبائلنا

قال صاحبي : ما فكرة يكاد يعتنقها رجال القبائل في باديتنا تجعلهم يستعيبون احتراف المهن بالغ ما بلغت بهم الحاجة .

قلت : لا عجب فيما ترى فالأمر لا يقتصر على بلادك وحدها .. لا ، ولا على عربك وحدهم . ذلك لأن البادين في سائر أقطار العالم كانوا يستعيبون امتهان الحرف قبل أن يتفتق الوعي في البلاد التي تحضرت وتفتق وعي القبائل فيها .

لك ان تطمئن يا صاحبي على مسيرتنا في الحياة بعد أن انتشرت المدارس في الأصقاع البعيدة من بوادينا وبدأت اذهان الصغار من قبائلنا تفهم الحياة على غير النحو الذي كان يفهمه آباؤهم . لطالما حز في النفوس أن يجد الطارئ على بلادنا آفاق العمل المهني مفتوحة على مصراعيها وقل أن يجد من يزاحمه عليها بينما يظل البادون وانصاف المتحضرين مترفعين عن مجاراته فيما يعمل وحتى اذا وجد بين الطارئين من يدفعه اخلاصه الى أن يستعين بأحد هؤلاء المترفعين قوبل في كثير من الأحوال بكثير من الاشمئزاز ولو عقلوا انها فرصة الحياة وانها وسيلة لا لكسب العيش فقط بل لاحلالهم محل الطارئين يرثونهم فيما يمتهنون ، ويخلفونهم في شتى المجالات فلا يلبثون أن يغنوا بلادهم عن الأيدي الأجنبية ويحرزوا لانفسهم مصدرا للرزق ويثبتوا للحياة أن مفاهيمهم تتسع لادراك معاني الحضارة .

أقول طالما حز في النفوس هذا الصدود غير الواعي ولكن آمالنا في التربية الجديدة التي باتت تبثها المدارس بين منازل البدو وأماكنهم البعيدة تفتح أمامنا آفاقاً من الأماني العزيزة .

واذا كان لنا ما نتمناه الى القائمين بأمر هذه المدارس فذلك الا يركزوا جهودهم على تلقين المقررات بحروفها ليكسبوا لطلابهم ما يهيئهم لدرجات الاختبار فذلك مالا ننتظره منهم اننا نترك بين ايديهم خامات صالحة للاعداد والصياغة لا ليفترضوها أوعية يملؤونهابالجمل التقليدية والحروف الميتة بل ليعمدوا الى ارواحها فيلهبوا أحاسيسها ، والى عقولها فيفتحوا مغاليقها ، والى اذهانها فيدربوها لتناقش الحياة في مختلف وجوهها .

اننا نترك بين أيديهم قبائل تجري في عروقهم دماء أصيلة .. تنزع في طبيعتها الى كل أصيل يحقق لها امجاد الكرامة والعز .

وليس بينهم وبين ما تنزع اليه طبائعهم الا أن تعلمهم كيف تكون الكرامة بمعناها الصحيح وكيف السبيل الى ما يشتهونه من عز الحياة وأمجادها .

اننا بهذا نستطيع أن نبنى على كواهلهم لحضارتنا ، ونستطيع بما فطروا عليه من مميزات أن نشيد لبلادنا ما نرجوه لها .



ما أحوجنا إلى ميادين العمل الحر

قال صاحبي : سيتم ابن أخي دراسته في هذا العام وهم يعدون له عملا ممتازاً في احدى وظائف الحكومة فليت الظروف التي ساعدته على هذا النجاح تساعد ابني لأراه في بزته النظيفة غاديا الى عمله الوظيفي آيبأ منه في سمته المحترم .

قلت : ولماذا تحدد أمانيه في الحياة بهذه الصورة المحدودة وأمامه من مجالات العمل ما يتسع لشتى الجهود الناجحة في بيئته التي لا تزال بكراً في نظر المجدين من أصحاب الاذهان المرنة والأفق الواسع .

اننا ونحن نحدد اتجاهاتنا بهذا السبيل السهل من الأعمال الوظيفية نفقد الكثير من جهود شبابنا في المجالات الحرة ونعطي الفرصة واسعة لكل طارىء يبني لنفسه في مجتمعنا ما يضمن له السعادة والثراء والمركز المرموق .

لقد بتنا نتخيل سعادة الحياة في مربوط شهري نتناوله عند كل اهلال شهر دون أن نكبد انفسنا أي مجهود يذكر لبلادنا وليس هذا من غاية الحياة في شيء فالحياة اليوم أوسع آفاقاً مما نتخيل وأبعد آماداً مما نظن .

وبلادنا في خطوتها الجديدة في أشد الحاجة الى كفاءات أبنائها وان يبذلوا نفوسهم في كل مضمار متناسين رفاه الوظيفة وطراوتها .

ليس لنا أن نقول: أين مجالات العمل وأين ميادينه المنتجه؟ فتلك تعلات يتعلل بها محدودو الأفق ممن يطمئنون الى الراحة ويلذ لهم أن ينعموا بأجوائها الحالمة .

ان الأعمال لا تنادينا وليس لها أضواء كاشفة تنير سبيلنا اليها انما هو نداء الأعماق ينادي الطامحين ويستفز أصحاب الامال الواسعة ليستعملوا عقولهم في ابتكار وسيلة يزاحمون بها في الحياة ويختطوا بها طريقا يبنيهم ويحقق امالهم

اعرف شاباً أبتعث لاتمام دراسته في أوربا فلفت نظره ببيت صناعي يجهز نوعا من الادوات المنزلية لها حتى احتال لدراسة الفكرة .

وخالط مهندسيها حتى أختمر الموضوع في رأسه وأصبحت لديه حصيلة صالحة .

واستطاع عندما عاد الى بلاده أن يقنع أحد المتمولين بحيوية الفكرة وان يثبت اخلاصه لانجاحها فقبل أن يمولها كشريك مضارب وهي اليوم صناعة قائمة راجت في أسواقنا رواجاً أثرى من ورائها فتانا وحقق للممول مالا يحلم به من أرباح وأغنى بلادنا عن استيراد أصناف مصنفه من كل ماله علاقة بدواليب المصنع .

ذلك فتى عز عليه أن ينيط أمله بالعمل الوظيفي الرتيب فابعد به الخيال حتى أحتك بالأعمال الحية في دنيا النجاح واحتال حتى أثبت كفاءته .

فلو أباح شبابنا لخيالهم مثل هذا الانطلاق الواسع ولم يربطوا مقدراتهم باحلام العمل الوظيفي لتفتحت أمامهم آفاق وآفاق لا حد لسعتها واستطاعوا أن يحققوا في دنيا النجاح مالا تحققه الوظيفة مهما أتسع مداها .



الإمام الغزالي بين المادة والرُّوح

قال صاحبي : ما أكثر ما اختلف الناس في شأن أئمتهم البارزين في تاريخ الفكر الاسلامي .. ولكن شأنهم فيما يلوح لي مع الامام الغزالي كان يتسع لمدى كبير من المفارقات العجيبة .

قلت : هو ذاك وحسبنا لهذا مثلا ان كتبه لم تنته الى الاندلس حتى كانت سمعته قد سبقته اليها . فضج لها العلماء والفقهاء وبالغوا في اتهامها وحملوا أمير البلاد على حرقها خشية الافساد .. ولكن ما لبث أن تغير الحاكم حتى وجد الأمير الجديد من يؤكد له ضرورة تربية النشء على اخلاق الغزالي فأعاد ما اندثر من كتبه وفرض دراستها في المجامع العامة .

ترى هل كان الغزالي فيلسوفا لا يعتمد في نظرياته الا المحسوسات التي ضللت قبله آلاف المتشككين ؟! أم كان من رجال اليقين الذين اهتدوا بهدى الله ولم يتعسفوا في محاولة ما تقصر عنه معارف البشر وتعجز دونه أفهامهم ؟؟

أمتعقل هو على نحو ما فعل المتعقلون في انتهاجهم نهج فلاسفه اليونان ؟
أم كان متصوفاً يستوحى ما حاوله الصوفية من فيض الالهام ؟ .

ذكر بعض من ترجم له أنه عندما ارهقته شكوكه الفكرية لجأ الى الله مستغيثا فتفتحت أمامه آفاق جديدة رأى نفسه بعدها مشوقا الى الهجرة من بغداد عاصمة

الصراع الفكري يومها ففر منها الى مكة في صحبة بعض الفقراء من المتصوفة بعد أن تزيا بزيهم وعكف بعكوفهم يجاهد نفسه ويغالبها وامتدت هجرته الى بضع سنوات كان يحلو له فيها أن ينفرد بنفسه في القفار الموحشة ويقضي لياليه متبتلا في كهوف ومغارات مظلمة !!

ويترجم له آخرون فلا ينكرون تصوفه ولكنهم يأخذون عليه ما أخذ نفسه به من مغالاة الصوفية ، كما يأخذون عليه أنه في الفترة التي نذر نفسه فيها للرد على فلاسفه الاسلام تكلف من الوان الفلسفه ما شط به عن المأثور بدليل ما جاء في كتابه «تهافت الفلاسفة» من عبارات لا يراها علماء الشريعة .

والواقع الذي يستطيع استنتاجه كل متتبع لما بين ايدينا من تراث الامام الغزالي اذا صح ان تراثه سليم - من تزيد المتزيدين .

الواقع أن متتبع آثار الغزالي يحار في تحقيق ما أخذ الغزالي نفسه به فهو في سياق الفلسفة لا يتقيد كثيراً بما يتقيد به الشرعيون كما أن جولاته في عقائد الصوفيه مدت له في خيالات أوسع مما كان ينبغي !!

قد يعجبك في زهده أنه بدأ بنفسه فنقدها وأعلن أن تدريسه لم يكن خالصا لوجه الله وآلى أن ينقطع عن التدريس حتى تخلص نواياه من الشوائب . ولما عاد الى ما كان بعد لأي قال : كنت انشر العلم الذي به تكسب الحياة واما الآن فادعو الى العلم الذي به .. تترك الحياة !!

ترى كم عالم بيننا يستطيع أن يصارح بأن تدريسه لم يكن لوجه الله !!

لا شك في أن للغزالي رحمه الله أكثر من جانب فليت المعنيين بدراسة رجال الفكر في تاريخ الاسلام يعنون بدراسة أمثاله وتنقية ما تركوا من تراث لتبدو حقائقهم واضحة للعيان .

عَلَيْنَا أنْ نُنَشِّئَهُم عَلَى الاعْتِدَال

قال صاحبي: أرأيت هذا الذي يأبى على ولده الطالب الصغير أن يشارك الصغار ألعابهم ، وأن يخالطهم في لهوهم وجريهم بحجة حاجته الى الدأب على مواصلة الدرس .. فلا يجب في رأيه أن يتخلل الدأب شيء من الاستجمام لان الوقت كما يقول : أثمن من أن يضيع في اللعب .

قلت : اننا في أكثر ماتينا ننسى فضيلة الاعتدال فتذهب جهودنا سدى بين الافراط والتفريط ، ولست أجهل شأن هذا الذي تعنيه فقد رأيته أكثر من مرة يزجر ولده عن مخالطة الصغار اترابه في العابهم ، ويدفع به قسراً الى كراريسه في البيت ليتفرغ لها بكل ما يملك من طاقة .

ولقد قلت له مرة آن هذا الدأب المتتابع الذي تأخذ به طفلك لا يهيئه للانتاج فذهنيته اذا كلت بطول الدأب الذي تفرضه عجزت عن أداء وظيفتها وتعطلت ملكتها فلا بد أن تمنحها فرصة كافية ترخى لها فيها العنان لتبدد سأم العمل الجاد ، وتستأنف حيويتها من جديد .

قلت هذا وأكثر من هذا فما زاد على أن ضحك في سخرية وولى ولم يعقب ، واستمر يأخذ ولده بما يعتقد في غير هواده . وأنا عندما أقول أن جهودنا في كثير من مأتينا تذهب سدى بين الأفراط والتفريط أعنى ما أقول بكل معانيه وفي قصة

الصغير الذي تعنيه وعلاقته بافراط أبيه شاهد مما أقول .

فقد نشأ الأب أمياً محروما من التعليم نتيجة لتفريط والده قبله نشأ الوالد أول ما نشأ في حجر أبيه مدللا فلم يخضع لنظام المدرسة واستثقل تكاليفها فاسلس له أبوه العنان وتركه يقضي حياته عابثاً فلما تكامل ، واستوى عوده ادرك مبلغ ما انتهى اليه التفريط ، وشعر انه خسر الكثير وان الحياة التي واتت غيره من زملاء الحياة قعدت به في مؤخرة الصفوف فترك هذا من رد الفعل في نفسه ماوجد أثره اليوم في صغيره المسكين ·

لقد صور له خياله أن نجاح الحياة رهين بالمثابرة الجادة المتواصلة التي لا تعرف الراحة ولا تتخللها فترات الاستجمام فأخذ صغيره بهذا الجد ، وحرمه حقوقه من عبث الصغار ولعبهم حرمانا تاما .

ولو علم أن العمل الشاق المتواصل لا يقل فشله بحال عن العبث المستهتر ولو أدرك أن التفريط والافراط صنوان لا تختلف نتائج أحدهما عن الآخر في حياة الانسان لا ختط لنفسه وصغيره أسلوبا يميل الى الاعتدال ويؤمن بالتوسط في كل مآتي الحياة .

علموا صغارنا يا قوم كيف يواظبون على واجباتهم ويجاهدون في سبيلها كما تعلمونهم كيف يخالفون بين أوقات الجد بفترات يرخون فيها العنان لأنفسهم ، فيبددون السأم ويقضون على بواعث الكلال الممل وبذلك تضمنون لهم نجاحاً مطرداً في الحياة .



إذا عَوّدْناهم القراءةَ الحُرّة

قال صاحبي : ما بال الكثير من شبابنا لا يتعشق المطالعة الحرة ، ولا يبذل في سبيلها جهدا يذكر .. وهو اذا قرأ لا يقرأ الدسم النافع .. أما أمهات الكتب العربية فقل أن يعرف عنها شيئا يستحق الذكر !!

قلت : انها أحاسيس السن المشبوب لا يصح أن تطالبها لتتعقل عقال الكهل ، وتلتمس الفائدة للفائدة لنفسها كما يعقل امثالك وقد شارف الخمسين !!

انهم في حاجة الى ألوان من سياسة الاغراء وغير قليل من أساليب التشويق خصوصا فيما يتعلق بنفائسنا القديمة .. اترى هذه الكتب التافهة والقصص الرخيصة ؟ أنها تغريهم بما تتفنن من أساليب العرض حتى تربطهم بعجلتها فيسيرون في ركابها وهم يظنون أنها امتع ما يقرأ .. مما يصادف في نفوسهم هوى !!

اننا نستطيع أن نساير هذا الهوى المشبوب الى حد يمكننا ان نحتال عليه فنغريه .. ثم لا نلبث بشيء من التشويق ان نمتلك ناصيته .

ان الأدب العربي القديم مفعم بمئات الكتب التي تقص علينا من الطرائف والقصص العاطفية ما يشوق الشاب لمتابعتها اذا عرفنا كيف نغريه بقراءتها .

ان أول ما يرعى نظره في نفائسنا القديمة غلاف يتراءى أمامه باهتا في لون

الاكفان .. وعهده بالكتب المشوقة يتألق فن الشياطين في أغلفتها بكل ما يملك الشياطين من ألوان الاغراء !!

فاذا نحن حاولناه ليتخطى الغلاف الى ما وراءه من الرائع المستظرف ليدرج من قصة ، الى طرفة ، الى حكمة ، حتى يندمج فإذا اندمج خسره فن الغلاف بكل ما يملك الغلاف من أفانين الشيطنة وكسبته القراءة نفسها .

لا يا صاحبي .. لا يجب أن نغالط انفسنا فنلحى الشباب وحدهم !! اذا اختلط عليهم الطريق .. عليك أن تلحانا الى جانبهم !! ما دمنا لم نقدر جذوة السن المشبوب !! ونعرف كيف نحتال لتوجيه طاقته الموقدة .

اننا بعد أن قنعنا بالغاء العصا شرعنا نتفنن في أساليب التوبيخ والتقريع .. وربما كان فيهما بعض الخير لو قصرناهما على مثل الملح في الطعام وعرفنا مدى السوء كلما بالغنا فيهما !!

لندع كل هذا .. ولنفتح أمامهم الطريق مشوقا ، ونختار لهم من الكتب ما تغريهم طرائفها .. حتى اذا اندمجوا أضفنا غيرها حتى تصبح القراءة هوى لذاتها ، ثم وسيلة للمفيد النافع !!

لقد كنت فتى وكان لا يلذ لي أن أقرأ الا للتسلية والتسلية وحدها في قصص تافهة أو روايات ضاحكة ولكني ماعتمت ان الفت القراءة فرأيتني انتقل من التافه الضحل الى المفيد الخفيف الظل الذي لا يكلفني عنتا في الفهم ثم ما لبثت أن استمرأت القراءة للقراءة ذاتها .. فحاول أن تغرى ابنك بقراءة كل ما يصادف هواه ليستمرىء القراءة .. ومن ثم سيمضي الى نهاية الشوط الذي تتمناه .



أسس الأمويون وشاد العباسيون

قال صاحبي : قرأت فيما قرأت مفاضلة ذكرها التاريخ عن شخص أموي وآخر عباسي .. وقد راعني ما ذكره الأموي عن جهود بني أمية في سبيل الدين .. فقد بلغوا به شأواً بعيداً وانجب عهدهم من فطاحل الاسلام من لا يزال ذكرهم على كل لسان كما راعني خدمتهم للغة العربية حتى استطاعوا تعميمها في جميع الاقطار التي فتحوها وحتى نست هذه الأمم لغاتها الأصلية ، وانطلقت السنتها واقلامها تشايع العرب وتشاركهم لغتهم في شكل موحد !!

قلت : وليس في هذا ما يغمط جهود العباسيين وخدماتهم في سبيل الدين ، واللغة والفتوحات الكبيرة .. وقد لمع في عهدهم من أساطين هذه المجالات من لا يزال ذكرهم ملء السمع والبصر ، كما لمع من أساطين عهدهم الى جانب ذلك رجال خدموا الاسلام واللغة ، وخدموا الحضارة العربية بما نقلوه من ثقافة الحضارات القديمة وفنونهم العلمية .

لا يجب أن ننسى جهود الخليفة المنصور، ومن عقبه الى نهاية عهد الرشيد في سبيل الثقافة ، وما اقتضته ضرورة مدنيتهم من علوم الحضارة وفنونها .

واذا عن لنا ان لا نتقيد بمذاهب العاملين في مجال الحضارة العباسية ، وما شاع من نحلهم وعقائدهم ، واعتبرنا أمجادهم لبنة في صرح بني العباس الشامخ

فيجب ألا ننسى يوحنا بن ماسويه ، وابن المقفع ، والنظام ، وجورجيس بن جبرائيل ، والحجاج بن يوسف بن مطر الوراق الكوفي ، واسحاق بن حنين ، وحنين بن اسحاق ، وثابت بن قره وقسطا بن لوقا وعبد المسيح الحمصى ، ومتى ابن يونس ، ويحيى بن عدى ، ومئات من أمثالهم دأبوا في كنف العباسيين على السهر المتواصل في سبيل العمل الجاد لصرح الحضارة العباسية .

لقد بذل رجال الدين ، واساطين الأدب واللغة في هذا العهد مالا ينسى فضله كما بذل من ذكرت أسماءهم وأمثالهم في سبيل العلوم الحضارية ما يجب أن تعترف بقدره .

وجدوا عصرهم في أشد الحاجة لدراسة الطب وتركيب الأعشاب ، والفلك ، وحركات النجوم ، وطبيعة الاشياء وكيميائها وعلوم الحساب فتوافروا على دراستها في الكتب الفارسية ، والهندية ، واليونانية ، والسريانية ، وترجموا لارسطو وابقراط وأفلاطون وجالنيوس وبطليموس واستطاعوا أن يستقلوا بنتائج ما درسوا واستنبطوا لانفسهم من بين هذه العلوم ما أصبح بعدهم منبعاً ثرياً استفادت منه أوربا وشادت على أساسه ما بهرتنا به نهضتها .

اذن فنحن اذا كنا نذكر للامويين فضل ما اسسوا فعلينا أن نقدر للعباسيين ما شادوا في صرح الاسلام وما هيئوا في سبيل حضارة العالم .



مِن تُرّهاتِ التّاريخ !!

« ١ »

قال صاحبي : ما بئر حفره في مكة خالد بن عبد الله القسرى في عهد بني أمية وساق منه الماء الى المسجد الحرام ليضاهي به زمزم .

قلت : وهل يسوغ لعقلك أن رجلا كخالد القسرى وهو هو المعروف بغيرته على الاسلام ومحارم الاسلام تطاوعه نفسه على هذه السيئة واذا استسغت هذا فهل يتبادر الى ذهنك أن مثله يجرؤ على مثل هذا في بلد حرام يحج اليه مئات الألوف بينهم من لا يحصيه العدد من حماة الاسلام ممن لا تأخذهم لائمة في مجاهرتهم بالحق واستنكارهم لاعمال الباطل مهما كان مصدرها ؟؟

الا تدري أن خالداً هذا بلغ من غيرته لمحارم الله ان أمر في عهده بهدم بعض المنائر عندما بلغه ان بعض المؤذنين كانوا يغازلون فيها .
الا تدري ان خالداً هذا عندما بلغه قول الشاعر .

يا حبذا الموسم من موفد × وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللاتي يزاحمننا × عندا ستلام الحجر الاسود

غضب لهذا أشد الغضب وقال أما أنهن لا يزاحمنك بعد هذا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف واجلس عند كل ركن حرسا معهم السياط فهل

يغضب خالد لغزل المؤذنين فيامر بهدم المنائر ويغضب لاختلاط النساء بالرجال في الطواف فيأمر الحرس ان يعتمدوا سياطهم للتفريق بين الرجال والنساء ثم يجد في نفسه ما يطاوعه على خطيئه كهذه يسيء بها الى قداسة زمزم ويسيء بها الى شعور المسلمين في مواسم تضج بالعلماء والفقهاء ورجال الغيرة من قادة المسلمين ووجهائهم .

نحن لا ننكر أنه احتفر بئراً ساق منه الماء يجري في قصب من رصاص الى فوارة تسكب الماء في فسقيه من رخام جعلها بين زمزم والركن والمقام .

انها ولا شك حسنة اراد بها أن يوسع على الموسم اذا اشتد الزحام على زمزم ويسهل أمر الوضوء لمن ضاق به وقت الوضوء .

علينا أن نتثبت ما نقرأه فقد منى التاريخ في سائر عصوره بأصناف من النقله متزيدين أو معرضين أو دعاة لباطل .



مِن تُرّهات التّاريخ !!

« ٢ »

قال صاحبي : وما أخبار قيلت عن الوليد الخليفة الأموي .

قلت : أفصحت لك فيما أسلفت عن رأيي في بعض نقلة التاريخ ممن شايع الباطل خدمة لأغراضه أو رجاء لمنفعته أو مشايعة للقائمين بالأمر أو ميلا للتندر والفكاهة فتركوا لنا بذلك ارتالا من الأكاذيب احتضنها التاريخ في غفلة من الحياة فباتت محسوبة عليه .

أيصح في حدسك ما يذكره بعض الرواة عن الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك انه أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة .

وهل يدور في خلدك أنه يستفتح بالمصحف فأله؟فتطالعه الاية (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فيعمد الى سهامه يرمي بها المصحف حتى يمزقه وهو يقول .

تهددني بجبار عنيد	نعم أناذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم بعث	فقل يا رب مزقني الوليد

ان انساناً يملك ولو ذرة من عقل لا يستطيع أن يصدق أمثال هذه الروايات عن فجار يجاهرون بعصيانهم ويفخرون فكيف تصدر عن خليفة يحتل الذروة العالية في بيئات تدين بالاسلام ويعرف على ايسر تقدير أنه لا يليق بسياسة

مركزه العظيم ان يجاهر بمثل هذا الكفر الصراح ليترك نقلة الأخبار يشيعونها عنه ويسجلونها عليه .

انها ترهات لا يشك عاقل في أنها كانت تختلق اختلاقا لخدمة الخصوم .. للدعاية السيئة .. لرواج الباطل ، وانها كانت الى ذلك مصادر رزق للنفعيّين .

ذكروا أن الفرزدق سئل مرة (كيف تهجو الحجاج وكنت تمدحه في قصائد عامره فقال : نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه انقلبنا عليه)

هذا هو التلون المقيت الذي منى به التاريخ في مختلف عصوره فأضاع صواب أرجح العقول وبلبل أفكار النقلة والمؤرخين .

اننا في أشد الحاجة الى حصيلة واسعة من الذكاء وملكة جدّ فاحصة ننقد بها كل ما نقرأه فندقق ظروف نقله وحقائق رواته وسائر الملابسات التي هيأت لتسجيله والا فسنظل مرتهنين بالبلبلة والارتباك .



والآن بعد أن استقلت بلاد العرب

قال صاحبي : ما تناحر بين صفوف العرب اشتد أواره كلما اشتدت أزمات الأيام .

قلت : لا يعلم الا الله مقدار ما عانى العرب على اختلاف أقطارهم في سبيل الاستقلال والحرية حتى انتهوا الى ما ظفروا به في أعقاب الحرب الأخيرة وباتوا ناعمين بما ملكوا من مقدراتهم وما نالوا من استقلالهم .

ان أكثر المتناحرين اليوم في أقطار العرب من أصحاب اليمين أو الشمال كانوا من خيرة المجاهدين في ميادين النضال الحر عانوا في سبيل بلادهم مالا يحتمله الا حر مجاهد وقاسوا من أجلها ألوانا من شظف العيش وتعرضوا لاصناف من الأهوال لا يعلم مداها الا الله حتى استطاعوا أن يثبتوا احقيتها في الحياة ، ويؤيدوا مركزها بين العالم المستقل ، ويهيئوها للجلوس في مصاف أمثالها من الأمم الحية .

كان العرب في حقبة سالفة من الدهر لا ينعون على أنفسهم شيئا كما ينعون جهلهم وتخلفهم عن مواكب الحياة فما كادوا يملكون مقد راتهم حتى تزاحمت أقطارهم على منابع العلم ينهلون منها ونشط المخلصون لتعبيد كافة المسالك في

سبيل الظفر بالمكان الذي يليق بشعوبهم ويساعدهم على اعدادها اعداداً له قيمته بين معاصريهم من أمم الأرض .

وفي سبيل الظفر بتلك المكانه تنادوا بالوئام واستطاعوا أن يجمعوا شتاتهم في هيئات اتخذت مكانتها بين هيئات الأمم واستطاعوا ان يرفعوا أصواتهم بين جنباتها وان يدللوا على مبلغ حيويتهم وان يتركوا أثرهم في جميع المحافل التي ترتادها أقوى الأمم واكثرها جدارة بالحياة ؟؟

فهل جـد بعد هذا ما أساء الى كيانهم وزعزع الثقة في مركزهم الجديد بين مصاف الأمم ؟؟

انه سؤال تلوح في ثناياه علامة استفهام بارزة الخطوط .. وانه احراج لا يعرف العربي المخلص لقوميته كيف يتخلص من وخزه المؤلم .

ان أخشى ما أخشاه اننا شرعنا بتناحرنا نعرض بلادنا من جديد لمشاكل كنا في أشد الغنى عن التعرض لها .. واننا بتنا منذ اليوم نعود القهقرى الى مضاجعنا القديمة قبل أن نستيقظ ، وأصبحنا نشرع معاولنا لتهدم كل ما بذلناه من جهد وتنقض جميع ما بنيناه لحرية بلادنا واستقلالها .

شرعنا نحتك بالاقوياء من غير طينتنا ونمتحن امكانياتنا الجديدة بمالا نستطيع الثبات فيه اذا جد أوان الجد فاذا عصفت بنا العواصف غدا واذا اجتثت ما بنيناه لحريتنا واستقلالنا وحرمتنا ما ظفرنا به بعد طول الجهد فالذنب في هذا ليس ذنب الطامعين بقدر ما هو ذنب المتناحرين من بني قومنا في سائر أقطارهم .

فهل يخفف المحتاجون بعض غلوائهم ويعودون الى ضمائرهم فيحاسبونها على ما اقترفوا بعنادهم وما عرضونا له بتناحرهم ؟ أم هم سائرون فيما ارادوا من شطط حتى يسلموا بلادهم الى أسوا العواقب واشدها خطراً على حياة الحرية والاستقلال ؟؟

لا يجب أن نتخاذل

قال صاحبي : أترانا بعد هذه النكسة الى خير ؟

قلت : اذا كنا قد أصبنا يوم النكسة في فلسطين بالأمس فلسنا أول مصابين في الحياة فتاريخ الأمم والشعوب حافل بالكثير من أمثال هذه الحوادث التي ضرب فيها على المبادئ وأصيب أصحابها بأكثر مما أصبنا ثم ما لبثت عجلة الزمان ان دارت دورتها لتعيد الحق الى نصابه وتبطل كلمة المبطلين .

ان العزمة الصادقة لا يغيرها أن تخيب في جولة أو أكثر وان الايمان الصحيح لا يثنيه أن تعانده الأيام أو يجري ريحها في غير ما يشتهي .

لئن مسنا اليوم قرح فقد مس آلاف الأقوام قبلنا قرح مثله بل وأكبر منه أثراً وأشد فداحة .. تلك أيام الله يداولها بين الناس وتلك سنته في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

لعلها المحنة التي يمتحننا الله بها لنعود الى أنفسنا فنناقشها الحساب ـ ترى هل كنا يداً واحدة على قبلة واحدة ؟ وهل كانت قلوبنا خالصة فيما نستقبل ؟ متعاونة على ما نستدبر ؟

أم كنا أوزاعاً يشتتنا الحسد ، ؟ وتفرقنا الاحقاد ؟ وتتنازعنا الأهواء ؟ ويغرينا ببعضنا حب الاستعلاء ؟؟

ترى هل كانت اخوتنا خالصة ؟ وكانت كلمتنا صادقة ؟؟
.. هل عشنا لا نراوغ ؟ ولا نخادع ؟ هل عشنا لا نتآمر ولا نتنابذ ولا يخذل بعضنا بعضا ؟؟ ولا يبنى احدنا مجده على انقاض غيره ؟؟

ان صدق النقاش ونزاهة الحساب خير ما يضمن مسيرتنا .
وليس انبل في الحياة ولا أشرف من أن يدرس الخاطئ أخطاءه ويعرف المسىء اساءاته ليقف بها عند ما عرف ، ثم يستأنف مسيرته من جديد فيما يليق به من مسالك الشرف .

أنا لا أشك ان اصابتنا كانت درساً أراد الله أن يذيقنا به بعض بأسه لنذكر ما نسينا من معاني الوفاء ، ؟ وحقوق الاخاء .

فلنحمد الله ان قدر وتلطف ، ولم يذقنا كل بأسه .. وليكن في هذا ما يحفزنا لاعادة الصفوف وتسويتها لتستقيم في مسيرتها الجديدة نقية نظيفة معنية بالمفيد المثمر الذي لا يشتت قواها ولا يشغلها عن هدفها الصحيح في الحياة .



الوقف الإسلامي بيننا وبينهم

« ١ »

قال صاحبي : الا ترى ان قصة الوقف في الفقه الاسلامي خدمت كثيرا من الاغراض الانسانية وكفلت أجيالا من المعوزين والمحتاجين وساعدت في كثير مشاريع الخير مما لا تجدله مثيلا في كثير من أمم الأرض .

قلت : ولكن المعروف أنكثيرا من الأمم المتمدنة استعارت الفكرة الاسلامية في الوقف وقلدتها بل أن بعض هذه الأمم ذهبت في شأنها بعيداً .

وما جائزة نوبل المشهورة بعيدة عنا .. فهي حصاد أموال موقوفة على غرار ما تعارف عليه الوقف الاسلامي .. لقد نقلوا فكرة الوقف عنا وتسعوا في مجالها فهناك اليوم أموال موقوفة لا على الزوايا والاربطة واطعام الطعام بل على تدعيم العلوم والتكنولوجيا واعانة بحوث الاستفادة من المخترعات وبناء معامل في المعاهد العلمية والجامعات واقامة معارض علمية أو فنية واعداد باحثين ليحاضروا في مختلف البحوث والدراسات التي تقتضيها ظروف خاصة في بيئة أصحاب الوقف أو أي بلد تقرر اعانته تحت تأثير ظروف طارئة .

لقد قرأت عن وقف (فولكس فاجين) انه دعى مرة ليعين احدى الجهات العلمية في شراء جهاز مبتكر ييسر (للفيزيقيين) تعجيل الجسيمات النووية ببراعة فائقة وقد قدرت قيمة الجهاز بـ ٢٠٠ ألف جنيه فاجتمع مجلس الوقف وقرر في

جلسة واحدة بالاجتماع تقديم المبلغ لشراء الجهاز ودعى في مرة أخرى لشراء ميكرسكوب اليكتروني احتاجه أحد المعاهد وتبين من دراسة الموضوع في مجلس الوقف ان قوة مثل هذا الميكرسكوب ذات كفاية خاصة قادرة على التكبير الى ضعف قوة الميكرسكوبات العادية فتقرر شراؤه مهما كان الثمن ، واهداؤه للمعهد خدمة لجهوده العلمية ، وتقديرا لها .

وهناك أوقاف تتعدد مساعداتها بتعدد الاغراض العلمية ، والاجتماعية ، والمشروعات الحيوية ، فاذا جرف الفيضان داراً للكتب ، أو المحفوظات الأثرية بادر أقرب وقف للمدينة للاصلاح والترميم ، وتعويض مفقودات الدار .

واذا احتاج مجلس أحد القرى الى بناء سد أو مصرف للمياه ، أو صومعة للقمح ، بادر مجلس القرية الى الاتصال بأحد هذه الأقاف فلا يلبث مجلس الوقف ان يجتمع على الفور لدراسة الطلب وعلاقته بالفائدة العامة للقرية فاذا ثبت ما يؤكد المصلحة نظم قرارا بالموافقة على صرف المبلغ الذي يقدره خبراء الوقف أو من يندبه مجلس الوقف من المهندسين وأحيل على التو الى الخزينة لصرفه للمفوضين باقامة المشروع تحت اشراف مجلس الوقف .

وربما استدعى الحال بعد الشروع في العمل زيادة المخصص لسبب طارىء فيعاد الأمر الى مجلس الوقف لتعاد الدراسة ، ويعتمد المبلغ المضاف .

هو ذا أسلوب الأموال الموقوفة التي ورثوا فكرتها عن الفقه الاسلامي ثم توسعوا في فهمها على ضوء متطلبات الحياة عندهم .

الوقف الاسلامي بيننا وبينهم

« ٢ »

قال صاحبي : قلت بالأمس إن الأمم المتمدنة عندما استعارت قصة الوقف من الفقه الاسلامي توسعت في مجالاته حتى خدمت كثيراً من الاغراض العلمية والتكنولوجية فما يمنعنا ان نتيح لأوقافنا مثل هذه الآفاق لتساعد على تطوير بلادنا ؟

قلت : ان الوعي الذي شرع يتفتق على اثر النهضة الجديدة كفيل بان يفتح أذهاننا لمثل هذه المعطيات فقد كانت فكرة الوقف قبل اليوم تخدم أكثر ما تخدم بعض الوجوه الدينية وفي استطاعتنا اليوم ألا ننسى نصيبنا من الوجوه الدنيوية دعما لمركزنا كمسلمين نعيش بين مئات الأمم ونرى لزاماً لحيويتنا ان نزاحمهم على ما يضمن عزتنا ومجدنا .

حقيق بوعينا ان يهئ أوقافنا لتخدم الى جانب اطعام الطعام وبناء الملاجئ وغيرها من وجوه الخير وجوها جديدة ترفع مستوى التعليم مثلا وتنفق في سبيل تيسير اللغة العربية قراءة وكتابة وتوحيد مناهج الفقه الاسلامي في تبويب مبتكر يضمن ايسر السبل . في استطاعة أوقافنا أن تساعد فقراء الطلبة وان تعين المتخصصين في الجامعات والمعاهد والكليات وتفتح المجال أمامهم لمتابعة ما تخصصوا في دراسته وان تمنح الاكفاء منحا دراسية عالية اذا ثبتت أهليتهم لها وتبين عجزهم المادي عن متابعة سيرهم فيها ، وتساعد الشباب الذين يكرّسون

جهودهم لتحضير الدكتوراه ليستطيعوا كتابة الرسائل التي نذروا نفوسهم لها دون أن تعرقلهم منغصات مادية .

في استطاعة أوقافنا أن تبنى مختبرات لطالب المعرفة وان تجهزها بطاقة الأجهزة التي يعجز عنها هواة البحث وان تساعد المكتبات العامة على شراء أندر الكتب وأثمن المحفوظات وتعين الفنيين في مختلف مجالاتهم بما يحقق للبلاد نهضة واسعة وتنفق على المتطوعين لنشر الاسلام في مجاهل الأرض كما تنفق على التأليف والنشر لترفع صوت البلاد عاليا في أرجاء الحياة .

وفي استطاعة أوقافنا أن تساعد خطوتنا الجديدة في مجال الأبحاث الطبية والعلوم الطبيعية والدراسات البيولوجية التي شرع بعض شبابنا الجديد ينهل من معارفها وبات في حاجة الى من يمهد أمامه سبيل العون .

حبذا لو تضافرت الأوقاف الأهلية مع الرسميين في وزارة الأوقاف لتشكيل لجان تبحث حاجة البلاد للانفاق المنتج وتصدر توصيتها الى رجال المال الذين يميلون لحبس أموالهم وقفا على الخير ان يجعلوا لشروط الوقف مجالاً يتسع لخدمة شؤون العصر وعلومه المستحدثة ليساعدوا على تطوير الجيل الجديد واعداده اعدادا قويا يضمن رقي البلاد وتصنيعها وامدادها بالعقول النيرة التي تعرف كيف تبتكر وتخترع وتغنى البلاد في كافة ميادينها العاملة الخلاقة .



أحب ما استطعت

قال صاحبي : اعرف فلانا من عشاق الفضيلة ولكنه يحيا حياة كالحة كئيبة تتميز بالوان من الفظاظة والكره تبدو في معاملته للناس . وسلوكه معهم فكيف لي أن أوفق بين تعشقه للفضيلة وسلوكه البغيض في معاملاته للناس .

قلت : ان الفضيلة كثيراً ما تكون عرضا من أعراض التدين الصادق ولا يكون التدين صادقاً الا اذا لمس شغاف القلب ففتح مغالقها لحب الناس طائعهم وخاطئهم وذلك مصداق ما يقوله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم) .

يستطيع المتدين الفاضل اذا أحب الوجود وما في الوجود من انسان أو حتى حيوان ان يسع الكل بخلقه العالى فلا يحقد ولا يكره ولا يفرض مقاييسه الفكرية على كل مآتي الحياة ولا يقنع بتفسيراته على اعتبار أنها ولا شيء غيرها

يستطيع المتدين الفاضل أن يجعل للفضل مكانا بين خلجاته النفسية وان يحس احساسا مرهفا بآلام الخاطئين واناتهم فيتوجع لما يتوجعون ويحتال لهدايتهم وخلاصهم بما أمكنه من الوسائل الحبيبة التي تترك أثرها الصادق في توجيههم .

ان الذين يكرهون سلوك الآثمين في حرد أو حقد ويلذ لهم ان يبالغوا في مقتهم وتحقيرهم يعيشون أكثر ما يعيشون في ضيق وكآبة وبغض محض وهم أعجز من أن يقودوا الى رشاد أو يهدوا الى سبيل مستقيم .

على عكس الفاضل السعيد بمزاياه الموهوبة الذي يعرف كيف يفتح صدره للجاهل والخاطئ .. يعرف كيف يفتح للحب أفاقا تتسع لكل ما يصادفه من ألوان الناس .. ذلك هو المطمئن الى فيض الله الواثق من رحمته .

ولست اعني بهذا ان نمد للآثمين في مجالاتهم ونطمعهم في أثامهم .. لا لست أعنى هذا .. ولكنني أعنى أن الفاضل لا يجب أن يحقد على مثل هذا النوع أو يعاملهم في سلوك بغيض بقدر ما يجب أن يتمنى لهم الرشاد ويحتال لهم في سبيله وان يحس بآلامهم احساسا رهيفا وان يؤمن بالحب .. والحب العميق الذي يسع مجتمعه بما في مجتمعه من انسان أو حيوان .



حيٌّ في شيخوخته

قال صاحبي : يطربني هذا الاستجمام الذي ينعم به كبار شيوخنا بعد حياة قضوها مليئة بالكد والجهد .

قلت : أما اذا كنت تعني امثالي فاننا لم نبذل من الكد والجهد في مستقبل حياتنا ما يصح أن يسمى كدأ أو ينعت بالجهد وما هذا الخلود الى الاستجمام الا امتداد لما عايشناه من الوان الفتور .

انك تعرف اجدادا لنا عاشوا حياتهم منتجين بشكل بالغ السعة ، وادركتهم الشيخوخة فلم يعترفوا بها بل ظل إنتاجهم يثير الدهشة ويبعث على الاستغراب وانت ترى اليوم مثالهم حيا في أكثر البلاد الراقية التي تقدر قيمة العمل وتعرف أثره الفعال في حيوية الشخص .

اذكر بهذه المناسبة أني قرأت فصلا عن حياة « نولد كه » العالم الالماني المعروف هز مشاعري وأثار في نفسي من معاني الاعجاب مالا مزيد عليه .

تعشق هذا العالم الكبير في شبابه دراسة اللغات السامية فعكف عليها كما درس اللغة الفارسية والسريانية والعربية وقضى حياته في استقصاء نوادر المخطوطات والأثار المحفورة باللغات التي اتقنها وعندما أدركته الشيخوخة

تقاعد في بيت ابنه في منطقة الالزاس عاش فيها نحو إحدىعشرة سنة قضاها في الدراسة والنشاط الذهني التام حتى فاضت روحه وهو جالس الى مكتبه يواصل عمله في كتابة البحوث التي توافر على دراستها .

وضع (نولدكه) أهم مؤلفاته بعد بلوغه سن التقاعد وبفضله أصبحت المدينة التي يعيش فيها من منطقة الالزاس مركزا للدراسات الشرقية لا في منطقة الالزاس ولا في ألمانيا وحدها بل وبالنسبة لجميع المهتمين بالدراسات الشرقية في كثير من أنحاء العالم .

وشاعت شهرته بين علماء الدراسات الشرقية فكان موئلاً لكل ما يستعصى عليهم من بحوث .. وكان بريده اليومي على وفرته لا يحمل اليه الا الرسائل العلمية التي تستطلع رأيه في البحوث المستعصية في كافة الدراسات الشرقية واضطر في سنى حياته المتأخرة أن يدرس اللغة التركية ليتابع بحوثه في آثار الشرق بمختلف نواحيه .

وتتلمذ على يديه في سنيه الأخيرة عدد من الشباب المهتمين بالدراسات الشرقية فكان يخوض بهم في مختلف ميادين اللغات السامية .. كان يطالبهم بالعمل المتصل وبذل الجهد الشاق فيتعلمون منه كيف يهتمون بدقائق الأمور وكيف يمحصون الجزئيات دون أن تزيغ أبصارهم عن الكليات وكيف يعتمدون على الأسس الصحيحة في البحث العلمي ويتجنبون النظريات التي لا ضمان لصحتها .

وعن له في شيخوخته هذه أن يساعد تلامذته في اللغات السامية فوضع للغة السريانية قواعد نحوية والف كتاباً ضخماً أوضح فيه المقارنة بين اللغات السامية واخر في فن الأساطير الشرقية والفارسية وغيره في شرح خمس من المعلقات العربية .

بمثل هذا النشاط الذهني يجب أن يطالب شيوخنا فضعف الجسم وتهالكه لا يعني تهالك الذهن أو ضعفه أو عجزه عن الانتاج الخالد .

عَلينا أن نبني شبابنا مِن جديد

قال صاحبي : نزلت في ضيافة صديق لي في البادية وعند عودتي أراد أن يكرمني فأمر أن يسرجوا لي فرساً امتطيه ولما استويت على ظهره شعرت ان ظهره يتماوج تحتي واني لا أحسن الاستقرار فوقه فكدت أن أهيب بهم ليقربوا لي بغلا أو حماراً أستطيع أن أطمئن على ظهره ولكني استحييت فصابرت فوق ظهر الفرس وأنا اتثبت بسرجه في شدة عانيت منها أشد ما يمكن أن يعانيه راكب .. ذلك اني لم أتعود ركوب الفرس فلو استطاعت نوادينا أن تضيف الى تمارينها الرياضية شيئا من الفروسية لنشأنا عليها كما ينشأ المتحضرون حتى في البلاد التي لا تربى الخيول .

قلت : هوذاك . فالمشاهد ان اكثر نوادينا الرياضية حصرت نشاطها في كرة القدم أو السلة أو أي لون لا يتخطى مثل هذا المحيط فلو حفلنا فيها أو في مثلها بالعاب الفروسية والسباحة والصيد وحمل الأثقال وشد الحبل وسباق الجري والدراجات لكان لنا شأن غير هذا الشأن المحدود بالعاب الكرة .

ولأنشأنا جيلا نعتز بنشاطه وكفاءته في كثير من ميادين الرياضة .

ان قصتك والفرس الذي عانيت من ركوبه وعجزت عن أن تستوي على ظهره في براعة الرجل المتمكن من نفسه هي قصة الاف الرجال من أمثالك الذين

استهوتهم الحياة الوادعة فاطمأنوا الى الراحة وغدوا في الترف فخثر الدم في مجاريه من شراينهم وفقدوا نشاطهم حتى في الحياة العامة .

ان الفرس الذي بدالك انه غريب عنك كان في أحد الأيام نقطة انطلاق لبلادك استطاعت أن تصول به في أخطر المواقف واقساها شدة .واستطاعت أن تخوض به عباب الحياة في عزم واكد اثبتت به جدارتها وأهليتها للحياة فبنت لحضارتها مركزا دانت له نصف اقطار الارض .

فهل يخلف بعد هذا خلف يستسلم للخمول ويستنيم للضعف وينسى مجده التليد .

لا بد لنا أن نعيدها جذعة .. لا بد لنا أن نستأنف انطلاقتنا .. لا بد لنا أن نبدأ العمل من نوادينا فنبني لشبابنا الجديد مجال السباق وركوب الخيل والسباحة وكل ما يثير الحركة في عضلاتهم ويدفع الدم قويا في عروقهم .. لا بد لنا أن نهيئهم للحياة الفاهمة فنشيد لهم غرف المطالعة بأوسع معانيها وقاعات المحاضرات والمناظرات ونعقد لهم من ألوان المسابقات الفكرية والجسمية ما يتفاعل مع مداركهم فينمى مواهبها ... لا بد لنا أن نعدهم اعداداً جديا يواجهون به الحياة ويثبتون كفاءتهم في شتى ميادينها .



من المفضّل أن تتلاءم وظروفك

قال صاحبي : ألم يأتك نبأ ابن فلان لقد اضله قرناء السوء حتى بات سبة لسمعة أبيه وأنت تعرف من أبوه جاها ووجاهة !!

قلت : اعرف أباه جاها واعرفه وجاهة ولكني اعرفه الى هذا ممسكا في المال مغلولة يده الى عنقه رغم ما بسط الله له من أسباب الرزق كما اعرف ان فتاه عاش محروما من نعمة أبيه ربما احتاج لمصروف جيبه ما يحتاجه افقر الفتيان فلا يجد من أبيه ما يسد حاجته ويعالج عوزه .

وليس كالحاجة شيء يفضى الى هاوية الانحراف .. ان الحياة الفاضلة تعنى في أكثر الأحيان أن تكون متلائما ولو الى حد مع ظروفك وضرورياتك فيها متناسقا مع متطلباتك في الوسط الذي تعيشه .

لست ادعى ان سعة الثراء ضرورة لازمة لحياتك وان عليك أن تحتال او ترتكب لتبسط في عيشك كل البسط ولكنى ادعى ان العجز والحرمان كثيراً ما يكون مدعاة لسلوك لا تحمد فيه العواقب .

ليست مسألة فتانا اذن مسألة قرناء سوء فقط بقدر ما هي مسألة احتجاج على شعوره بالحرمان ..

له اليوم ان يحسد أو يخادع أو يحتقر أو يهزأ بأكثر مقومات الاخلاق احتجاجا على ما ناله من حرمان في الحياة .

أن أكثر العاتين والعابثين تدفعهم مجتمعاتهم الى العتو والعبث بما فرضت عليهم من حرمان ولو أباحت لهم من الفرص ما يسد عوزهم ويطفئ جذوة فاقتهم لضمنت لهم حياة تسمو بهم عن كثير من آثام الحياة وشرورها .

لماذا تبذل حكومتنا اليوم عشرات الملايين في سبيل الضمان الجماعي بل لماذا تبذل أكثر الحكومات في هذا السبيل جزأ له قيمته في بنود موازناتها .. إنه ليس احسانا للاحسان فقط بقدر ما هو علاج تشذب به اخلاق الفقير وتقوم به اعوجاج المحروم قبل ان تؤدي به الحاجة الى مهاوي الانزلاق .

أعطني شعبا مكفى الحاجة ميسور الرزق أعطك ترفعا واستقامة وسموا على أكثر الرزايا المهينة !!

ونحن نشهد اليوم في بلادنا قبائل كانت عاتية تستهين بالعبث ولا تبالي بنظم الحكم في سبيل أن تعيش !! ولكنها عندما استطاعت أن تجد فرصتها للكسب الحلال اطمأنت اليه وانطفأت جذوة الشر في نفوسها وأصبحت تحترم حياتها وتعرف كيف تسمو بمعاملاتها .

علم صاحبك كيف يحدب على ابنه ويتفهم حاجته في أسلوب معقول .. علمه كيف ينتشل ابنه من مهاوي الحرمان وانتظر لتراه كيف يربأ بنفسه عن مواطن الزلل !!



كيف نبني بلادنا ؟

قال صاحبي : قرأت في أخبار بعض الدول الأوربية أن غرف التجارة والصناعة في بعض مدنها أخذت تنشئ لحسابها ورشا صناعية لتدريب من يرغب التدريب من طلاّب المدينة ، وان الفكرة ما لبثت أن انتشرت من مدينة الى أخرى .. فما يمنعنا كأمة نأميه ان نجرب هذا التقليد .

قلت : ان من مشاكلنا التقليدية اننا نعتمد في أكثر مرافقنا الحيوية على ما تقدمه الحكومة . وهو تقليد لا تستسيغه الأمم التي ادركت حقوق بلادها عليها .. فبيوت التجارة عندهم ، وأصحاب الثراء ، وأرباب المصانع ، والشركات الفنية ، ترى فرضا عليها ان تجعل في موازنتها بندأ خاصاً لخدمة البلاد وفائدة مواطنيهم فيها .

هناك مدارس تشاد لحسابهم ، وجامعات تؤسس بأموالهم ، وملاجئ ، ومستشفيات وعشرات من أعمال السير على هذا الغرار ينفقون عليها من سعة كاعتراف بفضل بلادهم على ما حازوا من ثروات ، وتقديراً لمواطنيهم الذين أباحوا لهم فرص النجاح باقبالهم على ترويج أعمالهم ، ومساعدتهم في سائر ظروف العمل والانتاج .

ولقد قرأت موضوع الخبر الذي ترويه عن البلد الذي اهتمت غرفته التجارية

بتأسيس ورشة تتعهد طلاب المهن بما يساعد على بناء مستقبلهم ، كما قرأت أخبار المدن التي تابعت أخبار هذه الغرفة ، وشرعت بالعمل على فهمها فاعجبتني هذه اليقظة وأعجبني هذا الوفاء وتمنيت لو استطاعت الغرف التجارية في بلادنا ، واستطاعت بيوت المال ، ورجال الاعمال وأصحاب الثروات الكبيرة تقليد العاملين لبلادهم على هذا النحو .. اذن لضمنوا لبلادهم ازدهاراًمطرداً ، وضمنوا لاعمالهم مكاسب مضاعفة .. لان أعتمادهم على ايدي العاملين من مواطنيهم يوفر عليهم مبالغ طائلة ينفقونها في سبيل الاعتماد على خبرة الاجنبي . اضف الى هذا ما يكسبونه من اخلاص المواطن مما يعز توافره في كثير من الاجانب الوافدين .

والعجيب مما قرأته في أنباء هذا الخبر الذي ترويه ان مؤسسات الورش التي تحدثت عنها رأت أخيراً أن تزود غرف التمرين فيها بادمغة الكترونية ليتدرب الطلاب على استفتائها في العمليات الدقيقة التي تواجه بعض اعمالهم ، وتساعدهم على التخطيط السوي اذا استعصى عليهم التخطيط ، أو زحمتهم ظروف عاجلة لا تتسع لاعمال الذهن التي تحتمل الخطأ كما تحتل الصواب .

إنّها جهود تدل على مبلغ عنايتهم بتهيئة بلادهم للأعمال المنتجة وتهيئة ناشئتهم لسد الفراغ في سائر المجالات التي تتطلبها حياة الأمم في الأوساط الراقية .

نريد للثروات التي مدت اعناقها في محيط بلادنا وتطاولت .. نريدها لتعرف كيف تبذل في سبيل دعمها وبناء صرحها عاليا ، شامخ الذرا .

عَلينا أن ندرس اتجاه النّاشِئ

قال صاحبي : وهو يشير الى فتى كان يقطع طريقه أمامنا في خطى المتسكع السبهلل الا تستغرب لقصة هذا الشاب المسكين ؟ ان أباه من اعياننا وان اخوته من كبار العاملين في وظائفنا كان المنتظر ان ينجح نجاح اخوته ولكنه نشأ فاشلا رغم ما بذل أبوه في سبيل تعليمه نشأ يكره المدرسة ويكره ما فيها واذا صادفه حظ النجاح في اختبارات عام واحد خانه التوفيق في عدة أعوام مطردة ، وقد ظل على هذا حتى أعلن عصيانه على المدرسة فتركها الى غير رجعة ، وحاول أبوه كما حاول اخوته ان يهدوه سواء السبيل ولكن في غير جدوى

.. وها أنت تراه اليوم يمشي الى غير غاية متسكعا في غير هدف .

قلت : انه مسكين لا لشيء الا لان ولاة أمره لم يكن بينهم ذهن يتسع لفهم الحياة من سائر وجوهها !!

لقد تخيلوا ان النجاح رهين مواظبته على المدرسة ونسوا أن للاستعداد الفطرى دخلا وأي دخل في توجيه الشخص وإعداده للحياة .

أتدري أن كثيراً من رجال الأعمال الناجحة والمبتكرين والمخترعين نشأوا فاشلين في مدارسهم وانهم عندما تركوها وجدوا أنفسهم مسوقين الى الاتجاه الذي

تناسب وما فطر عليه استعدادهم فواتاهم النجاح من حيث لم يحتسبوا .

ان منهم من رضى العمل في النجارة ومنهم من رضيه في الميكانكيا أو السباكة ففر الى ما رضي بعيداً عن المدرسة فتفتق ذهنه لبدائع كان لا يتخيلها فاذا النجاح يواتيه واذا الفرصة تخدمه واذا هو بعد لأي يطول أو يقصر يبنى لنفسه مركزا يحسده عليه سائر اقرانه من أصحاب الشهادات .

ليس لنا أن نحدد نجاح الحياة بنجاح المدرسة فوسائل النجاح أكثر من أن تعد ، وليست المدرسة الا وسيلة واحدة من الاف الوسائل التي يصح اعتمادها كطريق الى النجاح .

وثمت شيء لا يصح اغفاله الى جانب هذا .. ذلك هو الاستعداد الفطري .. فاذا بدا لك ان فتاك لا يجد في نفسه ميلا الى أي اتجاه اخترته له ، وانه يمضي في سبيله كثير العثار فمن الحصافة أن تدرس اتجاهه ، وتتعرف استعداده ، وتحاول أن تميل به الى ما يميل فذلك أضمن طريق الى النجاح .

لقد عايشتنا غلطة تقليدية أساءت وتسيء الى مقدراتنا في الحياة ذلك أننا اعتمدنا الوظائف كمثل للنجاح الشخصي ففقدنا بذلك الآف المثل التي تميزت بها الأمم المتحضرة .

ما يمنعنا ان نهيء لشبابنا مختلف الاتجاهات لينسوا أحلامهم في كراسي الوظائف ويتبينوا شتى الطرق التي سارت بها الأمم في مواطنها وعزت ، وربحت لقوميتها ثراء رفع مكانتها وسمابها الى أوج الحضارة .

ان الأمم المتحضرة تعنى اليوم اشد العناية بدراسة قابلية ابنائها واتجاههم الفطرى أثناء الدراسة فاذا تبينت أي ميل في أي اتجاه من أي ناشئ صرفته الى ما يميل لتحقق بذلك مختلف المكاسب في مختلف المجالات وهي بذلك لا تقسر احدأ على غير ما يهوى !

لا .. لا يا صاحبي لا تأس على ما فات هذا الناشئ .. فربما برز فياتجاه اخر اذا ملتم به اليه .. وربما استطاع ان يحقق من معاني النجاح مالا تتخيل .

نحن نوحي الى الطفل جميع المفاهيم

قال صاحبي : كيف تعلل تمرد المراهقين على مجتمعهم ؟

قلت : انهم يقولون عن الطفل قاصراً .. بل ربما قالوا عن الفتى الى سن معينة انه قاصر ، وقد يطول مدى هذا السن وقد يقصر حسب استعداده الذهني وحسب الملابسات التي يهيئها له الوسط الاجتماعي .

ترى لم كان الطفل قاصراً ؟؟

يجيبنا على هذا واقعه في الحياة فهو يصافحها أول ما يصافحها خالي الذهن من كل المفاهيم السائدة فلا يلبث المجتمع ان يوحي اليه بالقيم السائدة ويطبع ذهنه تدريجيا بالأفكار التي يتعامل بها .. ولكن الطفل لا يلبث أن ينمو وتتفاعل أحاسيسه فيشعر ان له ذاتا ، وان لذاته كيانا مستقلا . فاذا عرفنا كيف نتعامل مع ذاته فلا ننكرها عليه ، ولا نتركها في الوقت نفسه تغريه بما تشتهي .. واستطعنا أن نوفق بين القيم التي نراها وبين ما يعتمل في صدره من نوازع وان نهادنه الى حد يتعلم فيه كيف يسلس لقيادتنا ويقنع بتوجيهاتنا .

اننا اذا استطعنا أن نتعامل معه على هذا النسق ضمنا اتزانه واطفأنا جذوة احساسه بنفسه اذا طغت ، وأقنعناه بكفاءتنا في التخطيط لحياته .

اما اذا أبينا الا أن نفرض ذواتنا بشكل تعسفي قاهر وان نملي عليه ما الفنا من قيم دون أي اعتبار لمشاعره فاننا بهذا نثير احساسه بذاته ونهيئه للمشاكسة .. وربما تطورت المشاكسة الى عناد أو تمرد .

وعند هذا سيبدأ اعتداده بنفسه فيرفض استشارتنا ويعتمد نفسه فيما يخطط لحياته من قيم . وهنا لا يجب أن نعجب اذا زاغ به الطريق ، أو أخطأت به المسيرة الصحيحة .

لا يجب ان نستغرب هذا ولا يجب أن ننتظر منه بعد أن بلغ به الاعتداد بنفسه هذه الغاية ان يقبل توجيهنا أو نقاشنا على الأقل فقد أثرنا عناده وتركناه ينظر الينا في حذر وحيطة نظرته الى طاغ يهيمن على مقدراته ليغتالها .

لقد تراءى له في سن المراهقة الفكرية انه يحسن الدراسة ويحسن مناقشة الأفكار فلنناقشها معه بكثير من الحرية وبصورة موضوعية تضع يده على مفترق الطرق وتحدد له مكان الزيغ منها ونحاول أن نربط بين ما استنتجناه وبين واقع الحياة ونقارن له بين ما فهم وبين ما يجب أن يفهم في أسلوب لبق يعلمه كيف يحترم كفاءتنا في الفهم .

ان مذاهب الهدم من إلحادية الى ماركسية الى وجودية الى عشرات غيرها تعتمد الشعوذة في تحليل سحرى لتغرى الشاب المراهق فما يمنعنا ان نعتمد اللباقة في اخلاص صادق لنقضى على أساليبهم المغرية ونفتح العيون على دجلهم وما يزيفون .



لم كان الامتحان غولاً مهيباً ؟

قال صاحبي : ما أكثر ما يشكو طلبتنا من الامتحانات ولا تقتصر الشكوى عليهم وحدهم بل تتعدى الى أولياء أمورهم بل لذوي قرابتهم بل ولمدرسيهم وسائر المعنيين بنجاحهم من رسميين وغير رسميين فما يمنعنا أن نعدل عنه الى أسلوب جديد يخفف هذا الضغط القاسي .

قلت : لسنا أول الممتحنين بمشاكل الامتحانات . ولقد سبقتنا مئات الأمم الى هذا الطريق وعانوا منه مثل ما نعاني وعاشوا يتمنون أن يجدوا سبيلا الى غير منهجه ويبتكروا طريقة تغنيهم عن لأوائه ولكن جهودهم فشلت رغم ما بذلوا وظلت الامتحانات رغم مساوئها الوسيلة الوحيدة لتمييز الجهود وفرز نتائج النجاح .

لقد انتهى بعض علماء التربية في بعض الأمم الراقية الى نظريات رأوا أن في استطاعتها أن تحل محل الامتحانات ومما قالوه في هذا أن مدرس الفن لا يعجز عن تمييز الطالب الناجح من غيره بحكم احتكاكه بتلامذته .. أنه يستطيع اذا كان كفئا ان يتفهم مستوى ادراك الطالب ويتفهم مدى قضيته ومدى نموه العقلي .. ليستطيع ان يميز درجته في التحصيل فيعطيه الرقم الذي يستحقه دون حاجة الى أن يعرضه لفواجع الامتحان .

ويجري على هذا المنوال .. كل مدرس في حقله حتى تجتمع للطالب مجموعته الصحيحة ألتي تقرر نجاحه أو فشله .

لقد انتهوا الى هذا وربما انتهوا معه الى المدرس الكفء الذي يتفهم مستوى طلابه .

ولكن هل انتهوا الى اللائق الذي يضعون عنده ثقة المدرسة وينيطون به مستقبل الأمة في ابنائها .

لقد تعذر عليهم هذا وبدا لهم ان مثل هذه النظرية ستفتح الباب واسعاً أمام تجار السوق ، وسترهق كواهل الطلبة بالكثير الذي لا يحتمل .. لا بدلهم اذن أن يخضعوا لنظرية الامتحان كضرورة لا مناص منها .. لا بدلهم ان يعانوا من مشاكله ما ليس لهم من معاناته بد .

وانا عندما أقول معاناته أو مشاكله لا أعني أنها جزء لا يتجزأ من حقيقته فنحن الذين أحلناه الى هذه الصورة الفاجعة ، وأعطيناه هذا السمت الرهيب .

يعيش الطالب عامه الدراسي يستمع نصائح المهيمنين به - « بكرة يجيك الامتحان .. يا ويلك إن قصرت » فلا يلبث أن تخالجه مشاعر الخوف وتربو هذه المشاعر فتتحول الى عقدة نفسية تصور له الامتحان شيئاً مهولا فيفقد الثقة بنفسه ، ويرتاح ، وتتبدد أحلامه في النجاح !!

ولا يختلف عن هذا طالب اخر لا يحسن تنظيم جهده الدراسي فيلهو ويتباطأ ويستهين بالواجبات الدراسية في أكثر شهور العام فإذا آذنت أيام الامتحان شمر عن ساعده وواصل لياليه بأيامه في جهد جاهد وسهر مرهق فلا يصافح غرفة الاختبار الا وهو محلول القوى تبددت طاقته وتهاوت حيويته فباء بالعجز ومنى بالفشل .

تعالوا نوحي الى طلبتنا بما يعزز ثقتهم في نفوسهم فلا يتخيلون الامتحان غولا مهيبا ، وتعالوا نعدهم لتنظيم جهودهم في الدراسة فلا يجعلونها وقفا على أسابيع الامتحان فيعرضهم الارهاق ويعرضهم طول السهر لا سوأ درجات الفشل .

أليست وحشية الشيوعية استعماراً ؟

قال صاحبي : أرانا نكثر الكلام في تقريع شديد مقذع كلما ذكرنا المستعمرين الغربيين وننسى غيرهم في أوسع مناطق الشرق ؟ فهل ترى الاستعمار لا يكون استعماراً الا اذا باشره الغرب ! ؟؟

قلت : لعلك تعني روسيا في الشرق مثلا قال ولم لا أعنيها وقد تغلغلت ايديها المستعمرة في عشرات الدول المجاورة في صورة رهيبة قاسية .. ان الاستعمار في رأيي هو الاستعمار دناءة وكبرياء سواء صدر من الغرب أو فاض من الشرق !!

قلت ولكنني أرى أن كلمة استعمار أقل من أن تعطى مدلولاً على ما تصنعه روسيا من أعمال ! . انها وهي تسيطر على من تغتاله من أمم الأرض لا تستعمر بل تذيب ذوباً ولا تترك فريستها حتى تكفر بحرَيتها فقط بل بدينها، وقوميتها ، وتقاليدها ، وحتى تجردها من ممتلكاتها وأموالها ، وتلزمها ان تفنى في عبادة القاهرين عليها ، وتسلمهم جميع مقدراتها وتنزل عن جميع جهودها لتصبح وقفاً عليهم .

انها بهذا لا يصح أن نسميها مستعمرة .. فكلمة الاستعمار لا تؤدي بحال بعض أعمال طغيانها .

لك بعد هذا أن تستغرب لم كان نصيبها من دعاة القدح والتقريع المقذع الفاحش أقل من غيرها؟ بينما كان يجب ان ينالها ما ينالهم بل وأضعاف اضعافه .

ان أكثر دعاتها في الشرق ليسوا الا صنائع يبشرون لمذهبها ويخدمون اغراضها وليس لديهم من وسائل الخدمة الا أن يشددوا النكير على سيئات المستعمرين القدامى وهي سيئات تستحق اللعنة دون شك .

قل يا صاحبي معي : الا فليسقط الاستعمار مهما كان نوعه وتسقط الوحشية الطاغية مهما كان مصدرها .

ولكن اذا تراءى لك ان تسألهم لم تستثنون روسيا من هذا النكير أجابوك بأن بلادنا لم ينلها الى اليوم شيء من أذى روسيا .. وهي مغالطة كما تراها مكشوفة فالوحش المفترس الذي نشاهده يوغل في الدماء لا يصح أن نسمه بالورع لان نيوبه لأسباب أو أخرى لم تجرب حظها معنا الى اليوم .

على أننا لو أردنا أن نكون صادقين مع أنفسنا فسوف لا يتعذر علينا أن نجد آثار وحشيتها اليوم واضحة في أكثر أحداث العالم المضطرب .

اننا لا نبرئ المستعمرين من سيئاتهم ولكننا نعرف أن أكثر الأمم التي استقلت حديثا في أطراف الارض استطاعت روسيا أن تستميل بأموالها ووعودها البراقة كثيراً من العسكريين فيها .. استطاعت ان تغريهم بالثورة ضد الأوضاع القائمة وان تخطط لهم باسم الحرية ، والديمقراطية ، والاشتراكية ، وعشرات الالفاظ من هذا اللون الخداع وان تدفعهم ليحيلوا بلادهم الى حميم مستعر وان يستمدوا باسم هذه الألفاظ الخداعة ظاهراً وباسم روسيا باطنا اغتيال مواطنيهم وتقتيلهم واسرهم وتعذيبهم .

وأنت لا تدري بعد كل هذا أين مكان الحرية والديمقراطية والاشتراكية ؟ بل أين مكان كل ما يرادف هذه الألفاظ من معان براقة ؟ أين مكانها من جميع البلاد التي نجح فيها ثوارها بتدعيم من روسيا ؟

بل أين مكانها من روسيا نفسها التي غلت شعوبها وراء الستار الحديدي وكممت افواهها وحكمتها حكماً عسكريا ادواته الحديد والنار والتشريد والتعذيب والفناء .

لقد فرضت روسيا على شعوبها وعلى كل الثائرين لحسابها في أطراف الأرض نظامها الوحشي بعدان علمت الثائرين لاسمها أن يحكموا شعوبهم بأقصى ما تحكم به الشعوب من ألوان القسر والضغط وان يكمموا باسم الحرية افواههم ، ويضعوا أيديهم باسم الاشتراكية على ممتلكاتهم ومزارعهم ، وان يعيشوا مقهورين تحت كابوس الذل والحاجة .

وننسى بعد كل هذا ان نذكر الشيوعية في سياق ما نذكر من سيئات الاستعمار والمستعمرين .



أنت حرٌّ مقيّد

قال صاحبي : الا ترى ان الحرية في الحياة شيء ضروري ولازم للحياة كضرورة الهواء والماء

قلت : انه أمر لا يصح فيه الاطلاق بحال فانت مقيد لتعاليم دينك .. لعادات بيئتك لتقاليد صداقاتك ، وسائر علاقاتك بالناس .

ليس في استطاعتك أن ترتدي ثوبا أحمر اللون في وسط تعود لبس الأبيض ولا (غترة) خضراء بين قوم حددوا لونها وشكلها .

ليس في استطاعتك وانت تزور أوسع البلاد حرية في شمال أوربا مثلا ان تختار لنفسك سمتاً تشتهيه فتجول به في شوارعهم العامة أو تمتطي ظهر حمار ترتاد به وسط المدينة الا اذا اردت أن تثير انتقادهم وتتعرض لسخريتهم .. حتى رجل الالحاد الذي كفر بكل المذاهب وجميع التعاليم ويمكنك ان تتخيله منطلقا كما يشتهي هواه .. انه مقيد لالحاده مربوط بما شارع في بيئة الملحدين من امثاله .

والبوهيمي على رغم ما اسرف في انطلاقته وأمعن فيما ظنه كسراً للقواعد أبت عليه البوهيمية الا أن يقيد حريته المزعومة بما شرعت له البوهيمية من تقنين .

ان الحرية بمعناها الواسع لم تخلق الى اليوم حتى في أكثر الأوساط فوضوية وابعدها عن التقنين والتنظيم .

انت مقيد لما تدين ، محدود بما ورثت ، مربوط لما تعارفت عليه بيئتك خاضع لما اتفق عليه الذوق العام في قومك !!

لا اعنى بهذا ان تلغى ملكاتك العاقلة ، وطاقتك من الفهم ، ، وتنساق في سذاجة وراء كل ما تعارف عليه وسطك .. ولكنني اعنى أن تكون دقيق الميزان فيما تراه لنفسك والا تشتط باسم الحرية فتوسع في معانيها وتنسى في سبيلها علاقتك بالذوق العام .

على انك سوف تستغرب اذا عرفت أن جل العقول الراجحة كثيراً ما تتأثر ملكتها العاقلة بما ورثت من تقاليد . والا فما معنى ان يظل عابد النار على عبادته بها رغم كل مكاسبه من التحصيل العلمي ، ورغم ما عرف من مكانته بين أصحاب العقول الراجحة من ابناء الحياة .

سيعيش الانسان ما عاش على الارض مقيداً لكثير مما تعارفت عليه الحياة وليس لحريته مجال الا في حدود تعارفت عليها الحياة أيضاً والا لعمت الفوضى ، واندلع لهيب بلواها .



لم كانت الأزمات؟

قال صاحبي : ان خبراء التغذية في العالم يشكون من قلة محاصيل الارض بالنسبة للزيادة المطردة في عدد سكانها وينسبون المجاعة التي باتت تعم جزءاً كبيراً من أقطار الأرض الى ذلك فهل يعجزهم ان يجدوا حلا لهذه الأزمة ينقذ العالم مما ينتظره من مشاكلها المستعصية؟

قلت : ان مبلغ علمي انهم دائبون على دراساتهم وانهم يبحثون كثيرا من أنواع النفايات على أمل أن ينتجوا منها ما يساعد على اشباع البطون في سائر الأقطار التي تجتاحها المجاعة وهم لا يخفون اراءهم في أسباب هذه الأزمات وما ينتظره العالم من تفاقمها على ممر السنوات كما لا يخفون نتائج جهودهم في سبيل علاجها ولكن الذي يغيظ في الأمر أنهم وهم ينددون بأسباب تفاقم الأزمة لا يذكرون الا بعض نواحيها التي تتلخص في قلة محاصيل الارض بالنسبة لاطراد الزيادة في عدد سكانها سنة بعد أخرى ، وينسون ان يكونوا صريحين مع كل دول العالم التي أصبحت تبدد ثروات الأرض في سبيل اطماعها .

ان كبريات الدول تنفق في سبيل ما تسميه اعمال الدفاع مئات المليارات ومئاتها وليس في الأمر من الدفاع بقدر ما فيه من حب التوسع والسيطرة !!

ان أكثر هذه الدول ترصد أكثر من ٢٠ في المائة من موازناتها لاعمال ما تسميه

دفاعاً واذا اضفت الى هذا ما ترصده لغزو الفضاء ومنشآت الذرة انتهيت الى أرقام لا تعرف كيف تحصيها لهول نتائجها .

ترى ماذا يكون حال العالم لو توفرت كل هذه المبالغ الهائلة لخدمة الارض وتحسين أحوال الزراعة والانتاج فيها ؟؟

ان دعاواهم العريضة بأنهم شديدو العناية بالدول النامية لا يؤيدها شيء ما يؤيدها بذل هذه المبالغ الطائلة الى الدول النامية كقروض تنفق على احياء الأراضي البور وتحسين المزارع وتعليم الفلاح عوضا عن هذا التبديد في سبيل توسيع النفوذ والسيطرة .

ان التنمية الاقتصادية التي ينشدها خبراء التغذية في العالم ولن تنجح في رأيي بشيء كما تنجح بالانفاق الواسع على العمل برفع كفاية الفلاح الفنية في سائر الدول النامية ، وتطوير أساليبه في الزراعة ، وتوفير الوسائل الميكانيكية ، وتهيئة البرامج الواسعة التي تضاعف الانتاج .

ان مثل هذا البذل في مثل هذه المجالات يستطيع أن يبعد شبح المجاعة الذي يخافونه ويضمن سعادة البشر أكثر مما يضمنه البذل في سبيل التسلح وغزو الفضاء لو كانوا يفقهون !!



في سبيل العلم بذل أسلافنا

قال صاحبي : يعجبني دأب ابن بطوط على السفر الشاق في سبيل العلم ونشاطه الفذ في رحلاته الى أبعد ما تصل اليه المناطق البعيدة .

قلت : أما انه فذ في نشاطه فذاك .. ولكن رحلاته هل كانت خالصة لطلب العلم وحده ؟ فقد كان الرجل من هواة الاستطلاع وحب التكسب اما اذا شئت ان تعجب لاصحاب الدأب على السفر الشاق في سبيل العلم فاعجب لائمة الحديث وأساطين اللغة في القرن الثاني والثالث الهجري !

كان ائمة الحديث يحتلون الدرجة الأولى في صبرهم على مشاق المسافات البعيدة وكانت اكثر هذه المسافات غير مهيأة للرحلات كما انها ليست مأمونة من شتى المخاوف ـ ثم يأتي بعدهم في الدرجة الثانية أساطين اللغة الذين كانوا يمعنون في قفار البادية الى مسافات شاسعة سعيا وراء تصحيح كلمة يقولها بدوي يرعى السائمة .

يقول يسر بن عبد الله الحضرمي المحدث : « إنّي كنت لأركب إلى المصر البعيد في الحديث الواحد لاسمعه » .

وجابر بن عبد الله المحدث بلغه حديث عن رجل من أصحاب رسول الله (ص) فابتاع بعيراً فشد عليه رحله ثم سار شهراً حتى قدم الشام في سبيل ذلك الحديث !

وكان البخاري من أنشط الرحالين في سبيل العلم فقد آلى ان يتتبع محدثي الامصار من الحجاز الى الشام الى العراق الى فارس .. وتكبد في سبيل ما آلى صعود الجبال واجتياز الصعاب !

وترك يحى بن يحى الليثى بلاده في الاندلس ليجوب أهم مدن الشرق فيسمع من مالك في المدينة ، ومن سفيان بن عيينة في مكة ، ومن الليث في مصر ، ومن مسلم بن الحجاج في نيسابور !

ولو اردنا ان نتابع قصص امثال هؤلاء المجدين لاستغرقتنا الصفحات الطوال دون ان نصل الى حصر .

ومن علماء اللغة من تعجب لتوافرهم على العمل المضنى في سبيل هواهم باللغة .. فالاصمعى ، والكسائي ، والخليل بن احمد ، وعشرات امثالهم كان همهم ملاحقة الاعراب في اقصى البوادي المقفرة يتابعون الرجل من نجع الى نجع .. من وادي أغبر إلى مفازة موحشة ليتثبتوا من كلمة .

اولئك قوم جدوا للعلم لا يستهويهم التنزه ، ولا يغريهم التكسب بقدر ما يستهويهم أو يغريهم ان يجدوا للعلم والعلم وحده !!



في التجمهر مشاركة عمياء !

قال صاحبي : الاحظ ان بعض القصص الخرافية تعيش وتنمو وتترعرع في أوساط كثيرة ربما احتفت بها كما تحتفي بالحقائق الصحيحة واغرب من هذا انك تصادف في هذه البيئات من تزكى فيه عقله وذكاءه مع هذا فلا تلبث ان تراه مسوقا مساق غيره من بسطاء الناس وجهلتهم تغمره الأسطورة فينسى ملكاته الناقدة ويعطل طاقتها !

قلت : وليس في هذا جديد على الحياة فالناس ما تجمهروا الا تفاعلوا وهذا الذي تزكى فيه عقله وذكاءه لو صادفته الاسطورة منفردا لواجهها في ذكاء واستطاع ان ينقد دقائقها . اما وقد غمرته البيئة بغبائها وساقته مساق الجماهير . فليس من السهل ان ينفرد الا اذا تمتع بعقل جبار فذ يستهين الخروج ولا يبالي ان ينعت بالشذوذ .

ان التجمعات تلغى طاقة أصحاب الطاقات العقلية وتسوقهم الى المحاكاة تلقائيا وتقتل ملكة التروى أو تخنقها فالعاقل الذي يجبن عن الاعتداء على الناس ويقدر مسؤولية ذلك ، ولا يجرؤ على قتل أحد أو تدمير بيته .. هذا العاقل كثيراً ما تسوقه المشاركة الجماهيرية فيتقدم إلى القتال في ميادينه العامة يقتل ، ويذبح ، ويمثل تحت تأثير الغوغائية المسيطرة ..

يشارك في تدمير المدن ، واشعال الحرائق ، ونهب الأموال ، واشاعة الفوضى وهو غائب عن رويته ، منفصل عن اتزانه العقلي ، مأخوذ بحركة التوتر الجماهيري الشائع حوله !

ان التجمع كثيرا ما يحيل الجماهير الى ظروف نفسية خاصة تهيئهم للمشاركة العمياء ، والتقليد الغبى ، والانفعال السلوكي فنحن نرى البيئة التي يحترم افرادها غطاء الرأس مثلا ويعتمدونه مظهرا من مظاهر الاداب العامة لا يلبث هؤلاء الافراد ان ينسوا ما الفوا اذا تجرأ بعض أصحاب الجرأة على كشف الرأس وتابعهم آخرون وآخرون حينئذ تمحى الآية ، وتبدأ الرؤوس المكشوفة تأخذ مركزها في الأدب العام ويتتابع الناس خلفها بتأثير التفاعل الجماهيري .

اريد بعد هذا ان أقول انه في مثل هذه الظروف الجماهيرية تجد القصص الخرافية والأساطير الوهمية تربتها صالحة للنمو .. ينفعل الجمهور بسلوك البسطاء من افراده فلا يدقق حقيقة ما يسمع لان حواسه مهيأة لقبول الايحاء وبذلك تأخذ الخرافة مكانها في البيئة ، ثم لا تلبث ان تترعرع كلما امتد مداها من الشيوع ، وتستطيع ان تمكن لنفسها بقدر ما يتسع جمهورها ، وان تثبت بقدر ما يتقادم عليها من اجيال حتى تصبح حقيقة لها مركزها بين الحقائق الناصعة ، وتظل على أمرها حتى ينهض لها جبار مفرد من شواذ الحياة فيعلن عصيانها ويقاسي الكثير في حربها حتى يظفر بمن يتابعه واذ ذاك يأخذ رأيه دور المشاركة الجماعية وعندئذ يبدأ انحلالها تلقائيا بنفس الاسلوب الجماهيري الذي هيأ لنموها من قبل !!



إذا تأصّل الخلق الكريم !

قال صاحبي : عجبت لفلان عاش سنوات طويلة في بلاد تحللت من ديانتها واخلاقها وكان يختلط فيها ببيئة فاسقة تستحل لشهواتها اردأ ما تستحله النفوس الفاجرة المستهترة ومع هذا استطاع ان يستعصم بدينه ويتمسك بما نشأ عليه من استقامة .

قلت : اما أنا فلا اعجب ما دمت تقول انه استمسك بما نشأ عليه من استقامة فللنشأه قيمتها في سلوكه الشخصي .

ان الخلق الكريم اذا تأصل بات هوى في النفس ولا يقود الشخص في الحياة كما يقوده هواه فاذا استقامت أهواء النفس نزعت الى ما استقامت اليه واذا ضلت اهواؤها أسلست قيادها لما يصادفها من ضلال .

قد يكون للعقل اثره في ضبط الاهواء وتوجيهها أحيانا ولكن حكمه ليس هو الحكم المطلق على جميع المستويات وفي سائر الملابسات بل ربما جامل أو نافق .. ربما شرع تحت ضغط النزعات النفسية يؤول لك بعض المبادي ويلونها أو يزينها ليرضى هواك ويبرر ما تنزع اليه نفسك .

يقولون ان النفس وما تهوي ولا يفسر الهوى هنا شيء كما تفسره اللذة ونحن نشاهد ان رجل السلوك مستقيم الاخلاق تلذ له اعمال الخير أيما لذة فهو في متعة دائمة ما دام مستقيما على جادتها دائبا على العمل من اجلها .

واللذة نفسها أو الهوى ذاته على وجه اوضح هو الذي يسلك بالآثم طريق الغي ويشعره بالمتعة الضالة .

ان الفضيلة هوى اذا تشبعت به النفس باتت ميولها لا تنزع لغيره ولا تتلذذ لشيء ما تتلذذ لسلوكه .

كما ان الغى هوى اذا امتلك على النفس قيادها فهو يميل بها الى ما تتلذذ من المفاتن مهما كانت سيئاتها .

دعونا نطبع ناشئتنا على الخير ليلمس نفوسهم فتهواه وتجد لذتها في غشيانه فذلك اقصى ما يحبب اليهم الاستقامة ويهيئهم للعصمة في اشد المواطن خطرا وافحشها سلوكا .

لا يجب أن نؤمن بالعقل كثيرا ونحن نشهد تأويلاته ومداجاته وزيغه مع كثير من أصحاب العقول الراجحة .

حسبنا أن نطبع النفس على الخير ونهيىء نزعاتها وأهواءها لتهفو إلى سلوك الصالح الافضل .



هل يتعين على المعدم أن يحج ؟

قال صاحبي : وصاحبي في هذه المرة من وفود بيت الله الحرام الف الترحال والتنقل بين مدن المصائف وبلاد المعارض كما فهمت واختلط بمناسبات الزحام مرات ومرات .

قال صاحبي هذا : الاحظ انكم تتساهلون في قبول الوافدين الى بلادكم دون أن تقيدوهم بما يكفي مؤونتهم من اقامة وسكن وما يكفي نفقاتهم للعيش وسائر لوازمهم الضرورية بين حلهم وترحالهم ولهذا يبدو فقرهم واضحا في كل حركاتهم بين المشاعر لقد شهدت منهم الوفا يسكنون الشوارع ويعانون من صنوف الحرمان ما تبدو آثاره واضحة للعيان فلو نظمتم أمر غشيان بلادكم ففرضتم على كل قادم أن يثبت موجوده النقدي بمقدار معين يكفي حاجته من النفقات ويحفظ قيمته كانسان لا حسنتم الى انسانية كل المعدمين الذين يتعسفون لشيء لم يفرض عليهم فالحج استطاعة ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .

قلت : ان بلادنا تألم لما ألمت له بل وتعاني في سبيله الكثير فشوارعنا لا تستقيم فيها نظافة وميادينا لا يحكمها نظام ما دام المعدمون من الحجاج وهم ألوف مؤلفة يحتلون زواياها وأركانها فيملؤونها بأوساخهم ولا يعفونها من فوضاهم ونحن نحاولهم ليفهموا ان الدين يربأ بهم ان يرهقوا انفسهم ويرهقونا

معهم ويرهقوا الحجاج بما يسببونه لهم من مصاعب ولكن كل محاولاتنا الى عبث .

ان ما تنفقه موازنة بلادنا في سبيل الشؤون الصحية وتنظيم الشوارع وتوسعتها ونظافتها توازي ضعف ما يربحه المتكسبون من ابنائها في سائر مجالات الكسب من الحجاج ومع هذا فنحن نحتسب كل ما نفعله أو ننفقه في سبيل ضيوف بيت الله ونتمنى لو قدر هؤلاء المعدمون موقفهم منا وخففوا شيئا من وطأتهم علينا لتصبح خدماتنا ذات أثر فعال له جدواه ولكن هيهات .

وأنت تسأل علماءهم في كل أقطار الدنيا هل يتعين على هؤلاء المعدمين ان يحجوا فيعانون من شظف العيش وعسر الفاقة ما يعانون فلا تجد بينهم من يقرهم على هذا العنت أو يرضاه لهم ومع هذا تأبى جموعهم الا ان تمضي في سوء ما فهمت .

نحن من جانبنا لا نريد ان نصدهم رغم ما نقاسي نحن وتقاسى بلادنا ويقاسى حجاجنا من لأوائهم ونرى من الخير ان نترك لحكوماتهم أمر النظر في شؤونهم فمن الخير ا لا تتركهم يغادرون بلادهم ليتكففوا العيش ويتمرغوا في الحرمان فيسيؤن الى سمعة حكوماتهم ابلغ السوء ـ هذا ما نراه ونسأل الله ان يوفقهم لما يصون رعاياهم .



مجـال الأديب .. !

قال صاحبي : يعجبني أن تفرعت العلوم الى ابواب ، والفنون الى ألوان لكل باب اختصاصه ولكل لون رجاله قل ان يتخطى العالم الفنان حدود ما تخصص .. على عكس الأديب الذي يأبى الا أن يدس أنفه في كل مفاهيم الحياة ويقحم نفسه في أكثر معارفها .

قلت : ومع هذا فقد تضاءل الأديب ، وتقلصت مجالاته .. وانك لتدهش شديد الدهش عند أبسط مقارنة بين مجالنا اليوم وبين ما اختطه جهابذة الادب في عصور الاسلام الذهبية .. كان مجال الأدب في عصرهم يتسع لايام العرب وانسابها وتاريخها وأشعارها وما جاء على لسانها من أمثال وحكم كما يتسع للفلسفة والمنطق والهندسة وطوالع النجوم وحقائق الكون وجغرافيته وطبائع الاشياء والحيوانات كما يتسع للغة نحوها وصرفها ومذاهبها في الكتابة كما يتسع لاداب المجالس وما يتخللها من افانين السحر وضروب الألعاب كالشطرنج والعاب الفروسية وتربية الطيور .

اتسع الأدب لكل هذه الفنون وتوافر على دراستها والعناية بها في اشكال عجيبة لا تدري كيف تهيأت لهم .

بل ووجد بعضهم لديه من متسع الوقت ما يفلسف شروط الكتابة والخط

ويضع لهندسة حروفه شروطا غريبة المثال ثم يأتي على القلم فيفصل كيفية بريه وقطـة سنه بل طريقه تناوله بين الأنامل عند الكتابة ويذكرني هذا بما جاء في زهر الاداب عن الحسن بن سهل وقد سئل عن الاداب فقال انها عشرة ضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج والهندسة والطب والفروسية وايام الناس والنسب والشعر الى ان قال وقد اربى على كل هذا مقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس في المجالس .

هذا ما كان يعنيه الادب في عصر النهضة الاسلامية فهل اتسعت آفاق ادبائنا اليوم لكل هذه الألوان ؟؟



مطل الحقوق قضى على الثقة

« ١ »

قال صاحبي : ما ظنك بأقوام ألفوا مماطلة الحقوق واستمرأوا الاستهتار بأصحابها فانت لا تكاد تحسن الى الملهوف منهم وتحسب انك اسعفته أو انقذته من ورطته حتى يقلب لك ظهر المجن ويسومك سوم الشطار أو قطاع الطرق .

قلت : وهذا ما أفقد الثقة بين الناس .. وقضى على كثير من ألوان التعاطف ، وأساء أكثر ما أساء الى العلاقات العامة ، وحكم بالفشل على غير قليل من اعمال النشاط .. فربما توجه اليك من يشعر في نفسه شيئا من النشاط لتعينه ببعض المال يقيم به اود عمله ، أو يتوسع في مجال تجارته ، أو يسد به ثغرة بات خطرها محدقاً به .. فيأخذ العطف عليك جوانبك وتبادر الى عونه فاذا أنت أمام جحود لا يعترف لك بجميل ولا يشعر بما بذلت في سبيله من فدائية ربما كانت في حينها قد كلفتك عنتا في بعض امرك .

وأدهش ما في الأمر ان صاحبك المستهتر واجهك يوم واجهك في طلب العون وهو ارق ما يكون أدبا وأرقى ما تعرف تهذيبا وتواضعا ان لم تقل ضعفا وانكساراً حتى اذا قضى لبانته منك واستطاع ان يتوسع بما بذلت وحل الأجل على اثر هذا أو قل ما بعد الاجل نسي جماع الاخلاق التي سحرك بها وانفتل يوليك عرض اكتافه في استهتار أو يواجهك في عين جريئة .. وربما بلغت به الوقاحة

حدا لا تدري كيف توفق بينها وبين ما بدا لك من تواضعه ورقته يوم جاء مستنجداً .

ان اصحاب النجدة في مثل هذا السياق كثيراً ما يفقدون بسبب اعمالهم في النجدة ألواناً من الصداقات المجاملات والحب .. كثيراً ما يتخيلون أنهم باستجابتهم للغوث والعون يؤدون واجبا للانسانية والود المتبادل ولكنهم لا يلبثون ان يجدوا وبال ما خسروا من علاقاتهم الانسانية وصداقاتهم الودية عند أول بادرة يفكرون فيها مقاضاة ما يستحقونه من ديون عند المستهترين .

اننا بهذا نفقد الثقة في أهم معاملاتنا ونقضى على كثير من ألوان التعاطف ونحكم بالفشل على غير قليل من النشاط بين صفوف الماطلين .



مطل الحقوق قضى على الثقة

« ٢ »

قال صاحبي : تحدثت الى قبل اليوم عن المماطل يستهتر بديون الناس وينسى فدائيتهم في نجدته يوم احاطت به الحاجة فانفتل . ليواجههم بغير الوجه الذي لقيهم به يوم طلب عونهم وكنت اتمنى لو استطعت ان تستثني المضطر الذي حالت ظروفه دون الوفاء فبات معذوراً .

قلت : ان المعسر المضطر عذره الشرع قبل أن اعذره أنا أو أنت ولكن المعذور حرى أن يشعرك باضطراره صادقا في غير ختل أو خديعة .

حرى بان يحترم ما بينكما من أجل فيسبق اليك قبل حلول موعده لينفض أمامك أمره ويقنعك بعجزه لتدلل بذلك على مبلغ تقديره لما تستحق عنده ومقدار عنايته بما ضرب من أجل !!

مثال هذا اذا تبين لك صدقه لا يصح لي أولك ان تسميه مماطلا أو مستهترأ بحقوقك وقد رأيت ان لومي كان مصبوبا على شخص المماطل الذي يشعر ان علاقتك الودودة به انتهت بنهاية شطارته في استدرار مالك .

اتدرى يا صاحبي ان الاستهتار من هذا النوع بات سليقة استمرأها المماطلون حتى أصبحوا يصدرون عنها كما يصدرون عن طبع متأصل لا سبيل الى عصيانه

اولئك قوم اتمنى ان تشاد من اجلهم مستوصفات نفسية تعنى بعلاج ما تأصل في دمائهم ليساهموا باخلاص في بناء كيان بلادهم فالأمم لا يعرقل سيرها شيء ما يعرقله فقد ان الثقة بين افرادها .

وافراد الأمم لا تقوى على العمل المثمر لبلادها ما لم يتعاون موسروها وفقراؤها في اطار من صدق التعامل والثقة المتبادلة .



ليس لنا أن نبيع أطفالنا

قال صاحبي : ما يمنعني ان أثني على اريحية صديقي وعنايته بالبذل في سبيل طفله الذي ارسله أخيراً الى بلد أجنبي ليبدأ دراسته في جو خاص يتفرغ فيه لاعمال الدراسة بعيدا عنه .

قلت : أما أنا فأرى الخطأ كل الخطأ في هذا الذي نسميه عنا ية بالبذل .. انه سيبيع طفله الحدث على البلد الاجنبي الذي اختاره .. سيتركه يتشبع بالروح الاجنبية التي سترعى طفولته وتشرف على تنشئته وسيعود اليه اذا عاد فتى أو شاباً لا يشعر بشعور أهله ولا يحس باحساسهم وربما استهجن كل تقاليد أهله واعرافهم وسخر بكل ما يمت الى حياتهم بأي صلة .

وعندئذ سيدرك مبلغ الجناية التي جناها على بلاده عند ما جعلها تفقد عضواً ربما كان له اثر نافع في تقدمها وسيدرك مدى الاساءة التي أساء بها الى فتاه عند ما هيأه ليعود الى بلاده غريبا عنها يحيا في غير حياتها .

ترى اي عامل يدفعه لان يجني مثل هذه الجناية ما دام طفله حدثا ، وما دامت بلاده تستطيع أن تتولى تربيته وتعليمه الى درجة عالية المستوى .

ربما كان له عذره لو استوفى ابنه كل معلومات بلاده وتعذر عليه ان يتخصص في فن خاص لامكان له في بلاده ان يندبه الى البلد الذي يعني بذلك الفن .

سيرى غدا اصدقاءه الأطفال محفوفين برعاية أبائهم مغمورين بعطف امهاتهم وينظر فلا يرى حوله من يعطف عليه عطف الأم أو حدب الأب فيترك هذا في نفسه أسوأ الأثر سينشأ وفي أعماقه أكثر من عقدة تضطرب لها حياته وتحول دون الكثير مما نرجو لنجاحه .



لم لا نقتبس من هذا ؟

قال صاحبي : ترى لو استطعنا حفظ اللحوم في منى فاي ثروة هائلة نستطيع أن نوفرها لفقرائنا .

قلت أذكر أني قرأت منذ مدة غير طويلة في احدى صحفنا المحلية ان (بيرى هودين) وهو عالم نرويجي هاو في ابحاثه استطاع أن يهتدي بعد دراسات استمرت طول حياته الى طريقه جديدة لحفظ اللحوم والاسماك ومختلف انواع الأغذية .

وطريقته في ذلك كما يقول الخبر مأمونة وزهيدة ولا تحتاج الى استعمال أي آلات تبريد وهي تؤدي مفعولها صحيحا حتى في المناطق الاستوائية ويستطيع محلوله الكيماوي ـ وقد اطلق عليه محلول هودين ـ ان يحتفظ بهيكل الاطعمة احتفاظا تاما بكامل فوائدها الغذائية من البروتين والدهن الى عدة اشهر .

وقد تعرضت طريقته لتجارب طويلة عند ما انكرها عليه كبار الرسميين في بلاده ولكنه استطاع ان يثبت نجاحها وان ينتزع اعتراف السلطات الصحية في النرويج بصحة نتائجها .

كما اعترف بها من عدة سنوات كثير من المزارعين في الريف النرويجي واكدوا صحة مفعولها الذي اغناهم عن تكاليف آلات التبريد ونفقاتها الباهظة .

ولم يقف الامر عند هذا ـ كما يقول الخبر ـ بل تعداه الى منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة التي اهتمت بالطريقة بالغ الاهتمام واعترفت بالمحلول كعامل فعال يضمن سلامة اللحوم والاسماك الى مدد طويلة .

لا أعتقد أن صحيفتنا المحلية تعتمد نشر مثل هذا الخبر الهام الا وهي متأكدة من صحة المصدر الذي تنقل عنه ، واذا صح انها تعجلت النقل قبل ان تتثبت فما يمنعنا ونحن من احوج الناس الى الافادة من مثل هذا الابتكار ان نتصل بالرسميين في النرويج و المسؤولين عن نظم الاغذية في الأمم المتحدة لنحقق صحة الخبر ونتعرف مدى ما يمكن ان نستفيده منه .

ان مئات الألوف من الذبائح في منى ستتكلف عشرات الملايين أو مئاتها في سبيل حفظها في آلات التبريد التي ننوي انشاءها وهي مع هذا لا تضمن لنا سلامة ما نحفظ الى عدة شهور فاذا ثبت أن (محلول هودين) يكفينا مؤونة هذه الانشاءات ويوفر لخزينتنا ما تطلبه من انفاق باهظ فمن السهل اليسير على الجهات المعينة رسميا ان تبادر باتصالاتها سعيا وراء الاستفادة من هذا المحلول السحري .

وليس من شك في ان حكومتنا التي تنفق الكثير في سبيل اسعاد البلاد سوف لا تضن على المعنيين بأمر الذبائح بما تتطلبه انجازات الفكرة من مساعدات مادية وأدبية .

وربما تراءى لها ان تستدعى مخترع المحلول الى بلادنا ليدرس الوضع عن كثب ، ويشرف على تنفيذه اشرافا عمليا اذا صح ما ذكرته الصحف من انبائه .

يُسيئك أن تلحس نفسك

قال صاحبي : ما شكوى هذا الصديق .. فيم هذا التأفف .. فيم هذه الاهات والحسرات التي عاش يطلقها ؟

قلت : انه يبالغ في تقدير نفسه أكثر مما يجب وهو لهذا ما فتئ ينعى كفاءته التي يتخيلها ضائعة .

اكبر ظني أنه انسان فدم ينقصه الذكاء .. والذكاء المتوقد الوهاج الذي ينشئه من جديد فينسيه كفاءته الميته .. ينسيه ان يلحس نفسه .. ينسيه ان يستجر الهموم والأهات .. ينسيه كل الحسرات التي عاشها بين العويل والندب ، ومتابعة فلان الذي نجح في مالا يستحق ، وعلان الذي خدمته مفارقات الحظ .. لينس كل ما يبدد طاقته من هذه الألوان الخابية ليستغلها فيما يهمه من خصوصياته .

ليس التشاؤم في رأيي الا مرضا ينتاب المهمومين بأنفسهم المتعسفين يلونون الحياة أمامهم باللون القاتم ويترك هذا اثره في تفكيرهم فيشل حركته ، وفي ارادتهم فيسلبهم قدرتها .

والمتفائلون ما ظنك بهم ؟

انهم لا يدققون حساب الحياة مهما تنوعت صروفها .

وصديقك هذا هل يعجزه أن يفعل فعلهم ؟؟

ترى ماذا يؤلمه .. هل افتقر .. هل فشل هل خسر هل فاتته فرص . هل سبقه الادنى ؟؟

كل هذا لا شيء بجانب قوة النفس .

ايندم ؟ ايبكي ؟ .. ليفعل هذا أو أكثر من هذا اذا كان يعتقد أن في كل ما يفعله من هذا القبيل يعالج فقره أو فشله أو خسارته أو يعوض عليه ما فاته .

أكبر ظني أنه يعلم أنه ليس في هذا ما يجدي ولقد ناقشته مرة فأمن على ما أقول وأكد أنه يعرف أنه ليس في كل ما يقاسي ما يجديه في الحياة .

ولقد قلت له فيما قلت انك انسان بدأت تصحو .. بدأت تفهم انك مع كل هذا اسعد حالا من الوف اشقاهم الزمان بأكثر مما شقيت .

وما دمت قد استطعت أن تشعر ولو بهذا القدر الضئيل من السعادة فليس ما يمنعك ان تضحك .

اضحك يا صديقي .. واذا استطعت أن تنتزع الضحكة من أعماق صدرك .. وان تنتزعها قوية مجلجلة فقد شفيت ولا ينقصك بعد هذا الا العزم .. والعزم الواكد لتستأنف ما فاتك .. لا تتعسف كثيرا في تفسير ما فات من جهادك .. لا تقلل من شأنه .. حسبك ان ترضى عن نفسك كما هي ولا أكثر .

اذا ظفرت فاضحك فرحاً بما بلغت .. واذا فشلت فلا يعجزك ان تضحك لغرائب المفارقات .



حرام الا نرعى ميزة البدوي

قال صاحبي : الا تلاحظ ان بعض البادين يهبطون بعض المدن الكبيرة بحثا عن الرزق فلا يستسهلون شيئا ما يستسهلون العمل في وظائف الحكومة .

قلت : انها نعرة توارثوها في دمائهم وقد بات اليوم اكثرهم يشعر بخطئها فلقد عاش العربي القديم في باديته يعتز بعمله في خدمة ابله وما شيته وصناعة ما ينتج من أصوافها واوبارها وألبانها وهو بعد هذا يستخف بكل عمل يزاوله المدني الا أن تكون زراعة في أرض أو تحطيباً في رابية .

كان يرى ان سائر الاعمال من حدادة الى نجارة الى مئات من هذا السياق لا تليق بشرف عروبته وهي فكرة حددت سلوكه وتركته احقابا طويلة يعيش حياة متخلفة راكدة وانت تقرأ اليوم في قصصهم القديمة ألوانا من العنت الذي كانوا يقاسونه عندما تمسك السماء وتجدب الأرض وتهلك الماشية فلا يجدون ما يقيم أودهم ولا يحذقون من أعمال الحياة ما يدر عليهم كسباً يعيشون به .

كانت فكرة خاطئة أشاعها جهل البادية وتركها تتأصل في حياتهم وتتوارثها أجيالهم كعقيدة لا تقبل الهوادة ولا يجدي لعلاجها أي محاولة للاقناع .

ولكنا اليوم ونحن على أبواب اشراقة جديدة بات أملنا جد واسع في هذه

المدارس الجديدة التي عمت أكثر البوادي وتغلغلت أو تكاد في أبعد المضارب والمنازل .

ان المبادىء المتوارثة مهما بلغت فداحة اخطائها لا يكفي لمحوها ان نحاربها بأمضى الأسلحة أو أبلغ الأقوال انه لا يزلزلها الا تفتق الوعي وانفتاح المدارك وتهيئتها لتغدو مرنة تتفحص الأفكار وتفهمها وتناقش أخطاءها بروح مستقلة لا يقيدها فهم مألوف ، ولا عادة متوارثة .

ولا يضمن مثل هذه المرونة بصورة مستوفية الانشر التعليم في اطار مدروس ومنهج يتناول تثقيف العقول وتمرينها على الاستنتاج والمناقشة أكثر مما يتناول استظهار المقرر واثباته بصورة آلية .

انه اذا تفتق ذهن العربي البادي في خيمته ، واتسع ادراكه بتأثير ما تنشره مدارسنا اليوم من وعي فسوف لا يعجزه ان يتفهم الاشياء على حقائقها ويدرك ان التصنيع بكافة أنواعه وفي مختلف مجالاته من أقوى دعائم النهوض بالأمم ، وانه لا يخل بشرف الرجل أو اصالة محتده ان يزاول اي عمل في دنيا الصناعة يغنى حاجته ويضيف به الى بلاده لبنه ذات أثر فعال .

واذا كان من المشاهد الملموس ان في ذكاء البدو في بلادنا وتوافرهم على الجلد والعزيمة مالا يقل عن طاقة أي عامل منتج فحرام الا نرعى مثل هذه الميزات ونستغلها لنفعهم وصالح مواطنهم .

ان آمالنا معقودة بهذه الخطوة الجديدة التي خطوناها في سبيل ثقافتهم ورجاؤنا ألا يطول الشوط حتى نراهم وقد اتسعت مداركهم لفهم الحياة على حقائقها واقبلوا بروح رياضية يصافحون مجالات الاعمال الحرة في كافة وجوهها .

يعنون حتى بآثار الاسلام !!

قال صاحبي : يبدو ان عناية الاوربيين بدراسة الفنون الاسلامية لا تقل أثرا عن عنايتهم بأثار الاسلام العلميَة والأدبية والاجتماعية .

قلت : لقد عنوا بالفنون الاسلامية عناية لم يتهيأ للمسلمين مثلها وقد جاءت الحرب العالمية الثانية على متحف جد واسع كان قد أقيم في برلين العاصمة الألمانية .. كان يضم مجموعة ثمينة من آثار الفنون الاسلامية عثر عليها المنقبون في حفرياتهم من أقطار الإسلام فالتهمت الحرب جميع القطع المعروضة ، ودمرت المعرض تدميرا لا يرجى له حياة بعد ما حدث .

ومع هذا فان في معارض الأثار في اسبانيا وفي فرنسا وفي روسيا وايطاليا اجنحه لا تزال ناطقة بروائع القطع الفنية الاسلامية التي لا تضاهيها معارض الاثار الاسلامية في سائر بلاد الاسلام التي حاولت العناية بالآثار .

يذكرني هذا بقصة فريدريك سار العالم الاثري المعروف فقد كان مغرما بالهندسة المعمارية والمباني الأثرية الاسلامية منذ صباه فلما بلغ اشده واستوى شرع يطوف باقطار الاسلام فزار آسيا الصغرى وايران والتركستان وانفتحت أمامه ميادين جديدة من ميادين الفن الاسلامي فاستأنف طوافه في سنة أخرى

فزار المناطق الواقعة على ضفاف دجلة والفرات واستغرقت رحلته هذه نحو أربع سنوات قضاها في التنقيب والحفر ثم انتقل الى منطقة سامراء فاكتشف آثارا رائعة تعود الى عصر العباسيين ثم انتقل الى الشام فجاس خلالها باحثا منقبا حتى اجتمعت له من كل هذه الرحلات مجموعة كبيرة مصنوعة من الخزف أو النحاس أو الزجاج .

كما اجتمعت له طائفة كبيرة من الرسوم والخطوط والتماثيل فعاد الى بلاده بهذه الثورة الطائلة واستطاع أن يتصل ببعض الممولين فأعجب بالفكرة بعد أن أطلع على تفاصيلها ، وندب له من يساعده على تنظيمها وتبويبها فوضع لذلك أساسا لفن البحوث الأثرية الاسلامية وخلق نظاماً خاصاً من شأنه أن يبوب الآثار حسب مختلف عصورها وتعدد شعوبها فارجع ما كان عائدا منها لاصله العربي أو الفارسي أو السلجوقي أو التركي أو الهندي أو الاندلسي .

ونشر عدة بحوث عن نتائج دراسته الاثرية الاسلامية في عدة مجلات علمية وفي كتاب صدر في خمسة مجلدات تحت عنوان (بحوث في الفن الاسلامي) .

فاذا تهيأ لبلادنا من يتعشق الفنون الأثرية وينشط لمتابعتها والتنقيب في مظانها وتهيأ لها من أصحاب الثروات من يحتضن الفكرة ويبذل في سبيلها فاننا نحاول بهذا ان نجاري غيرنا في هذا المضمار .

واني أعرف شخصا في مكة عنى بجمع مئات القطع الأثرية ذات الأثر التاريخي وهو ينتظر من أصحاب الثراء من يعطف على فكرته ويساعد على بروزها في اطار مشرف فعساه يجد من يلبي رغبته ويمد اليه يدا تساعده .



تحديد النسل في بلادنا

قال صاحبي : قرأت بحثا مطولا عن توزيع الصحف في كثير من بلاد العالم المتمدن فتراءى لي اننا بالنسبة لذلك في حاجة قصوى الى نشاط مضاعف يجارى امما سبقتنا في مضمار القراءة والاطلاع .

قلت : هو ذاك .. ففي الاخبار الأخيرة ان احدى مؤسسات الاستفتاء في بلد أوروبي تراءى لها أن تستفتى مواطنيها عن مبلغ عنايتهم بقراءة الصحف اليومية فاظهر لها الاحصاء ان ٨٥ ٪ من السكان يطالعون الصحف اليومية بصورة مستمرة ويستقون اخبارهم منها وان ١٥٪ فقط لا يقيدون انفسهم بها في صورة مستمرة واذا علمت بعد هذا ان سكان تلك المنطقة التي جرى الاستفتاء فيها يبلغ نحو ٧٠ مليون علمت المدى الذي يتسع له توزيع الصحف .

صحيح أن شعوب العالم الراقي شعوب قارئة وان القراءة وحدها دعامة الوعي المتفتق والذهن المتفتح وانها السبيل الى فهم الحياة ومجاراتها في أحدث وسائل الازدهار والتفوق ولكننا لا يجب أن ننسى أن لتعداد السكان دخلاً كبيراً في اتساع مدى توزيع الصحف ويأتي بعد هذا في درجة ثانية اقبال المواطنين على فن القراءة وعنايتهم بتتبع كل ما تخرجه المطابع من صحف سيارة أو مجلات علمية أو كتب مؤلفة .

والأمر في شأن زيادة تعداد السكان لا يقتصر على رواج الصحف فحسب ذلك ان سائر أعمال الانتاج في سائر المجالات يتوقف نجاحه على وفرة السكان وكثرة تعدادهم فان مصنعا للكبريت أو اطباق الطعام أو أقلام الكتابة أو ورق المطابع لا تنجح اعماله في بلد صغير محدود السكان بقدر ما تنجح في بلد واسع يتمتع بوفرة سكانه وزيادة عددهم .

لهذا كانت أمريكا من أغنى بلاد العالم فان مصنعاً ينشأ في اي طرف منها يجد من اسواقها متسعا للرواج قليل النظير ولهذا كان المستعمرون في أكثر بلاد أوربا يهمهم أن تتسع مستعمراتهم ليجدوا متنفساً لمنتوجاتهم واسواقا مفتوحة لمصنوعاتهم .

ربما اعتمد الاقتصاديون على نشاط التصدير في ترويج بضاعتهم ولكنه اعتماد مهما بولغ في شأنه لا يبلغ مبلغ التسويق الداخلي في أمم وافرة السكان .

نتبين من هذا ان فكرة تحديد النسل التي تنادي بها كثير من الأمم لا تتفق كثيرا مع وضعنا فربما كنا أحوج من كثير لزيادة تعداد سكاننا سيما وبلادنا واسعة شاسعة تستطيع أن تستوعب اضعاف سكانها اليوم .

اذا تهيأت هذه الوفرة لبلادنا استطاع المنتجون ان يجدوا رواجاً واسع النطاق وإذا ظل أفق التعليم على حاله يتسع سنة بعد أخرى تفتق الوعي واتسعت حاجة المواطن وفهم واجبه نحو ما ينتجه وطنه لا في مجال الصحافة وحدها أو التأليف وحده بل في سائر ميادين الإنتاج والتكنية .

فليس لنا أن نجمد على رأي ونغفل تجارب الحياة واحتكاك العقول بأحداثها

لا نقول ان علينا ان نسلم بكل ما يقال وما يدعيه أصحاب النظريات لا .. ولا ان نرفض كل ما ينتهي الينا لمجرد الرفض .

يجب علينا أن نمرس عقولنا على دقة الفهم وحسن الاختيار .

———

في سبيل التطوير التربوي

قال صاحبي : لعلك تستغرب ان ينشأ طفل في بيته على وتيرة قوامها العقاب البدني بسائر اصنافه ثم نطالب المدرسة بعد ان الف طفلنا هذا اللون من التربية الا تشرع عصاها في وجهه .

قلت : هو ذاك ولهذا ابتكر علماء التربية عقد ندوات تجمع بين هيئات التدريس في المدارس وبين أولياء أمور الطلبة ومن المسلم به ان من أهم ما يعنى به في هذه الندوات ان تتفق المدرسة والبيت على وسيلة موحدة في اسلوب التربية فلا يفسد البيت ما تبنيه المدرسة ولا تمضي المدرسة على سنن يخالف ما هيأه البيت .

وقد اخذت وزارة المعارف في بلادنا بهذا الرأي فانت تسمع بين كل آونة وأخرى أخبارا عن مديريات التعليم هنا أو هناك تدعو الى مثل هذه الندوات التي تجمع بين اولياء أمور الطلبة وهيئات التدريس بحضور بعض المتخصصين في شؤون التربية ليدرسوا معاً أفضل الوسائل لتربية النشء ويناقشوا ما يعترضهم من مشاكل في هذا السبيل .

واذا كان لمثلي ما يتمناه في هذا الصدد فليس الا ان تعنى المدارس المنفردة في بوادينا القاصية بهذا الرأي فتكثر من عقد الندوات التي تجمع بين هيئات

التدريس واولياء الطلبة ولا بأس من أن تطلب من مديريات التعليم المسؤولة عنها انتداب بعض رجال التربية لحضور هذه الندوات ليتولوا نقاش من ينقصه فهم بعض الوسائل الحديثة في التربية اذا وجد في قرانا النائية من اولياء طلبتنا أو بعض مدرسينا من لم يقتنع بعد بآخر ما احدث علماء التربية من نظريات تربوية .

يا صاحبي ليس لنا ان نقف عند معارف جيلنا من نظريات الحياة فقد عاشت الحياة من اول يوم عرف الانسان فيه الارض وعايشها تفتح آفاقها للتطوير فليس ثمت اليوم نظرية واحدة كانت تعيش قبل آلاف السنين وظلت على حالها لم يتناولها التطوير أو التغيير .. هناك آلاف النظريات ان لم نقل ملايينها قنعت بها أجيال وأجيال ثم ما لبثت ان احتكت بآلاف ان لم نقل بملايين من حوادث التجارب فكشفت عن حقائق الزمت الانسان العاقل بان يدير ظهره الى ما ورثه منها فيلغيها أو يتناولها بالتطوير والشذب .

هناك شيء واحد غني عن الشذب غنى عن التطوير هو ما ثبت من كتاب الله أو سنة رسوله بوجه صحيح ثابت اماما عدا ذلك فليس لنا أن نقف عنده جامدين .



هل نربط اقتصادنا ؟

قال صاحبي : الا ترى اننا وبلاد الشرق الأوسط في حاجة الى ربط اقتصادنا بدول الرابطة الاقتصادية الاوربية أو تكوين رابطة بيننا على غرار ما فعلت أوربا .

قلت : أرى اننا في حاجة الى ان نتريث طويلا وطويلا جداً قبل أن نخطو خطوتنا في مثل هذا المجال .

ان من أهم الاخبار الأخيرة التي يجب ان نطيل النظر فيها وان نحقق قدرتنا على مجاراتها ما قرره مجلس الرابطة الاقتصادية الاوربية في شأن منح التسهيلات لسائر الافراد الذين ينتمون الى دول الرابطة .

ومثلك في سعة ادراكك لا يجهل أن منح التسهيلات يعني أن للفرد العامل في أي دولة من دول الرابطة سواء كان الفرد طبيبا أو محاميا أو ميكانيكيا أو كهربائيا أو صانعا في أي مجال .. لهذا الفرد أن ينتقل بمهنته التي يباشرها الى أي دولة يختارها لينزل أي مدينة أو قرية يراها فيباشر عمله بأي شكل يتراءى له وعلى الدولة المضيفة أن تقدم له جميع التسهيلات اللازمة وان تنظر اليه نظرتها الى المواطنين من رعاياها .

ان مثل هذه التسهيلات تعني الحرية الكاملة المتبادلة بين دول الرابطة فيستطيع الطبيب الهولندي أن ينقل عيادته الى مرسيليا اذا شاء أو يجعل لها فرعا في باريس ويستطيع المزارع الايطالي أن يبيع مزرعته في ايطاليا ليؤسس بدلها في هولندا أو المانيا دون أن يجد في مقره الجديد عائقا يعوقه أو نظاما يحدد نشاطه ، ويستطيع حتى الحداد في ورشة والميكانيكي في مصنع ومراسل الاخبار في أي جريده والعامل في أي فرع من اصلاح السيارات ان ينقل عمله الى أي مدينة في أي دولة من دول الرابطة ليباشر فيها مهنته في بحبوحة من التسهيلات .

وبهذا الغيت بين دول الرابطة جميع القيود واللوائح التي كانت تعوق الفرد في عمله خارج حدود بلاده ، كما الغيت جميع الانظمة التي كانت تميز العامل الوطني عن أي طارئ غيره كما الغي كل تحديد للاقامة في البلد الاجنبي من بلاد الرابطة وأصبح العمال من كل هذه البلاد يستطيعون ان يبحثوا بالتساوي عن أي عمل يتهيأ لهم في أي دولة يختارونها كما اخذت البيوت الصناعية والتجارية تفتح فروعها في أي مكان شاءت ووجد القطاع الزراعي مجاله واسعاً في أي بلد يختار .

ان دول الرابطة لا ترى في هذه التسهيلات الجديدة ما يسيء الى اقتصاد ياتها لان بلادها تكاد ان تتكافأ استعداداتها في جميع المجالات الحيوية فاذا هي أفسحت لاي يد اجنبية مجال العمل فانها بما فعلت تربح لرعاياها مجالات مثلها أو أوسع منها في أي دولة يختارونها .

ولكن الحالة في اكثر بلاد الشرق الأوسط لا تتناسب وهذا التنظيم هنا دول سبقت غيرها بعشرات السنين وعشراتها في جميع ميادين الأعمال فباتت الاستعدادات غير متكافئة ومعنى هذا ان مثل هذا التنظيم اذا اتاح لرعايا دولة واسعة التصنيع حرية العمل في دولة جديدة على الحياة فانها بهذا اخذت الطريق على الأيدي الجديدة في البلد الجديد ولا يجد البلد الجديد فرصه كافية للاستفادة من طاقة عماله خارج حدوده على قاعدة المثل .

وبهذا تضيع الفائدة من عملية الترابط وتخسر الدولة الجديدة كلما يحقق مكاسب غيرها من دول أخرى سبقتها إلى ميادين التكنية والتصنيع .

التعليم المهني

قال صاحبي : كنت في بعض رحلاتي الى الخارج امر ببعض القرى فاشاهد بعض الفلاحين منهمكين في بناء بيوتهم الصغيرة يشتركون في العمل مع أطفالهم وبناتهم وبسؤالي عرفت أنهم غير مأجورين للعمل فيها فهي تخصهم يبنونها لسكناهم انفسهم فمنهم النجار والبناء والمبلط والمبيض كما عرفت انهم ليسوا من أصحاب هذه المهن وانهم يقحمون انفسهم فيما يعملون فتتم اعمالهم غاية في البساطة في شكل يقيهم الحر والقر ويجمع شتات أفرادهم .

قلت : لقد كان هذا ديدن سائر بوادينا وقرانا بل مدننا الصغيرة قبل ان يغزونا الغنى والرفاه بل كان البادى يصنع انيته لنفسه وينسج فرش بيته ، ويحوك ثوبه الى جانب ما يزرعه لطعامه ولا يحتاج سوق المدينة الا لما ندر من حاجاته .

اما اليوم وقد بدأنا خطواتنا الأولى نحو الحضارة شرعنا ننسى اكثر مميزاتنا الفطرية ونتواكل .. وتلك احدى مآسينا .

ان الشعوب الفاهمة لا تنسى وهي تتحضر مميزاتها الفطرية ولا تتوانى في رفاهها عما الفت من نشاطها المهني بل إنَ بعض البلاد التي حققت شوطاً بعيداً في حضارتها باتت تتوسع في مناهجها لتعطي الاعمال المهنية نصيبها الوافر من حضارة الفرد .

ولقد قرأت في احدث ما قرأت عن بلد أوربى أن مجلسه البلدي قرر تعميم التعليم المهني في مدينته بشكل الزامي وجاء في حيثيات هذا القرار أنه لا يكفي للعامل المحترف ان يجيد مهنته التي يحترفها فربما حال دون رواجها حائل وضرب القرار مثلا بعمال بعض المناجم التي توقفت مناجمهم عن العمل كما لا يكفى الموظف ان يستغني بوظيفته عن حرفة مهنية يستعملها فربما عاكسته بعض الظروف في وظيفته أو أحيل الى المعاش في سن صالحة للعمل فلا يجب أن يعيش تحت رحمة الظروف أو رحمة معاش يحدده سن التقاعد لهذا كله لا بد لكل فتى أو شاب أو كهل أن يتعلم في أوقات فراغه مهنة أو أكثر تتفق مع مؤهلاته واستعداده الجسمي والعقلي ليعتمد ما تعلم اذا خانته ظروف عمله أو شعر بحاجته الى ما يزيد دخله .

ومن أجل هذا يرى المجلس البلدي ضرورة التوسع في انشاء مدارس مهنية تضم عشرات الحرف وان توزع حصصها بين الأوقات التي يتاح للمتعلمين من كل الدرجات ان ينضموا اليها ليأمنوا بما يتعلمون على حياتهم العملية .

ويرى هذا المجلس أن التطور الاقتصادي السريع والتقدم الفني والميكانيكي في كافة المرافق الصناعية يفرض بين الحين والآخر إحداث حرف جديدة تقتضيها أوضاع الحضارة الجديدة ، ويطمر حرفا قديمه فيتعين على المدارس المهنية ان تجارى محدثات المهن وتهيئ المواطنين لمزاولة أي عمل محدث ليجدوا فرصتهم في رواج السوق ويغنوا مدينتهم في كل مرفق .

هذه هي الحضارة في ادق معانيها .. أما أن نفرح لقشورها ونسعد برفاهها ونعيش على هامشها متكلين على ما تصنعه اليد الأجنبية وما تحمله الينا من محدثاتها وننسى حتى صناعاتنا التقليدية ثم لا نجاري ما تطوره الأمم من محدثات فذلك ادنى ما يعرقل سيرنا ويحول دون تقدمنا في الحياة .

جهود العاملين من أسلافنا

قال صاحبي : الا ترى ان متتبعي تراجم رجال الحديث وسيرهم بذلوا الكثير في سبيل تحقيق ما ترجموا .

قلت : لقد كانوا مضطرين لبذل ما عانوا لأن السبيل أمامهم لم يكن سهلا ميسورا فقد انطوى جيل النبوة عن مئات الألوف ممن عاصروا النبي (ص) وصحبوه وحفظوا عنه ثم تلاهم مئات الوف أخرى كانوا معنيين بالنقل عمن سبقهم ليبلغوه الى من خلفهم طبقه بعد طبقة وجيلا بعد جيل .

فلما ندب أصحاب التراجم انفسهم فيما بعد لتحري حقيقة الحافظين والناقلين كان عليهم أن يدرسوا أحوال هؤلاء فيضبطوا انسابهم وتواريخ ميلادهم وان يعنوا بأحوال كل شخص على حدته عناية تقرر حقائقه العلمية والاخلاقية والعقلية وتعين درجته من الجرح والتعديل ليستوي حكمهم على حقيقة ما نقل أو روى فاقتضاهم ذلك بذل الجهود التي ترى أنها قليلة النظير .

كان بعضهم يسهر الليالي الطويلة بين التنقيب والبحث وتكلف بعضهم الاسفار الشاقة بين الأقاليم النائية،والبوادي البعيدة سعيا وراء الكشف عن حقيقة رجل ، واخذا من رواة الحديث ، وتعقيبا على خلة سمعوها عنه لها قيمتها في تجريحه أو تعديله .

تلك مشاق نستطيع ان نؤكد انه لم يسبق الى مثلها في تاريخ الأمم استطاع المجدون من هذا النوع بما بذلوا من راحتهم وأوقاتهم ان يغربلوا ما تناقل اليهم من ألوان الأحاديث المروية عن رسول الله (ص) غربلة تفرز درجاتها وتعطيها قيمتها من الصحة .. فابتكروا لها من الالقاب والكنى ما يعين حقيقتها فمن حديث صحيح ، الى حسن الى مرسل ، الى غير ذلك من القاب تواضعوا عليها ليتفقوا على درجتها من الكمال .

وتصدى بعضهم لاكثر من هذا فتعقبوا الاحاديث التي اختلفت نصوصها ، وتفننوا في دراسة وجوه الخلاف فيها ، وبذلوا الكثير في استقصاء رواتها ، واستقراء مواطن الضعف في من عرف منهم بضعف وكانوا يعلنون ذلك في صراحة ووضوح افادت المشتغلين بعلم الحديث وساعدتهم على تصنيف الجيد والردىء .

وجاء المجدون من رجال اللغة العربية يتعقبون آثار رجال الحديث ويقلدونهم في استقصاء رواة مفردات اللغة ويغربلون رواتها ، ويبحثون عن رجال السند المتصل في الرواية الواحدة سعيا وراء الكشف عن حقيقة الناقل وتعيين درجته من الجرح والتعديل !!

رحل أكثر المعنّيين بهذا الى الاطراف البعيدة في البادية ليناقشوا الاعراب في كلمة مفردة أو لفظ مركب .

كل هذه جهود لو توافرنا اليوم على بعضها فيما يهمنا تحقيقه من مقدارتنا لكان لنا غير هذا الشأن الذي نعيشه .

كيف يُخطِّط اليهود ؟

قال صاحبي : الا تعجب لليهود وقد انتشروا في أكثر ممالك الأرض وتوزعوا في أقطارها فأصبح منهم الأمريكي والانكليزي والفرنسي والايطالي والافريقي والعربي ايضا ومع هذا لم ينسوا يهوديتهم كجامعة . فهم يمدون قومهم بالأموال ، ويساعدونهم بالنقود بينما لم نجد نفس هذا الأثر بمثل هذا الاهتمام في جالياتنا العربية التي انتشرت في أكثر بلاد العالم .

قلت : انها قصة النسيان التي ذكرت فأكثر العرب المهاجرين في أطراف الأرض ما لبثوا أن اندمجوا في بيئاتهم الجديدة .. لا أقول اندماجاً كليا فان المهاجر الأول لا يفقد حنينه الى مسقط رأسه مهما كانت نسبة الحنان . ولكن الاجيال التي تخلفه جيلا بعد جيل كثيرا ما تنسى مسقط رأس الجد ، وتميل بعواطفها الى البلاد التي انشأتها على العكس اليهود الذين لا ينسون انهم يهود مهما تفرقت بهم البلاد ومهما توازعتهم الأجناس ، ومهما تعاقبت عليهم الأجيال .

ولا يقتصر الأمر على هذا فالمشاهد المعروف ان الجاليات العربية مهما بلغت نشاطاتها ، واتسعت جهودها قل ان تجد بينها من يستطيع ان يسيطر على عالم المال أو المناصب العالية أو الجاه النافذ بقدر ما فعل اليهود .

فانت اليوم لا تستعرض الاحوال العامة في أي دولة من كبريات الدول

إلّا وجدت اليهود يحتلون أهم المناصب الرئيسية فيها ووجدت لنفوذهم أكبر الأثر في توجيه السياسة العامة فيها .

وهم الى هذا يسيطرون على أهم الأعمال تجارية أو صناعية ويمتلكون من ناصية التعليم ما يستطيعون توجيهه بصورة غريبة اما الصحافة وأما وكالات الانباء في كثير من بلاد العالم الراقي فحدث عن مقدرتهم في استخدامها ولا حرج بل ان كبريات الصحف وأهم المؤسسات العالمية للانباء تمولها أموال يهودية ويشرف على توجيهها زعماء اليهود .

وهم الى هذا يمولون اعظم المسارح أهمية في أوربا وأمريكا ويمتلكون أكبر المؤسسات السينمائية ويشرفون على كثير من دور النشر والتأليف وينفقون عن سعة لشراء كل من يعترض سبيل دعايتهم عن طريق التأليف أو الصحافة أو الاذاعة أو التمثيل حتى باتت أهم هذه الوسائل تعمل لخدمتهم وتخضع لتوجيههم

فهل لنا أن نقيس هذا بجهود الجاليات العربية في أقطار الأرض وأكثرها جهود فردية لا تسيطر على اتجاه ولا تملك من النفوذ المادي أو الجاه الرسمي ما يهيئها للتوجيه والتخطيط ؟



كيف يعتنون بعجزتهم !!

قال صاحبي : الا ترى ان على اثريائنا وكبار بيوت المال فينا ان ينظروا الى العاجزين والمقعدين نظرة خاصة تهيئهم للعمل الكاسب لا على غرار ما نشهده من توزيع الاحسان عليهم في صور نقود أو ما اليها مما لا يفى بحاجة المضطر العاجز .

قلت : لقد لاحظت تطبيقا لهذا الرأي في أكثر من بلد في أوربا .. وأدهش ما أدهشني فيما رأيت قصة مؤسسة تجارية تعمل في تصدير النحاس .

أرادت هذه المؤسسة أن تخدم العاجزين عن العمل في مدينتها عميانا ، أو مقعدين ، أو مبتورة أيديهم فأنشأت دارا خاصة تجمعهم لا لتطعمهم أو تؤويهم فقط . بل لتعلم كل عاجز مهنة تتفق وعاهته ليعيش منها وعلى العاجز اذا اتقن ما تعلمه ان يغادر الدار الى حيث يستطيع الافادة مما تعلم ليعيش من كسب يده ويستغنى عن سؤال الناس .

وكنت قد سألت بعض المسؤولين عن الدار ماذا يصنع العاجز بمهنته التي تعلمها في الدار اذا غادرها صفر اليدين لا يملك من المال ما يهيئه للعمل فقال ان الدار لا تدفعه الى الحياة العامة دون ان تسلحه لمواجهتها وحسبك أن تعلم أن نظام الدار يقضى بتعيين مرتب يومي متواضع لكل من يلتحق به من العجزة ابتداء

من يوم دخوله وهي لا تدفع له من هذا المرتب اليومي الا ما تدعو اليه حاجة ملحة يقنع بها المسؤول في الدار ليتوفر له في صندوق الدار أكبر قدر ممكن من المال يستطيع أن يهيئه لعمله المقبل . وهي الى هذا لا تبيح له ان يغادر الدار حتى يتحقق لها نوع العمل الذي سيشغله اذا ترك الدار فاذا بدا لها أنه لا يستطيع أن يزاول عملا يستقل به ابقته في الدار وكتبت الى المحال المهنية والبيوت الصناعية في المدينة تعرض عليهم امره وتعين مستواه المهني فاذا وافاها من يوافق على استخدامه براتب ترضاه له اسلمته الى الجهة المطالبة وظلت مشرفة على علاقته بالعمل الجديد .

وربما شعر بعض المتعلمين في مؤسستها بقدرتهم على أن يستقلوا بأعمالهم دون حاجة لان تلحقهم بأي مصنع ففى مثل هذا يتعين على العامل أن يقدم من ذويه من يتعهد بأ لا يعيش عاطلا وان يزاول ما يتعلم لكسب عيشه والا فان المتعهد به مسؤول عن دفع جميع ما انفق الدار على تعليم العامل .

يقول هذا المسؤول : أن الفكرة الأساسية التي تعمل مؤسستنا من أجلها الا يعيش عاجز في مدينتنا عالة على سؤال الناس لهذا فنحن لا نتيح له مغادرة الدار حتى يثبت لنا قدرته على العمل الذي يعوله .

فليت بيوتنا المالية وأصحاب الاحسان فيها بوجه خاص تتسع مفاهيمهم لمثل هذا اللون من الاحسان .. اذن لا ستطعنا أن نعالج أهم ادوائنا في الحياة .



بين العبقرية والجنون

« ١ »

قال صاحبي : كنت ذات أمسية اتنزه وبعض اصدقائي في بعض بساتين الطائف فتناهى الينا صوت ناي رائق اللحن عذب وعند ما أخذنا سمتنا اليه اذا صاحبه معتوه لا يفهم ما يقال فكان مشهده موضع عجب لا يدانى ..

قلت : لا عجب فيما أرى فالحواجز بين المعتوهين والعباقرة ادق من ان تستبينها ولقد تعمق أكثر من بحاثه في دراسة الحدود الفاصلة بين النبوغ أو العبقرية من جهة والعته أو الجنون من جهة أخرى فلم ينتهوا الى نهاية يصح الوقوف عندها .

وانت ترى هذا مشاهداً فأكثر العباقرة وأكثر النوابغ لا يحسنون معاشرة غيرهم ولا يتقيدون في المعاملات العامة بما يجب أن يتقيدوا به وانت ترى في أكثر تصرفاتهم من الشذوذ ما ينفى عنهم مسكة العقل أحيانا .

اعرف فنانا من أشهر عباقرة الكمان في بلد عربي كتبت الصحف عن شذوذه اغرب قصة تكتب فقد كان مدعوا لاحياء حفلة كبيرة في بلد ما ولما حضر انتظر الناس ان يطربهم ويشنف اسماعهم فلم يفتح له بشيء كما قال وحاولوه ليداعب كمانه بأية محاولة يراها فأقسم أن يده لا تطاوعه ليمسك بالكمان : ولما اكثروا عليه في غير جدوى وكان الليل قد أوشك على نهايته أبى الا أن يستأذن للخروج

وما مضت بضع دقائق حتى سمع صوت كمانه يملأ الجو حنيناً آتيا من نافذة قريبة من بيت يسكنه صديق له . ولما عوتب في هذا اقسم اغلظ الايمان انه لا يدري لم عصاه النغم وكيف واتاه .

هذا لون من معاشرة بعض النوابغ وهو كما أراه لا يختلف كثيراً عن تصرفات أي مجنون ..

وفي أوربا اليوم يعنون ببعض المجانين ممن تتجلى مواهبهم في الرسم أو التصوير أو الموسيقى ويرون أنهم ربما اكتشفوا الوانا من نبوغ المجانين لا تختلف كثيرا عن مواهب العباقرة المشهورين ويؤكد عالم نفساني ان من مواهب بعض العباقرة ما يسلكهم مسلك المجانين .

وقد قرأت من أخبار مونيخ أن نفرا من أطباء العقول فيها استطاعوا فتح معرض خاص عرضوا فيه رسوماً ولوحات زيتية خطتها ريش المجانين في مصحات من المانيا والنمسا وهولندا والنرويج وان بعضها أثبت لبعض المجانين مواهب لا يحلم بها فنان عادي بل ولا تقل روعتها عما تخطه ريشة نابغة من نوابغ العصر فلاتستغرب على صاحبك المعتوه ما رأيت فربما اكتشف العلم في أعماقه مواهب عبقرى نابغة .

ونحن نشاهد في بعض المعتوهين في بلادنا تجليات غريبة يسمون بها الى اوج لا نعرف كيف نفسره ولو درسها العلم لادرك أنها بعض معاني العبقرية كما نشاهد من تصرفات بعض العباقرة وشذوذهم ما يجمعهم بالمجانين في كثير من بدواتهم .



بين العبقرية والجنون

« ٢ »

قلت لصاحبي : كنت تحدثني الى قبل أيام عن المعتوه الذي صادفته يشجيك بأنغامه على الناي وكنت رأيت في هذا ما أثار عجبك وهالك ان يصدر مثله من مجنون .

وكان من رأيي أن الحواجز بين المعتوهين والعباقرة أرق من أن نستبينها وذكرت لك ما أعرفه عن بعض الباحثين الذين تعمقوا في دراسة الحدود الفاصلة بين النبوغ والجنون فلم ينتهوا الى ما يصح الأخذ به .. الى أن قلت لك ان في أوربا اليوم مجانين تجلت مواهبهم في الرسم أو التصوير أو الموسيقى ، وان اطباءهم باتوا يعنون بهذه التجليات ويهيئون لاعمالهم الفنية معارض خاصة يعرضون فيها رسومهم ولوحاتهم الزيتية .

وأزيدك اليوم انني قرأت عن معرض متجول يزور المدن الراقية في أوربا وأمريكا يعرض جديداً من هذه اللوحات والرسوم وأكبر ظني انهم بهذا العرض المتجول العام يخدمون فكرة لها قيمتها العلمية . انهم يتوخون من وراء ذلك ان يصادف العرض بعض الباحثين من كبار العلماء فيستطيع أحدهم أن يبنى على ما يرى نظرية تفسر ما يتجلى من مواهب المجانين في لوحاتهم .

ومن طريف ما قيل عن أكثر هذه اللوحات انها تعرض رسوما لا تختلف عن

غيرها مما عرف من لوحات الفنانين العاديين وان بعضها ربما تفوقت عن مستوى رسوم الفنان العادي .

ومما لوحظ على مجموعة الرسم المعروضة انها تمثل الفن على مختلف مراحله سواء كان ذلك الرسم كلاسيكيا يرسم الأشياء على حقيقتها الأصلية أم رمزيا يتباعد شيئا فشيئا عن الأصل الى أن يبلغ الفن التجريدي الذي شاع أخيراً ورأينا بعض نماذجه هنا في بلادنا بريشة فنانينا الجدد الذين تعشقوا الهوسة التجريدية وأسميها هوسة لأني انسان كلاسيكي فيما يبدو أتعشق رسم الطبيعة كما خلقت بينما يرى فنانونا الجدد ان يطلقوا العنان لخيالهم وتصوراتهم البعيدة حتى ليشكل على مثلى ان يفهم ما يقصده الرسام قبل أن يصور لي فكرته ويضع يدي على الخطوط التي ارادها ليعبر عما تخيله .

ومما لفت نظر بعض المشاهدين ان بعض الرسوم زادت فيها الألوان الفاقعة القوية وان بعضها بالغ الخيال في اشكال تدخل الهلع على النفوس ، أو تبدو عليها مسحة غريبة غير معهودة في الواح غيرهم من اصحاء العقول مما جعل بعضهم يستنتج انها في واقعها تعبر عن أشياء خفية مدسوسة في العقل الباطن الذي يهيمن على ريشة المجنون في أكثر أحواله .

انها دون شك ظواهر لها معانيها الدقيقة وهي لا تزال الى اليوم قيد الدرس وهم يؤمّلون الا يعجز العالم على ضوئها ان يحدد الحدود الفاصلة بين العباقرة والمجانين .



يبذلون أرواحهم في سبيل الإنسانية

قال صاحبي : ما هذه الفدائية التي قرأت عنها أخيرا في قصة الدكتور العربي نزيل أمريكا الذي جرب مصل الحمى الصفراء في نفسه ليدرس أعراضها ويكتشف أثر العلاج الذي ابتكره لتخفيف آلامها والقضاء على جرثومتها تدريجيا فما لبث أن اغتالته الحمى وقضت على حياته .

قلت : انها فدائية كبار العلماء ونوابغ المخترعين في أكثر من مجال فقد جاء في احصائية العام الماضي ان مختبرات التجارب في اوربا قضت على ٦٥ عالما من علماء البحث والاختبار كان اكثرهم منصرفا الى بحوثه وتجاربه فقضت البحوث على حياته أثناء مزاولته العمل فراح ضحية العلم .

ان أكثر المخترعات التي ننعم بفوائدها في أكثر مجالات الحياة ابتداء من قصة الطيران الى فكرة الكهرباء الى موضوع الاشعاع الى حكاية الذرة الى مجال الطب الى مئات البحوث في غير هذه الميادين لم تبرز الى حيز العمل الا بعد ان عرضت علماءها لأهول الأخطار وقضت على فريق كبير منهم بالموت الرهيب .

وقد جاء في احصاء معهد علمي أميركي ان مرض الحمى الصفراء التي هالك شأن ضحيتها الدكتور العربي انه من أخطر الأمراض التي يتعرض لها المعنيون بابحاثها ذلك ان جراثيمها كما يقول بحث المعهد كثيرا ما تتسرب الى المراكز

العصبية فيلتهب الدماغ بصورة يتعذر علاجها ولا ينفك الباحث يعاني آلاما مريرة حتى يقضي على حياته .

وفي اخبار هذا المعهد الذي نشرت بحوثه مجلة طبية تصدر في العراق ان احصاء شمل عدة مختبرات في الدول الاسكندنافية اظهر قصة ٣٠ نوعا من أنواع الجراثيم الفتاكة أحدثت أثرها في ٧٨ من رجال البحث بينهم ثلاث سيدات قضت عليهن قضاء نهائيا كما قضت على ٢٤ من صنف الرجال ونقل ١٩ منهم الى المستشفيات ربما نجح منهم ثمانية أو عشرة أما الباقون فلا أمل لشفائهم .

وانت اذ تذكر هؤلاء كفدائيين تعرضوا لاخطار الجراثيم في سبيل مصلحة الانسان يتعين عليك أن تذكر الى جانبهم شهداء بحوث الفضاء والطيران وأعماق البحار والذين أوغلوا في مجاهل الابعاد المجهولة في الأرض والصحارى المقفرة التي لم يطأها انسان والتجارب الكيمائية على تعدد اخطائها وأخطارها .

لا بل يتعين عليك أن تذكر بائعي أرواحهم في ميادين الحروب ومجال المقاومات الشعبية في كثير من البلاد المحتلة ولست اليوم بعيدا عن فدائي فلسطين فان منهم من يحزم المفرقعات على بطنه ويتعرض للدبابات والمعدات لتلفه تحت عجلاتها فتقضي عليه وعليها بما حملت في آن واحد .

ان السخاء بالروح في سبيل الانسان سجية قديمة عرفتها مئات الاحداث لمئات الألوف من أصحاب التضحيات في عشرات المجالات وعشراتها .



إدارة الناس فنٌّ له قواعده

قال صاحبي : الا تعجب معي لفلان رغم ثقافته العالية ، ورغم تعمقه في دراسة الحياة لا أراه الا فاشلا في ادارة بيته ، في تنظيم اعماله ، في علاقته بمرؤوسيه في العمل ، في معاملاته مع أكثر أصدقائه ومعارفه .

قلت : ذلك في رأيي شأن بعض العباقرة وأصحاب الثقافات العالية فإدارة الأعمال فن لا علاقة له بالثقافة العامة ،ولا بفلسفة العباقرة ..فربما نجح في ادارة الناس ، وتنظيم الأعمال ، وعلاقات الأصدقاء شخص عادي يعرف كيف يبادل الناس شعورا رقيقا حساسا يعرف كيف يعيش بعيش أصدقائه ، ويحس باحساس من يتعامل معه من مرؤوسين وأصحاب اختصاصات أو حاجات .

اني اعرف مثقفا نبغ في أكثر من مجال كنت أجلس اليه فكأنما أجلس الى موسوعة لا نهاية لسعة آفاقها ولكنني كنت مع هذا لا أستطيع معايشته ولو الى فترة قصيرة لفرط شذوذه في معاملاته العامة .. فهو يشعر انه سيد كل المواقف التي تصادفه ولا يعترف لرأي الا اذا كان هو صاحب هذا الرأي ولا يستمع لأي عرض لأنه كما يرى نفسه فوق كل عرض ، وكانت خلاله هذه تؤذيه في أصدقائه ، كما تؤذيه في كل من يتعامل معه ، كما تؤذيه في مرؤوسيه فقد كان يرهقهم بتخطيطاته التي يفرضها دون أن يتعمق في مشاعر العاملين بها أوِ يتحسس احساسهم فيها .

لا ادعي أنه يتقمص روح جبار أو متسلط .. لا . ولكنه يعيش حياته في جو خاص لا يتلاءم وحياة الناس ولا يشعر بشعورهم فلا تلبث أن تضطرب علاقاته بكل من يعامله منهم ويفشل في ادارة كل من كتب له أن يديرهم .

وأعرف في الوقت نفسه أكثر من شخص لم يظفروا ظفر نابغتنا في الدراسات العالية ومع هذا استطاعوا أن يتفننوا في علاقاتهم بالناس وعرفوا كيف يديرون من يديرونهم بروح ودودة تختلط بمشاعرهم ، وتعيش بعيشهم ، وتقدر مشاكلهم ، وتخطط اذ تخطط للعمل وهي تضع في حسابها مقدرات كل من يعمل في محيطها أو يتعامل معها .

هذا الصنف من الناس استطاع أن ينجح نجاحا باهرا ، وان يكسب رضى العاملين معه وان يربح من اخلاصهم وحبهم ما حقق له أكثر أمانيه في العمل .

لست اعنى بهذا ان نوابغنا لا يحسنون ادارة انفسهم وأعمالهم فالنابغة الذي يستطيع ان يخالط المستويات العامة اذا تعين عليه ان يخالطها ، وان يشعر بشعور العاملين معهم ، ويعرف كيف يتودد اليهم ويقدر ملابساتهم فسيضمن لاعماله نجاحا ممتازا وسيجد من ثقافته العالية ما يساعده على دراسة النفسيات التي تحيط به فلا يعجزه ان يعايش غيره ولا تتعذر عليه الادارة كفن .



هيئة الأمم مقصوصة الجناح

قال صاحبي : حاولت ان أفهم الحكمة من تأسيس هيئة الأمم فتعذر على ذلك .. لقد كنت احسب ان مهمتها الأولى فرض أحكامها في كل خلاف بين الدول وان تكون لكلمتها اذن مسموعة وأمر نافذ واذا الأمر على غير ما فهمت فمشاكل الدول لا تزال هي مشاكلها ربما عرضت على الهيئة جلسة بعد أخرى .. ربما قتلتها بحثا ودراسة ، وربما انتهت في شأنها الى أمر وأصدرت في أمرها قرارا ولكنها قرارات لا تتخطى اقسام الأرشيف فما حكمة وجودها وفيم هذا الانفاق الهائل على جهازها الواسع الذي لا يجدي فتيلا اذا ادلهمت الأمور وتفاقمت الخطوب ؟؟

قلت : وما عساك تريد من باز مقصوص الجناح ان يفعل ؟ لقد خلقت هيئة الأمم يوم خلقت مقصوصة الجناح فهي لا تملك اذا ملكت أكثر من أن تتلقى شكاوي المغلوبين لتحقق فيها ، وتدرس ظروفها وملابساتها ثم تصدر قراراتها بالادانة أو البراءة .

وليس في طبيعة تكوينها اذا أدانت ما يعطى قراراتها صفة الالزام على غرار ما يفعل كل حاكم يتولى أمر طائفة من الناس،فالحاكم في كل طائفة يملك من أسباب التنفيذ القوية ما يضمن احترام كلمته وتنفيذها وليس لهيئة الأمم ما يضمن لها ذلك أو شيئا من ذلك .

انها لا تملك قوة فعالة مزودة بالعدد والعدة تقف على أهبة الاستعداد لدعم قراراتها وتنفيذ ما تراه في أمر الخاطئ أو المعتدي والا كان شأنها غير هذا الشأن الذي رأيته وتراه ماثلا في مئات القضايا العالمية التي عجزت الى اليوم عن اقامة العدل فيها .

انك لا تستطيع ان تفرض لها مثل هذا الاستعداد فهو يحمل موانع التنفيذ .. ذلك ان استعدادها اذا اريد لها الاستعداد يجب ان يبلغ مداه الى أوسع ما يتسع له الخيال . عليك أن تفرض خلافا تفاقم أمره بين دولتين من كبريات الدول التي باتت تستخدم القنابل الذرية والهدروجنية وان قرارتها صدرت لتدين احداها وتلزمها الزاما بما حكمت عليها افلا يتعين على هذه الهيئة ـ هيئة الأمم ـ ان يكون لها من الجيش والعدّة ما يقوى على دحر من أدانت لتمتثل طائعة صاغرة لقرار الهيئة وحكمها .

فهل تتخيل ان في استطاعتها أن تكون لها مثل هذه الامكانيات أم هو ضرب من الخيال يحمل موانع التنفيذ .

ستظل هيئة الأمم يا صاحبي لا تملك الا ان تصدر القرارات وتشفعها بما تستطيع من توصيات ولا اكثر على أن الأمر لو عاش لا ينقصه الا ما رأيت من عجزها عن التنفيذ اذن لقيل انه لا بد مما ليس منه بد ولكن في الحنايا خفايا هي أدق مما تتصور .

من أهم هذه الخفايا مشكلة النفوذ عند ما يسيطر على اتجاهات الهيئة فالدول المشتركة في مجلس الهيئة ليست كلها ذات مستوى واحد .. ان من بينها الضعيف والأضعف كما ان من بينها القوى والأقوى .. الأقوى الذي لا تنتهي قواه عند حد محدود وكنتيجة لهذه الفوارق استطاع الأقوياء أن يتقاسموا نفوذ الهيئة فكان لكل قوى فلك واسع المدار تدور فيه عشرات الدول فلا تصدر في نقاشها أو تعليقها أو تصويتها الا في اطار المدار الذي تقيدت به وبذلك باتت الهيئة هيئة اقوياء الأمم وباتت سياستها تتجه باتجاه ما حشد الأقوى هي ذي مأساة هيئة الأمم المستتبة على مسرح حياتها ليت المعنيين بها يعالجون داءها عساها تؤدي بعد ذلك بعض ما عليها .

إلى أيّ حدٍّ فهمنا معاني الحج

قال صاحبي : ترى الى أي حد استطاعت هذه الجموع الحاشدة التي وفدت للحج ان تحقق حكمة الحج في هذا التجمع ؟

قلت : لو تهيّأ للمسلمين في زماننا أن يحققوا حكمة ما يفرض عليهم من فروض لكان لهم شأن غير هذا الشأن الذي انتهوا اليه من شتات وفرقه وتخلف .

ان مبلغ ما نهتم له اليوم من شؤون الحج ان يقال عن احدنا لقد حج فلان وعاد بسلامة الله .. اما كيف ادى هذا الحج ، وبمن تعارف في صعيده وهل ناقش أو اتصل أو شارك في بحث له علاقته بأمور المسلمين؟فذلك آخر ما يدور في خلد الحاج أو يمر بمخيلته .

وكيف تدور في خلد حجاجنا أمثال هذه الأمور وأكثريتهم لا تتسع ذهنياتهم لمثل هذه الأمور الدقيقة . واذا تراءى لنا أن نحصى الواعين منهم الذين تتسع مفاهيمهم لمثل هذه المعاني فسوف لا نعثر الا باقليات لا يكفي عددهم لتمثيل المسلمين تمثيلا صحيحا يسع أجناسهم ومختلف أوطانهم وسائر مشاكلهم التي تعايش بلادهم .

لقد تهيأ لبعض الواعين أكثر من اجتماع اهتبلوا فرصتها بين أحضان هذه المشاعر ولكن آثارها كانت محدودة وستظل محدودة مهما قيل في شأنها لأنها كما

قلت لا تمثل سائر أجناس هذا الحشد المائج بصورة عملية فعّالة .

ان المسلمين بما تهيأ لهم من فرصة الحج يملكون من أسباب التجمهر والتجمع ما لم يتهيأ لأمثالهم في سائر الأديان والأمم .. واذا قيل أن لبعض الأمم مناسبات ربما كانت قريبة الشبه بمناسبة الحج عندنا فصحيح .. ولكنها لا تبلغ مهما بلغت جزءا من أهمية الحج ومداه الواسع .

ولست اغالي اذا ادعيت أن بعض الأمم الواعية تتمنى لو تهيأت لها مثل هذه الفرصة التي يهيئها الحج للمسلمين في كل عام لتتقارب في اطاره وتتفاهم في دائرة نطاقه .

فما يمنع المسلمين ان يغتنموا فرصتهم في الحج بعد أن تكالبت عليهم أكثر الأمم ، ما يمنع كبراءهم وأصحاب الرأي فيهم أن يفتقوا وعيهم على معاني الحج ومشروعية الحج .. ما يمنع علماءهم وهم يفصلون لهم واجبات الحج ومحرماته ان يحدثوهم طويلا عن الحكمة في هذا التجمع الفريد من نوعه ليعرفوا كيف يستفيدون من مشروعيته .

اننا بهذا نستطيع ان نجمع المسلمين على كلمة واحدة وهدف واحد .



ليس للعصا قيمة تربوية

قال صاحبي : يعجبني في بعض المربين أن طلبتهم يستحون من عصيانهم رغم أنهم كمربين لا يؤمنون بسياسة العصا . ويشتد عجبي أكثر لمرب عرفته لا يؤمن بشيء ايمانه بفكرة العصا ومع هذا فليس بين طلبته من يهابه أو يهاب العصا .

قلت : لا أرى أن الأمر في هذا أمر العصا .. فثمت شيء اسمه شخصية المربي اذا استطاع أن يبنيها لنفسه فقد هيأ لمركزه من الوقار مالا تهيئه ألف عصا ومنحها من الاحترام ما لا تمنحه أقسى أدوات التربية التقليدية المتعارف عليها .

وليس كذلك شأن العصا فرب مرب لا تهيئه عصاته لغير الاستخفاف ربما ألفها طلبته ففقدوا بتأثير الاستمرار احساسهم بمرارتها فهم لا يبالون به ولا يأبهون لعصاته .

لا أعني بهذا طبعاً ان أعطى العصا رقما تحت الصفر في كل الحالات مهما اختلفت الظروف أو تنوعت الاسباب .. انما أعني أن اتخاذ العصا كوسيلة معتمدة للتربية أسلوب فاشل في الحياة فهيبة العصا اذا اعطت أثرها مرة أو أخرى فانها لا تلبث أن تصبح مألوفة للطالب يفقد فيها مرارتها . واذا فقد الطالب مرارتها استهان بها واستخف وأصبح لا يعبأ بما يناله منها .

وللعصا بعد هذا ما هو أعمق من هذه المساوئ فهي مظهر من مظاهر القسوة وليس كالقسوة شيء يثير عناد الطالب ويحفزه للعصيان والمشاكسة ويهيئه لكثير من السيئات التي يأباها الفتى المهذب .

التربية اليوم قوامها شخصية تعرف كيف تحترم نفسها وتبنى لذاتيتها وقاراً له قيمته في نظر من تربيهم فنحن نناقشهم عند كل سيئة يخالطونها ونفلسف لهم في أناة وهدوء كل خطأ يرتكبونه .

نستطيع ان نخلق لهم احساساً مميزاً يتفهم الأشياء على حقائقها ويزن الحقائق بمعاييرها ونهيئهم ليصيخوا للفكرة ونحن نقنعهم بوجوه الرأي فيها في غير عنف من جانبنا أو عناد من جانبهم .

اذا استطعنا تمريسهم على هذا النوع من الحياة لانت قناتهم للتربية وعرفنا كيف نحسن توجيههم .

ومع هذا فلربما استهوتهم هواية حادة ضاعت معها كل أساليبنا من الحكمة وعندئذ فلا غنى لنا عن العصا في صورة عاقلة متزنة لا تثأر لنا أو تذيقهم بأسنا بقدر ما تشذب طفرتهم وتعالج غلطتهم .



ما كلّ غزل للغنا

قال صاحبي : اراني لا أطرب لكثير من الوان الشعر الذي يغنيه بعض الفنانين عندنا رغم أنه شعر غزلي رقيق الحاشية يتحدث عن الحب وأحوال المحبين .

قلت : لا أرى أن كلَ اشعار الغزل صالحة للغناء فالشعر الغنائي لون له سماته الخاصة وله لغته المألوفة . ولست اعنى اللغة الشعبية فمترادفات الفصحى غنية بالفصيح العذب الذي يجري على ألسنة الناس فيما ألفوا من شجون الحياة .

لقد كان جرير من أبرع من يتغزل ولكنه غزل لا يطاوع الألحان أو يذوب فيها ذوب الغزل الذي يشجيك في شعر عمر بن أبي ربيعه أو عبد الله بن قيس الرقيات .

ربما كان لبيئة الشعر ، أو ملابسات الشاعر ما يهيئه للشعر الغنائي ويوحي اليه بالمألوف من عذب الألفاظ ورقيق المعاني التي تنساب بانسياب الألحان وهذا ما افتقده جرير فقد عاش بعض حياته في البادية بين الرمال السافية ، والعيش الشظف . فجاء غزله حتى الرقيق منه مذكراً لا يسيل سيلان الغزل في شعر ابن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات .

وعاش بعض حياته في بغداد وكانت بغداد يومها تعاني من شدة الحياة وقسوة ظروفها ما شدها الى الوان من الجد لا تتناسب والحياة الحالمة الرخوة التي

تتفتح للفن الغنائي وتذيب فيه شاعرها كما كان شأن مكة في نفس الفترة التي عاشها جرير في بغداد .

لقد مرت بمكة في عهد ابن أبي ربيعة وهو عهد بني أمية فترة عاش المكيون فيها حياة حالمة ملؤها الطرب والموسيقى والغناء .. كانوا في هذا العصر يقولون اذا اعجزك ان تطرب القرشى فغنه غناء ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة .

هذه الحياة الحالمة الطروب تنفست عن شاعر يذوب في بيئته فكان هذا الشعر الغنائي الذي يسلس للمغني فلا تدري وانت تسمعه أهو فن الملحن أم هو ظرف الشاعر .

لا أريد ان أقول لك ان مكة ترفت يومها بفعل الغنى الذي شاع في أوساطها فانت تعرف انها ندبت شبانها وشيبها على رأس الفتوحات الاسلامية فعادوا يحملون اليها من الغنائم مالا يحصيه رقم وان خلفاء الاسلام شعروا ان عليهم ان يمدوا لقريش واقيال مكة في النعيم وان يغدقوا عليهم من المنح ما يغمرهم ليكسبوهم سياسيا .

لا أريد أن أقول لك هذا فانت تعلمه ولكني اريدك أن تحقق قصة هذا النعيم الذي انساهم جد الحياة وتركهم يعيشون حياة مترفة لاهم لهم فيها الا أن يطربوا ويطربوا للغناء وما يصاحب الغناء من شعر يذوب في الألحان ، ويمتزج بها امتزاج الماء بالراح .. بذلك كان الشعر الغنائي الذي لمع فيه شعراؤها لذلك العهد غنيا بالرفيق المعذب الذي يمثل ما يجري على السنة الناس من شجون الحياة .



لئلا نؤخر العمل اليومي

قال صاحبي : قضيت هزيعاً طويلا من ليلة البارحة وأنا أناقش أولادي أمر الاختبارالذي اظلنا أو انه ليواصلوا جهودهم في مراجعة واجباتهم المدرسية قبل أن تفاجئهم أيامه فلا يجدوا من الوقت ما يتسع للمراجعة والتحصيل .

قلت : أرى انك اخرت ما كان يتعين تقديمه . فلو تهيأ لك أن تبذل مثل هذه النصائح في وقتها لاستطعت أن تخدم ابناءك اجل خدمة يمكن أن تسديها لهم ..

وفي رأيي أن وقت مثل هذه النصائح يبدأ ببدء السنة الدراسية ليتهيأ للطالب أن يوزع جهوده على مدار السنة توزيعاً مقدراً لا يكلفه عنتا ولا يرهقه من أمره عسراً .

لقد قلت في مثل هذه المناسبة قبل اليوم ان مأساة الكثير من طلابنا تتلخص في تأخير أعمال اليوم الى الغد فهم يستقبلون عامهم الجديد في توان وتهاون اتكالا على مآتي أيامهم وهي في نظرهم أيام طويلة المدى يرون أن في استطاعتهم ان يتداركوا خلالها كل ما فوت التواني عليهم من الفرص في صدر العام فلا يلبثونأن يشعروا بالتواني وقد شرع يأكل عليهم أيامهم فاذا الأسابيع تنقضي آخذ بعضها برقاب بعض واذا العام الدراسي ينتصف أو يزحف منحدراً الى الشهور الأخيرة من العام وعندئذ يستيقظ الطالب ويدرك انه مطالب بما فوت التواني

وفرط الاهمال فيتكالب على العمل ويدمن السهر فيترك التكالب ويترك الادمان أثره في طاقته الذهنية فتعجز عن اداء وظيفتها كاملة وتترك الطالب يشعر بضعفه عن مجاراة المستوى الذي يرشحه للفوز في الامتحان .

وقد يسعفه الحظ فتطبق ذاكرته مؤقتا على بعض المعلومات التي تتسق وما اختير من مواد لمنهج الامتحان مصادفة فيظفر بارقام تهيئه للنجاح ولكنه لا يلبث ان يدرك ان نجاحه كان زائفا لان استعداده لما يستقبل في سنته الدراسية المقبلة لم يكن كاملا في سائر المواد التي يجب أن تبنى على أساسها واجبات العام الجديد .

كما يدرك أن نصيبه من النجاح نصيب ذاكرة خدمتها الصدفة فالتقطت كلاماً استطاعت أن تختزنه ليوم موعود كما يختزن المسجل الآلى ما يسمعه دون أن يختلط بشيء من معناه .

وكفاءة الذاكرة في مثل هذه المواطن لا تكفي لاعداد الطالب لما يستقبل من مناهج الدروس والالكان لآلات التسجيل قيمتها في سائر المناهج .

ان على الطالب أن يتفهم واجباته ويعي ما يختلط بمعانيها ليتذوق ما يترتب عليها من معلومات جديدة تتدرج بتدرج سنواته الدراسية اما أن يعتمد على ما تختزن ذاكرته من حروف أو أصوات فذلك ادعى لفشله من عام الى آخر كلما تقدمت به سنوات الدراسة .



عِنْد الصّباح يحمد الناس السُّرى

قال صاحبي : خيم القلق على أحد معارفي بشكل يثير الحزن وقد قيل لي إن القلق كان عاماً في الاسرة كبارها وصغارها ، ذلك أن وحيدهم سقط اسمه من بين الناجحين في الاختبار وتكرر رسوبه لعامين متتابعين عاماً بعد آخر .

قلت : أرى أن رسوب الفتى الناشيء في امتحانه صدمة تبادره بها الحياة قبل أن يخرج اليها وليست الحياة الا صدمات تتوالى غداً بتوالي عيشه فيها فاذا لم يثبت أمام التجربة الأولى استهانت به الاحداث واستبدت برجولته وهزت قواه على الاحتمال .

إذا قيل إنّ الامتحان شر لا بد منه فيجب أن يقال إنّ في هذا الشر احتكاكاً يعين مدى قدرة الشخص على الثبات ويحدد كفاءته على مواجهة الصعاب ..

لا بل يصح ان يقال انه درس يمارس فيه الحياة على حقيقتها ويتدرب على منازلتها ويتعلم الصبر على أحداثها . فاذا استطاع أن يثبت نجاحه في قوة الاحتمال فبشره بما تبشر به كل عامل ناجح يجالد الحياة ولا يجزع لقسوة صروفها .

لا أعني بهذا أن ينشأ الفتى لا ابالياً يهمل واجباته ويتراخى عنها ولا يهتم بنجاحه فيها كما لا يهتم كل بليد فاشل فذلك اسلوب العاجز الذي لا يحقق ظفراً في الحياة .

وانما اعني أن يثابر الفتى على واجباته في دأب متواصل ويعطيها من عنايته كل ما تستحقه من جهد وما عليه بعد هذا أن يخيب فأله .

عليه أن يقنع نفسه بما ثابر وان يرضي ضميره بما بذل وأن لا ينسى مع هذا أن للحياة مفارقات وان من مفارقاتها ما يذهب بصبر الحليم ، وانه أمام هذه المفارقات أكبر من أن يجزع أو يتضاءل .

عليه أن يفهم أنه يواجه في غرفة الامتحان أول درس في حياته العامة وأن رسوبه ان رسب يشكل أول صفعة ينالها من الحياة ، فاذا وثق من نفسه كرجل لا يبالي الصفعات وأبى الا أن يجعل منها ما يحفزه لاستئناف الجد في غير توان أو تراخ فقد هيأ نفسه للكثير الذي يرشحه لعظائم الأمور ويساعده على ركوب الصعاب في سبيل مراميه البعيدة ..

ان أكثر قادة الأمم واصحاب الأثر الخالد فيها مر بهم من تجارب الفشل ما صمدوا لقسوته ولم يتخاذلوا فاستفادوا من صمودهم مراناً حفزهم للنتائج الباهرة التي خلدت آثارهم على مر الأيام .

يا صاحبي .. قل للمحزونين الذين خالفهم الحظ فرسبوا في نتائج الامتحان ان لكل جواد كبوة ، فلا تأسوا على ما فاتكم ولا تحزنوا على ما أصابكم واستأنفوا سيركم بأقوى مما فعلتم ولا تيأسوا ، فعند الصباح يحمد القوم السرى .



لا نطلق الحرّية ولا نقيدها

قال صاحبي : الا تستنكر معي أعمال من ينكر على أولاده الفتيان حريتهم ويأبى الا أن يمارسوا حياتهم الخاصة تحت اشرافه .

قلت : اذا كنت أنكر الكبت وقيد الحريات لما يترتب على ذلك من ردود الفعل التي تعطل حيوية الفتى وتفقده شخصيته ككائن له قيمته في الحياة ، فاني أنكر في الوقت نفسه اطلاق الحرية اطلاقاً تاماً وأن يترك للفتى حبله على غاربه لا تحده مقاييس ولا يقف دون هواه حاجز .

ما أروع التوسط في مثل هذه الحالات . فلا نكبت فتانا كبتاً يضيق على أنفاسه ، ويطعن كرامته ، ويضرب على طاقاته كإنسان حيوي ولا نطلقه لهواه في كل ما يشتهى ففي شهوات الشباب مزالق الى أسوأ الدركات وليس لسنه من تجارب الحياة ما يحول دون ترديه في المهاوي وهو الى هذا ربما استمرأ ما الف وتعود فنشأ عبداً لما استمرأ رهيناً بكل ما تعود من مزالق الشباب .

والحرية الواسعة التي لا يحدها اشراف تستطيع تشبيهها بحبات السبحة عندما تسلمك الحبة الى ما يليها وما يليها تلقائياً ودون كبير عناء فاذا أنت قد تجاوزت دون أن تشعر آخر حبة في نهايتها

ونحن اليوم أمام أكثر بلاد أوروبا التي باتت تشكو الحرية الواسعة .. تشكو

حبة السبحة التي اسلمت الشباب الى ما يليها ، وما يليها حتى تجاوزوا الى آخر حبة في نهايتها أو كادوا .

كانوا كلما خرج الشباب بتقليعة جديدة قالوا هي الحرية الفردية التي لا يجب أن نتدخل فيما لا يعنينا منها حتى اذا داهموهم فيما يعنيهم وجد العقلاء أنه قد اسقط في أيديهم ووجد رجال الأمن أنهم أصيبوا حتى في أمن البلاد ، وأنهم عاجزون عن اقراره أمام سيول الشباب الحر .

انهم اليوم أمام شباب مراهق مجنون تستبيح حريته كل شيء .. انه لا يكتفي اليوم بارسال شعوره على الكتفين ، ولا بتهاديه في ثياب أنثويه ولا بتخطيه كل حدود اللياقة والأدب في الشوارع والمجامع والمقاهي .

بل تعدى ذلك الى العبث بكل محتشمة أو محتشم يصادف طريقه كما تعدى الى الاخلال بأمن الناس في بيوتهم أو متاجرهم أو مصارفهم .. بدأ أمرهم كتقاليع مازحة ، كان التقدميون يضحكون لها ويعتمدونها بدوات للعبث اللاهي ، لا يجب أن تكبت حريتهم فيها ولكن هذه الحرية ما لبثت أن تمادت وتمادت حتى عبثت بكل مقومات الاخلاق واستهانت بكثير من الوان الاجرام وبات المهيمنون على أمن الدولة عاجزين عن رد عادياتهم .



ماذا فعلنا لفلسطين؟

قال صاحبي : تناقلت بعض الأخبار أن دويلة العصابات في فلسطين تبني مشاريع هامة لها حيويتها في الأرض التي احتلتها ، فهل يفهم من هذا انهم ينوون البقاء في الأرض العربية المحتلة الى الآن ؟!

قلت : ما دمنا نترك للهيئات الدولية أمر البحث في مصير بلادنا المحتلة فاننا بهذا نقدم لاسرائيل أوفي ضمان لبقائها آمنة فيما احتلت من بلادنا ونعطيها أوثق امان لتبني في بحبوحته ما تشاء من مشاريع ومؤسسات .. دون أن يخالجها شك في أنها بنت لنفسها حق البقاء المستمر ..

ولو بدا لها انا جادون عمليا في استرجاع حقوقنا بأيدينا ، وأننا على استعداد لأن نضرب بعرض الحائط جميع الحلول التي تحاولها أية هيئة دولية لا تتفق مع استرجاع حقوقنا لما وجدت من الجرأة ما يشجعها على صرف الأموال وبذل الجهود في سبيل لا تأمن نهايته ولا تضمن عواقبه .

ولقد جاء ان بعض الأخبار تناقلت أنهم يبنون فيما احتلوا من بلادنا مشاريع هامة والذي أعرفه أن الأمر أبعد من هذا فهم يبنون في جبال الخليل مستعمرات وافية لاستقبال مهاجرين جدد من شذاذ الآفاق ومستعمرات عند بانياس على الحدود السورية أنشأوا حولها مزارع بلغت مساحتها نحو ١٥٠ فداناً

زرعت أكثرها قمحاً ومدت بين أقسام المستعمرات خطوط الهاتف وأنابيب المياه وأقيمت في حواشيها مراكز عديدة لتربية المواشي .

وعلى أميال من القنيطرة أنشأوا مستعمرة واسعة وهيأوها لسكنى عدد كبير من المزارعين وزودوها بكل ما يلزم لها من معدات زراعية وأضافوا لها عدة « كراجات » لصيانة المحاريث الآلية والات الحصاد وأتوبيسات النقل وعبدوا لها طريقاً يصلها بأقرب المدن اليها ..

وفي سيناء أقاموا مستعمرة وجعلوا منها مركزاً لصيد الأسماك وتقع المستعمرة في منطقة واسعة تتوسط بين العريش وبورسعيد وزودوها بقوارب للصيد وهي اليوم بعد أن تغطى حاجة سكانها من السمك تستطيع تصدير ما قيمته الف جنيه استرليني يومياً الى سوق عسقلان ، كما جاء في نشرة رسمية لعسقلان .

ان في مثل هذه التصرفات الجريئة الواسعة ما يؤكد لمتتبعها مبلغ اليقين الذي يعتنقه الصهاينة في بقائهم الابدي فيما احتلت جيوشهم من أراضينا .

وأحسب اننا بتراخينا وتواكلنا وتشبثنا بما لا يجدي من قرارات دولية بتنا نعطي اعداءنا الدليل تلو الدليل على أننا لسنا جادين فيما نولول أو نشنشن .

ان ما فعلناه الى اليوم في سبيل فلسطين لا يتفق وما يجب أن يفعله شعب يقدر كرامته ويعرف قيمته بين الشعوب .

فاما أن ننظر الى واقعنا نظرة جديدة لا تمت بصلة الى كل ما نظرناه قبل اليوم والا فهو العفاء على كل ما له علاقة بنا كأمة كان لها مركزها في التاريخ ..

تناحر العرب بعرضهم للمشاكل

قال صاحبي : لا يعلم الا الله مقدار ما عانى العرب على اختلاف اقطارهم في سبيل الاستقلال والحرية حتى انتهوا الى ما ظفروا به في أعقاب الحرب الأخيرة وباتوا ناعمين بما ملكوا من مقدراتهم وما نالوا من استقلالهم فهلا يتعين عليهم أن يعقدوا خناصرهم في وئام على مانالوا ؟!

قلت : ان أكثر المتناحرين اليوم في أقطار العرب من أصحاب اليمين والشمال كانوا من خيرة المجاهدين في ميادين النضال الحر عانوا في سبيل بلادهم ما لا يحتمله الا حر مجاهد وقاسوا من أجلها ألواناً من شظف العيش وتعرضوا لأصناف من الأهوال لا يعلم مداها الا الله حتى استطاعوا أن يثبتوا أحقيتها في الحياة ، ويؤيدوا مركزها بين العالم المستقل ويهيئوها للجلوس في مصاف امثالها من الأمم الحية .

كان العرب في حقبة سالفة من الدهر لا ينعون على أنفسهم شيئاً كما ينعون جهلهم وتخلفهم عن مواكب الحياة فما كادوا يملكون مقدراتهم حتى تزاحمت أقطارهم على منابع العلم ينهلون منها ، ونشط المخلصون لتعبيد كافة المسالك في سبيل الظفر بالمكان الذي يليق بشعوبهم ويساعدهم على اعدادها اعداداً له قيمته بين معاصريهم من أمم الأرض .

وفي سبيل الظفر بتلك المكانة تنادوا بالوئام واستطاعوا أن يجمعوا شتاتهم في

هيئات اتخذت مكانتها بين هيئات الأمم واستطاعوا أن يرفعوا أصواتهم بين جنباتها وأن يدللوا على مبلغ حيويتهم وأن يتركوا اثرهم في جميع المحافل التي ترتادها أقوى الأمم وأكثرها جدارة بالحياة .

فهل جد بعد هذا ما أساء الى كيانهم وزعزع الثقة في مركزهم الجديد بين مصاف الأمم .

انه سؤال تلوح في ثناياه علامة استفهام بارزة الخطوط .. وانه احراج لا يعرف العربي المخلص لقوميته كيف يتخلص من وخزه المؤلم .

ان اخشى ما أخشاه أننا شرعنا بتناحرنا نعرض بلادنا من جديد لمشاكل كنا في أشد الغنى عن التعرض لها .. واننا بتنا منذ الليلة نعود القهقري الى مضاجعنا القديمة قبل أن نستيقظ وأصبحنا نشرع معاولنا لتهدم كل ما بذلنا من جهد وتنفض جميع ما بنينا لحرية بلادنا واستقلالها .

شرعنا نحتك بالأقوياء من غير طينتنا ونمتحن امكانياتنا الجديدة بما لا نستطيع الثبات فيه اذا جد أوان الجد فاذا عصفت بنا العواصف غداً ، واذا اجتثت ما بنيناه لحريتنا واستقلالنا وحرمتنا ما ظفرنا به بعد طول الجهد فالذنب في هذا ليس ذنب الطامعين بقدر ما هو ذنب المتناحرين من بني قومنا في سائر أقطارهم ..

فهل يخفف المتناحرون بعض غلوائهم ويعودون إلى ضمائرهم فيما سببوه لنا بما اقترفوا بعنادهم وما عرضونا له بتناحرهم أم هم سادرون فيما أرادوا من شطط ؟!

حتى يسلموا بلادهم الى أسوأ العواقب وأشدها خطراً على حياة الحرية والاستقلال .

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
١٤٠١ - ١٩٨١



عُلوم الإسلام في آسيا الوسطى

(١)

قال صاحبي : كنت في حديث مع حاج من طاشقند فاذا هو ضليع في اللغة العربية يتحدث بها في يسر وسهولة كما يتحدث بها ابن جلدتها من اساطين العرب المتعلمين وبتداعى الحديث والبحث بنا فاذا هو ضليع في الفقه الاسلامي ضليع في الحديث يبحث في أصولهما وفروعهما بحث المتمكن فعجبت لهذه الكفاءة من شاب ناشىء في بلد قصى بعيد عن مواطن العلوم الاسلامية في بلاد العرب .

قلت : لا أرى في هذا ما يدعو الى الغرابة فمن يقرأ تاريخ طاشقند ويدرس علاقتها بالاسلام وعناية أهلها في عصور الاسلام الذهبية وما بذلوه في سبيل فتح المعاهد وبناء المدارس وتخريج الفطاحل لا يجد اية غرابة في أن تظل آثار ذلك المجد الأثيل ماثلة في شباب اليوم أو شيوخه من أهالي طاشقند فقد اعتنقت طاشقند يوم إعتنقت الاسلام عن قناعة وايمان وفتحت صدرها واسعا لثقافة الاسلام حتى نبغ من رجالها من عاش الاسلام يزهو بكفاءاتهم واخلاصهم ويفخر بما بذلوا في سبيل الاسلام .

ولم يقتصر الأمر في هذا على طاشقند وحدها في هذا الجزء من آسيا الوسطى فتاريخ الاسلام يحدثنا بالكثير من جهود الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي استطاع أن يميل من تركيا الى ما وراءها من بلاد آسيا الوسطى وأن يرسل

دعاته الى داغستان وبخارى وتركستان وازبكستان واذربيجان وما حول ذلك من عواصم ومدن ودساكر وقرى فأقبل الناس أفواجا على اعتناق الاسلام .

وانتهت الاخبار الى عبد الملك بن مروان في دمشق فنشط للعمل على هدايتهم وندب من أساطين العلماء والمحدثين من يكفل له توطيد شرائع الاسلام فبنيت المساجد فيها بشكل واسع عم سائر المدن والقرى وبدأت حلقات العلم في كل مسجد تؤدي دورها بصورة فعالة .

وجاء سليمان بن عبد الملك فأمر بتدعيم الفكرة فأقبل عشاق المعرفة من كل صوب حتى ملأوا حلقات العلم في جميع المساجد حتى النائية فعمت اللغة العربية أكثر البلاد المتاخمة حتى فضلها أكثر السكان على لغاتهم الأصلية فكان المتخاطبون بها يباهون بما حذقوا من مفرداتها .

وجاء العهد العباسي فأحكم الصلة بين بغداد وسائر شعوب تلك المنطقة فشرع المتعلمون يغادرون مناطقهم الى مكة والمدينة وبغداد ليتزودوا من معارف هذه البلاد ما وسعهم التزود .

كان بعضهم يبقى في موطن هجرته ليفيد كما استفاد كما ان بعضهم كان لا يلبث أن يعود بما تزود الى موطنه الأصلي ليساعد على بناء الثقافة الاسلامية ودعم مركزها بين شعوب المنطقة .

علوم الاسلام في آسيا الوسطى

(٢)

قال صاحبي : كنا في صدد حديث ثقافة الاسلام في داغستان وبخارى وسائر بلاد التركستان وما حولها فهلا أتممت؟

قلت له:ان معاهد العلم ما لبثت أن انتشرت في سائر ربوع تلك البلاد النائية حتى وصفها بعض الرحالين في عصر بني العباس بأنها كانت تضاهي معاهد بغداد والأندلس وانهم وجدوا بين حلقات الدروس الدينية في المساجد من فطاحل العلماء من لا تقل كفاءاتهم عن أمثالهم في حلقات مساجد مكة والمدينة والفسطاط وبغداد والشام .

ويذكر بعضهم ان الأمر لم يقتصر يومها على الاختصاص الديني فقد نبغ بينهم من تبحر في علوم العربية وانه نبغ من بينهم ادباء وشعراء كانت لهم ميزتهم في الأدب العربي كما ذكر بعضهم أن معهدا في طاشقند كان يعنى بدراسة الفلسفة والطب العربي وان مثله في مدينة بخارى أنجب من الفلكيين والمتفوقين في دراسة علم النجوم وبناء المراصد عددا لا يستهان به وانه شهد طلابا من الشركس يواصلون دراستهم في أكثر من معهد شهدهم في أكثر من بلد من بلاد أواسط آسيا وان أكثر هؤلاء الشركس لا يتخاطبون الا باللغة العربية كما لو كانوا قد نسوا لغتهم الأصلية وانه في مروره بمدينة بخارى وجد في معهد لعلوم الفقه

والحديث طلبة كان بينهم الصيني والهندي والأفغاني والتبتى والسرخسى والفرغاني وان اللغة العربية كانت تجمعهم على لسان واحد كما شهد وفدا قدم من الصرب يجمع نحو ستين طالبا كانت اعمارهم تتراوح بين العشرين وأقل منها وأكثر وانه فهم من كبيرهم انه ينوي توزيعهم على بعض المعاهد الاسلامية فقد دخل أباؤهم في الاسلام ورأوا أن يندبوا أولادهم الى بخارى ليتفرقوا بين معاهدها ويتزودوا من علوم الاسلام ما يصلح أن يكون نواة لبناء معاهد جديدة في بلادهم تعنى بعلوم الاسلام وتنشر ثقافته بين طلاب المعرفة منهم .

وقد حفظت لنا كتب التأريخ مئات الأسماء اللامعة من أصل تركستانى أو بخاري أو طاشقندي أو سمر قندي كانوا يحتلون مراكز الصدارة في كثير من فروع العلوم الاسلامية وحسبك ان تعلم أن على رأس من ذكرت عالمين جليلين هما الإمام البخاري والعلامة الترمذي .

ومما يذكره مؤرخو مكة أن من بين الأعلام الذين كانوا يتصدرون للتدريس في المسجد الحرام رجال يرجعون بأنسابهم الى أصول تنحدر من آسيا الوسطى وان طلبة من التبت كانوا ملتحقين بمدرسة كانت بجوار باب النبي كانت تدرس الفقه الحنفي .

كل هذه الحقائق تدل على المدى الذي تغلغلت فيه تعاليم الاسلام في ذلك الجزء البعيد من بلاد العرب كما تدل على مبلغ الروابط التي توثقت بيننا وبينهم في أزهي عصور الاسلام .

متى نستفيد من أسلوب التعارف بالمراسلة ؟

قال صاحبي : ما فكرة تعني بها أكثر الصحف في البلاد العربية فتفرد لها صفحة خاصة تسميها صفحة التعارف ويتسع التعارف حتى تقرأ بين تلك الصفحات اعلانا عن زواج يعلن الفتى فيه عن سنه وعن دخله الشهري وعن رغبته في الزواج وتعلن الفتاة عن شكلها ولونها وقامتها وعن رغبتها في الزواج وهل ترى أن مثل هذا الزواج المرتجل ينتهي بالمتزوجين الى خير ؟

قلت : أما رأيي عن صفحة التعارف كوسيلة للمراسلات بين أقطار العرب أو ما هو أبعد من أقطار العرب ففكرة سليمة صحيحة يجب أن نثنى عليها ونشجعها فالناشئ من أجيالنا في أي بلد عربي يستطيع أن يلم بكثير من مقدرات البلاد الأخرى التي يهمه أمرها عن طريق صفحات التعارف يستطيع أن يختار أكثر من صديق في أكثر من بلد عن طريق هذه الصفحات لا ليبادلهم التحايا والطيبات فقط بل ليوسع معلوماته عن حياتهم العامة وأحوالهم الاجتماعية والسياسية . يستطيع الصديق بالمراسلة أن يسأل صديقه في الطرف الآخر عن سائر الشؤون التي يهم المثقف أن يعرفها عن البلاد الأخرى وان يكون في الوقت نفسه داعية لبلاده يتحدث عنها لكل أصدقائه بالمراسلة فيعطيهم فكرة عامة عن عمرانها عن تجارتها عن منتوجاتها عن ثقافتها عن مشاريعها الجديدة عن خطواتها في سلم التقدم فتنمو بسبب ذلك معارف الشباب في جميع البلاد

التي تتبادل المراسلات من طريق صفحات التعارف وفي استطاعتهم اذا احسنوا التصرف أن يخلقوا لا لأنفسهم وحدهم بل لبلادهم صداقات تنمو من حيث لا يقدرون لتكون في أحد الأيام ركيزة قوية اذا أدلهمت الأمور أو نزلت ببلادهم نازلة ..

لقد قرأت ان مدينة ما أصابها الزلزال بنكبة فاجعة فبادر أصدقاء الشباب بالمراسلة الى فتح اكتتاب واسع لاعانة مدينة أصدقائهم فتهيأت لهم مبالغ لا يستهان بها استطاعوا أن يغيثوا بها المدينة الصديقة .

ما أحلى أن يتوسع شبابنا أو شيوخنا اذا واتاهم النشاط الى خلق صداقات لا تقتصر على شرق أو غرب بل تتسع الى أوسع مدى يستطيعون ليستفيدوا لثقافتهم ويفيدوا بلادهم في أهم مناحيها .

واذا كان لكل فكرة آفة ففي رأيي أن الزواج بالمراسلة من طريق صفحات التعارف كثيرا ما ينبني على مغالطات يرتكبها المراسلون أو المراسلات ليصلوا الى غاياتهم المشبوبة .. انه لا يكفي في رأيي أن يقول الفتى أو تقول الفتاة ما يغرى بانجاز الأمر بينهما بل لا بد لكل طرف أن يسمع عن الحقائق التي تهمه من المحتكين والمتصلين ممن يثق في اخلاصهم والا بنى صرحهما على جبل من ملح .

رجل الطموح لا يعجزه الوصول

قال صاحبي وهو في سياق حديث عن قريب له: انه ليحزنني أمر هذا الفتى فقد تركه أبوه ومضى الى رحمة الله في سنته الأولى من الدراسة المتوسطة فأضطر لترك الدراسة وهو يعمل اليوم بما تخوله شهادة الابتدائية من عمل براتب لا يقيم اود عائلته.

قلت: وليس في هذا ما يمنع مواصلته للدراسة أو تنمية معلوماته بأي أسلوب يواتيه فالطموح الجاد لا يعجزه الدأب في سبيل ما يطمح مهما كانت الظروف ومهما عاكسته الحياة.

واني لأذكر في هذا الصدد قصة جزار سويدي كان أبوه يعمل بوابا لاحدى العمارات فكان لا يجد ما ينفقه على تعليم ابنه لهذا كلفه أن يترك المدرسة عند نهاية المرحلة الابتدائية وان يلتحق بأي عمل يربح منه فاشتغل الفتى صبيا عند جزار فحذق الصنعة وأصبح جزارا ممتازا واستطاع أن يستقل بعمل خاص به في الجزارة ثم عن له أن يكمل تعليمه في المدارس الليلية فالتحق بها وظل يواظب على الدراسة فيها حتى ظفر بالشهادة الثانوية فكان أعجوبة بين زملائه الجزارين وقد قيل له لو اكتفيت بما ظفرت لتهيأ لك عمل في غير ميدان الجزارة ولكنه أبى وأصر على مواصلة عمله كجزار ليجد الفرصة كافية لمواصلة دراسته وبذلك استطاع أن يلتحق بالجامعة وأن يواصل دراسته فيها وعند ما شعر أن

متطلبات العمل في الجزارة تشغله عن مواصلة الدرس باع دكانه وتفرغ للدراسة ولكنه ما لبث أن وجد نفسه عاجزا عن مواصلة الدرس لقلة ذات اليد فبحث حتى استطاع أن يجد عملا امتهن فيه دفن الموتى وظل على دراسته لا يتوانى .

ونال على اثر هذا شهادة الطب البيطرى من كليته فلم يقف طموحه عند هذا الحد بل واصل عمله في دفن الموتى ليتيح له ذلك مواصلة الدرس وبذلك استطاع بين عام وآخر أن يحصل على الدكتوراه بدرجة متفوق .

وبدا له بعد ذلك أن عمله في البيطرة لا يشبع رغبته في الحياة فظل على عمله في دفن الموتى والتحق في الوقت نفسه بكلية الحقوق فثابر على دراسته فيها حتى نال شهادتها .

ولم يشأ بعد ذلك أن يرتبط بمكتبه الجديد كمحامي فقط فعرض على زميل له من علماء باثولوجيا الحيوان تأسيس معهد لفحص المواد الغذائية فكان لهما ذلك واستطاعا أن يبتكرا فيه بعض طرق الاختبارات العلمية الهامة لاكتشاف ما في مواد الغذاء من عناصر صالحة للحفظ أو مضادة للحيوية مما لا يسمح باستخدامها عند حفظ الأطعمة فأدى وزميله بذلك خدمات علمية عظيمة لصالح رقابة الأطعمة واستطاعا تحقيق أرباح خيالية كما استطاعا تأكيد شهرة واسعة أصبح المعهد بعدها حديث الأوساط العلمية والطبية في كثير من بلاد أوربا .

قل يا صاحبي لقريبك الفتى أن بعيد الآمال واسع الطموح لا يعجزه أن يعمل الكثير والكثير جدا اذا صدق العزم وأكد النية .

علينا الانتشاء

(١)

قال صاحبي : ما بال قوم يتشاءمون فلا يرون في ملابسات أمة العرب ما يطمئن على مستقبل يؤكد كيانهم ويمنحهم الفرصة لا ثبات وجودهم بين الأمم الحية على وجه الأرض .

قلت : انهم سلبيون عديموا الثقة بأنفسهم وليس كالسلبية وانعدام الثقة شيء يثبط العزائم ويغرى بالتراخي والكسل .

ألم يأتهم نبأ العرب قبل وثبة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وما كانوا يعانونه من جهل وتفرقة في صور لا تبشر بما يحقق املا في حياتهم فما كاد النبي يخطو خطواته حتى قالت الأيام آمينا فاذا التفرقة تتداعى لتجتمع أطرافها في كتلة واحدة واذا غيوم الجهل تنزاح لتسطع الشمس من ورائها وهاجة قوية واذا اخوان الصحراء من بدو الخيام وبدو القفار يسيحون في نصف الكرة الأرضية ليملكوا زمامها ويفرضوا مبادئهم وأحكامهم على دولتين من أكبر دول العالم يومها .

ثم أين هم من ماضي هذه الأمم التي تعاصرنا والتي تهيمن اليوم على أكثر قارات الأرض ألم يقرأوا تاريخها يوم كان يسودها الجهل وتحكمها الفوضى ويسيطر عليها الاقطاع والهمجية في أبشع صورها .

فهل منعها هذا من أن تستيقظ لتجمع شتاتها .. هل منعها هذا من أن ينادى المنادون بين أرباضها ليأخذوا بيدها الى العمل الجاد المثمر الذي أهلها للحياة الصحيحة ومكن لها لتسيطر على مقدرات عشرات الأمم وعشراتها وتفرض حتى ترهاتها ومباذلها على أكثر الشعوب التي تعاصرها .

انها لو منيت في عهود تأخرها وجهلها بمتشائمين يفتون في عضدها وينكرون أهليتها للتجمع والتقدم لظلت في مكانها مستكينة لجهلها تستمرئ النوم ولما استطاعت أن تخطو خطوة في دروب المجد الذي باتت محسودة عليه .

ألم يأتهم أن العزائم تفعل مالا يفعله السحر وانه ليس بينك وبين ان تحقق أقصى أمانيك الا أن تثق بنفسك وان توحى اليها انك أقوى من أن تغلب .

لا أرى أي معنى لهذه السلبية التي منى بها بعضنا ولا أفهم كيف أفسر تشاؤم المتشائمين فلسنا أول أمة تأخر بها الحظ أو عاندتها الأيام فتأريخ الأرض مفعم بالآف القصص وآلافها تلك التي تحكى ادوار الأمم التي دارت بها الأيام من ضعف الى قوة ومن عجز الى اقدام .

لا .. لا يا صديقي ليس لنا أن نتشاءم وقد بدأنا نشق الطريق وبدأ روادنا يرسمون الخطط وبدأ وعينا يستوحى من معاني الحياة على حقيقتها ـ اننا يا صديقي سائرون .

عَلينا ألا نتشاءم

(٢)

قال صاحبي : وكنا في صدد المتشائمين الذين يجهلون معاني الثقة بالنفس وهم يحسبون أن لا أمل في نجاح أمة العرب وهم في غمرة هذا الشتات وهذه اللاأبالية المقيته .

قلت له لا أرى أن نذهب بعيداً في مثل هذه المعاني فنحن اليوم على أبواب محاولات لا يستهان بفاعليتها .

لا أرى معنى لليأس فالحياة دول يصعد في مدارجها المتفائلون ويتثاقل السلبيون واللاأباليون فيستمرئون حضيضها ويستنيمون لطراوتها .

لا يجب أن نتصور الحياة كالحة لا ينفذ اليها ضوء ففي هذا ما يثبط العزائم وتفتر له الهمم فالرجل الرجل لا يعترف بعجز ولا يعرف في الحياة مستحيلا وليست الأمة الا مجموعة أفراد تتضافر عزائمها على العمل في سبيل النهوض وتمشي في مواكبها مشية المعتز بنفسه الواثق من كفاءته وقدرته على مجابهة الحياة .

كلنا يعرف قصة أمة تعاصرنا اليوم في آسيا وأخرى تعاصرنا في أوربا خرجتا من حرب طاحنة منهوكة القوى لم يترك الدمار في مدنها وعواصمها الا آثار اطلال ترسم للمشاهد في اول وهلة أبلغ معاني التدهور فلم يفت ذلك في عزائم

رجالها لان لهم من الثقة بأنفسهم ما يجل عن الوصف .

لقد نادى مناديهم حي على العمل فلم يأنوا ولم يستكينوا بل تواثبوا من كل صوب مصممين فما هي الا خطوات وخطوات حتى تبدلت الأرض غير الأرض فأنشقت الميادين عن عمران لا يضاهي ومؤسسات لا تجارى ومصانع تضج لهول آلاتها أفاقهم على سعتها .

لم يكن بينهم يائسون يفتون في عضد المنادين ولم يكن بينهم سلبيون يرجفون بما لا يفهمون .

كانت شعوباً واقعية لها فهمها الناضج وعزمها الصامد .. كانت فاهمة مركزها في جلاء واضح عارفة لكل ما يتعين عليها لتستأنف مسيرتها فنشطت لما فهمت وآلت ان تحقق لبلاد ها ما عرفت .

فما علينا لنحقق لبلادنا ما يتعين علينا تحقيقه الا أن نصرف عن اذهاننا أراجيف اليائسين وألا نبدد ثمين أوقاتنا في تصوير الحياة حالكة قاتمة لا ينفذ اليها الضوء لينير آلام المتوجعين ونستبكي عيون الحائرين ونحيا حياة البكائين الذين لا يحسنون الا العويل والندب .

علينا ألا نترك عدوى اليأس والبكاء تتسرب الى صفوف شبابنا الجديد فتعطل مواهبه وتثبط من عزمه الذي بتنا نيط آمالنا به ونعقد عليه آمانينا فالشباب عدة الحياة اليوم اذا تراخى تراخت الآمال المعقودة بناصيته فضاعت أمانينا وخاب لنا كل سعي .

ان بلادنا لا تستنكف ان تسلم مقاليد نهضتنا الى شبابها المتوثب اذا أثبت جدراته بها وآلى ان يصم اذنه عن كل متشائم يهرف بما لا يعرف وان يدلل في ذات الوقت على واقعيته وكفاءته وقدرته على وزن الأمور .



مظاهر السرف في مناسباتنا

« ١ »

قال صاحبي : ليتك كنت معي في حفل البارحة لترى العجب الذي نستغربه
قلت وما ذاك ؟ .

قال نزل بعين من اعيان جيراننا ضيوف لا يزيد عددهم عن ثلاثة اراد ان يحتفى بمقدمهم فأولم لهم ودعا بعض أقاربه ومعارفه الى ما أولم . الى هنا والامر جد عادي ولكن الشيئ الذي يلفت النظر ان ذبائح الوليمة وان كنت لا أعرف عددها ولكني اعرف ان صحاف اللحم الكبيرة ظلت بعد نهاية الاكل كما لو كانت لم تمد اليها يد ضيف لكثرتها كما أن اطباق الفاكهة ظلت على حالها كانها لا تجد من تناديه لاكلها .. ليتك كنت معي لتعجب لمبالغاتنا وتأسى لهذا الصرف المقيت .

قلت : انها سمات البادية لا تنفك تلازمنا في أكثر مرافق حياتنا حتى نتفهم الحياة على حقيقتها ونعرف قيمة الاشياء في جواهرها بعيدة عن قشورها .

ان شأننا اليوم في أكثر ولائمنا واحتفالاتنا يعبر ابلغ تعبير عن مدى ما نتكلفه في سائر مظاهرنا الاجتماعية وليس بيننا وبين أن نقتصد فيما نتكلف الا ان نرتفع باذواقنا الى مصاف الانسان الراقي الذي يعرف كيف يعبر عن اهتمامه بأية مناسبة سعيدة بأسلوب لا يتكلف في سبيله بعض الارهاق والنصب الذي نتكلفه .

ان في استطاعة صاحب الذوق الرفيع ان يقدر ضيفه بايناسه وابداء ولائه وشعوره الطيب اكثر مما يقدره بالسرف المقيت المتكلف .

وانت ترى ان الامر بيننا لا يقتصر على مثل هذا الحفل الذي نتكلفه لنستقبل به ضيفا عزيزا بل هي خلة شائعة في اكثر مرافقنا الحياتية ومناسباتنا الاجتماعية .

فحفلات العرس عندنا مظهر صارخ من مظاهر السرف الذي لا يقره عقل واذا راق لبعضهم ان يعلّله بأقتناص فرص الافراح فما رأيك في اقتناص فرص الاتراح لنبالغ في ضجتها فتتكلف من المظاهر ما لا يليق بقوم اصيبوا في عزيز لديهم وباتوا باكين .

الا ترى اننا ننسى ترحنا وننسى بكاءنا في سبيل عادات وتقاليد لا مبرر لها فنستقبل المعزين بولائم لا حدود لها كما لو كان لا يشغلنا شاغل الموت والحزن عن الاعداد لما يجب للعرف المقيت في ضجة لا تختلف كثيرا عن ضجة الزواج والافراح والليالي الملاح .

انه حب الظهور المتكلف ينسينا كثيرا من قواعد اللياقة ويأخذ بنواصينا الى توجيهات نسميها عرفا دون أن نستوحى عقولنا فيما اقدمنا .

قد يقال أنها لون من الصدقة وننسى أن للصدقة الف سبيل الا هذا السبيل .. ذلك ان أردناها صدقة بمعناها الصادق واستطعنا أن نخلص النية فيما نتصدق . نستطيع أن نجعل ولائمنا من مثل هذا النوع وقفا على المساكين والمحتاجين أو نقدم ثمن ما اسرفنا نقودا نمنحها ايتامنا واراملنا وضعفاءنا ومن نحسبهم أغنياء من التعفف نقدمها لهم منحا مستورة في بيوتهم فذلك أجزل مثوبة مما نقدم لوجهائنا وأغنيائنا على موائد هم اغنى الناس عنها .



مظاهر السرف في مناسباتنا

« ٢ »

قلت لصاحبي : وكنا في صدد ما نتكلفه في سائر مظاهرنا الاجتماعية من سرف لا يقره منطق مما شاة لتقاليد معينة لا يقول بها عاقل .

قلت له:ان مأساة المآسي نرى أثرها اليوم كعقبة كؤود أمام مستقبل شبابنا فالشاب الذي يرجو أن يكمل لنفسه نصف دينه تأبى هذه التقاليد الا ان تقف دونه وما يرجو .

فقد بالغت التقاليد في تقييم الصداق المفروض حتى ضاعفت أرقامه بشكل مخيف .. وتسأل من أين للشاب وهو في خطوته الأولى من الحياة بمثل هذا المبلغ الفخم ومن أين لنا أن نضمن كفاءة أبيه أو وليه لتقديم مثله .

واذا افترضنا أنه أو وليه بذل المستحيل في سبيل جمعه فهل انتهى به الأمر عند هذا الحد أم أنه مطالب الى جانبه بعشرات الواجبات كلها نصب وكلها ارهاق وكلها لا تقوم الا على ركيزة واسعة من المال .

تسأل كل هذه الأسئلة فلا تجد من يجيبك عليها الا من يقول على الشاب أن يؤجل أمره الى ميسرة .

وتسأل أثمت من يضمن نتائج هذا التأجيل ونحن نعلم ما يحف به من أخطار وما يحدق به من مآسى كما نعلم مبلغ ما يسيء مثل هذا التأجيل الى فتياتنا في خدورهن .

تسأل فلا تجد من يقنعك لأن جمهرة من تسألهم يألمون كما تألم ويحزنون كما تحزن ويأسفون كما تأسف لعجزهم عن علاج الأمر وتطبيبه .
إذاً فأين الحل ؟ .

لا أحسب ثمت حلا الا عند الوعي العام اذا تفتق عن مفاهيم ذكية تعرف كيف تقدر الأمور على ضوء الواقع الصحيح حدثني صديق فقال تقدم الى فتاتي من يطلب يدها فلما وثقت من كفاءته ورضيت دينه وعقله اعلنته موافقتي فتقدم إلي بالصداق فرجعت به اليه قبل أن أحصى عدده وقلت هو منى اليك لتقيم به أود بيتك وما يلزم لقرانك وزفافك ثم اضفت اليه ما استطعت منحه من جيبي فما زاد ان عقد قرانه في ليلة واحدة تسلم في صباحها زوجه ليبنى بها كيفما شاءت وشاء .

هوذا أسلوب العاقل الذي يعرف منتهى آمال الفتاة ان يبنى بها في بيتها وان ما دون ذلك من مظاهر لاتزيد عن كونها ثانويات لا تقدم ولا تؤخر .

ولكن اذا قنع الاب بمثل هذا الاسلوب هل تقنع الام والاخت والجدة بما رآه .
أحسب أن أهم مآسينا تنبت في هذه الزاوية ولكن أملنا وطيد في مدارس البنات الجديدة التي نرجو أن تهيىء لنا أمهات نفخر بوعيهن وثقافتهن وكمال تقديرهن لحقائق الأمور .

*****

مفاهيم الرُّجولة

قال صاحبي : الا تعجب لفلان وقد عاد الينا يحمل شهادة عالية ترشحه للعمل الوظيفى في مرتبة جد عالية ومع هذا أبى الا أن يشغل نفسه بأعمال حرة ولكنها في رأيي لا أحسب انها تقيم أود شاب متطلع يحلم بحياة تضاهى حياة أترابه من شباب العصر .

قلت : وماذا تعنى بشباب العصر أهو الشباب المترف الذى تدلج سيارته به الى مكتبه الوثير ليقضي فيه ضحوة النهار ثم يستأنف عودته ليسترخي أو يقرأ أحدث ما انتجته دور القصة حتى اذا أمسى هرع الى سيارته يمتطيها الى الأصيل الجميل بين المزارع وقد جللتها أشعة الشمس بلونها الذهبي أو مهابط الوهاد وقد سالت على شطآنها جداول صافية من بقايا السيول حتى اذا غابت الشمس وراء أفقها البعيد أستأنف عودته ليقضى سمره بين لداته بين لهو الحديث أو حديث اللهو .

لا تحسبني أعنى كل شبابنا بهذا العبث المترف فبيننا شباب يعرف واجبه للحياة وفروضه لبلاده ولكنهم أقلية لا تكفي سواعدهم لبناء المجد الذي نحلم به لبلادنا .

أما فلان الذي تشير اليه وتنعى عليه عصاميته التي هيأته ليترك سبيله المعبد

الى الكرسي الوثير ليخوض مجال العمل الجد فتلك اصالة نتمناها لسائر شبابنا من أصحاب الشهادات العالية .

ان بلادنا لم تنفق على هذا العدد الهائل من أصحاب الشهادات هذا الانفاق العريض ليملأوا كراسي الوظيفة فقط ويتمتعون بدخلها الواسع .

لا .. فهي تنتظر منهم الى جانب هذا ان تظفر بالمهندس الذي يبني المصنع والميكانيكي الذي يصهر الحديد والجيولوجي الذي يمسح الجبال والفيزيائي الذي يتفرغ للمختبر والكيميائي الذي يحيا لبحوثه وتجاربه والطبيب الذي يهب نفسه لبناء المصحات والمستوصفات في أقاصي القرى وبين اكتاف الجبال والبحاثة الذي لا يستأنف ركوب الحمير الى أوعر الطرق بحثا عن آثارنا المطمورة والأديب الذي يجرد قلمه لدراسة مقدراتنا من كافة نواحيها ليستثير الهمم ويوقظ ما عفا من ضمائرنا .

أعرف شابا عجز عن مواصلة دراسته الجامعية فأندفع تحت تأثير بأسه ليتصل بمصنع أوربي لصهر المطاط ويحيله الى آلاف الأجهزة والأدوات المنزلية فرابط تحت ادارة المهندسين في ثبات وجلد حتى اذا حذق مهارتهم شد رحاله الينا وما لبث أن اتصل ببعض الممولين فأقنعهم ليبنوا مصعنا يشرف اليوم على ادارته عمليا فينتج عشرات الأجهزة وعشراتها في صورة غطت الأسواق المحلية واغنتها عن الاستيراد وحققت أرباحا للممولين كما درت عليهم كسبا تحسده عليه رواتب الكراسي في أحسن المراتب .

الا أنه درس له ثمنه الغالي .. ما أحوج شبابنا الى أن يستوحى مفاهيم الرجولة ومعانيها .



ليس لنا أن نتحدى الحياة أو نتعمق

قال صاحبي : الا ترى أن من السعادة أن أعيش الحياة تلقائيا كما اتفق دون أن اعنى نفسي باستقصاء مشاكل الحياة آلامها وشرورها فشلها أو نجاحها وان أحيا بعيدا عن كل ما يقلق من هموم العيش .

قلت: انها فكرة الشاعر العربي قبل مئات السنين لا أحسبه أراد أن يقرها بقدر ما أراد أن يسخر بأصحاب الجهالة من قومه عند ما قال :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله × وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

قد لا أنكر أن التعقل المفرط في كل ما يصادفك من أحداث الحياة وان الامعان في مراقبة كل ما يمر بك من مفارقات العيش كثيرا ما يرهق النفس وربما اشقاها وعكر الكثير من صفائها وتركها لا تنعم بعيش ولا تسرها فيه بادرة فهو قلق متوتر يأبى الا أن يتكلف لدراسة كل حالة فتتناقض أمام تكلفه أكثر المفاهيم فيضطرب ويحتار ليؤرقه الاضطراب وتشقيه الحيرة .

لست اعني بهذا أن يعيش الانسان حياته سبهللا دون أن يصحح فيها طريقه ويتبين دربه ويعرف علاقته بكل ما يصادفه من مفاهيم الحياة ليميز ما فيها من صواب أو خطأ .

أقول لست أعنى بهذا أن يستغنى الانسان عن ملكة العقل التي وهبها فممارسة العقل تنشيط لملكاته وليس كنشاط العقل لذة ينعم بها رجل الفكر وعاشق البحث .

لقد ضل الوجوديون عند ما حسبوا العقل مجلبة نكد وتعاسة قالوا ان من يراقب الحياة ويتمعن أمورها ويتابع مفارقاتها بعناية المدقق الذى يفلسف مجرياتها فقد صرف نفسه عن الحياة التى يجب أن يعيشها تلقائياً لينعم بأجمل ما فيها .. وتمادت بعض مذاهبهم في هذه التلقائية ليسموها بساطة فيحلوا عقالهم تحت شعار هذه البساطة ليعيشوا كما شاء لهم الهوى ويتركوا غرائزهم تملى عليهم ألا تغمطوا حظكم في دنياكم ولا تتقيدوا بأوضاع بنتها الأجيال في طريقكم لتحد من سعادتكم وتنسيكم ذاتيتكم .. عليكم أن تنطلقوا وان تنعموا بالحياة كما خلقت .

انها حيوانية الحيوان ((الداشر)) لا حرج على ما يفعل فهو مفقود الوعي مسلوب الفهم وليس لهم أن يسموه سعيدا بما يفعل في انطلاقته فالسعادة ان تشعر بأنك سعيد أما أن تسعد وأنت لا تدري وتسعد وأنت لاتحس فليس في هذا أي معنى لسعادتك .

لك ان تقول اننا لم نخلق في الحياة لنتحدى جميع مفارقاتها نستغرق ونتعمق ونرهق ملكاتنا بالأفكار المضنية في أسلوب مربك نحيا به قلقين مضطربين ولكن ليس هذا ان نلغي عقولنا لننسى حقائق ما نعيش وننطلق كالسائمة لا تردعها الا القوة ومن يقف في وجهها بالعصا .



بحوث الفضاء لا تقتصر على خدمة الفضاء

قال صاحبي : ثمت فكرة لا تعجبني فلسفتها تلك قصة أبحاث الفضاء التي باتت تستنزف مئات الملايين ليقال انهم وصلوا الى القمر ترى ماهي النتائج العملية التي ترتبت على هذا الاستنزاف العريض وما هي المكاسب الصحيحة اذا قيست بالمكاسب التي تظفر الانسانية بها لو توفرت كل هذه الملايين لسد عوز المحتاجين والجائعين على وجه الأرض؟

قلت : ان الأمر في رأيي أبعد غورا مما نرى .

هنا شيء اسمه التفوق ولولا ميل الانسان بغريزته الى حب التفوق لما كانت حضارات ولما تفاعلت مدنيات لتنتج سائر المبتكرات التي نتمتع اليوم بافانينها في كل ضرب من ضروب الحياة .. اذنْ لعشت اليوم سطحيا بدائيا تستظل بأدواح الغاب وتستر سوأتك بما يتناثر من أوراقها وتعيش بصورة عامة في أسلوب لا يختلف عن أساليب عاشها أول انسان دب على الأرض .

على أن الأمر في بحوث الفضاء لم يقتصر على ما ربح في حلبة التفوق فهم يهيئون هذه البحوث لخدمة المواصلات بشكل واسع الافاق وهم يهيئونه لخدمة التلفزة في شتى الوانها ويتكلون عليه في تتبع سائر الحركات الاستراتيجية التي تعنيهم بالنسبة لعلاقاتهم بدول أخرى .

وتتناقل اليوم بعض الأخبار العلمية تفصيلات دقيقة تقول أنها ستدفع بالانسان الى ابتكار وسائل حديثة ستحقق كثيرا من القيم التي ستكون لها أحكامها في التقنين الجيولوجي .

ومما يذكر في هذا الصدد ان مركبا فضائيا واحداً قد يدخل في تركيبه · أكثر من خمسة ملايين قطعة وان بعض هذه القطع التي اهتدت اليها بحوث الفضاء سوف يمكن استغلالها في مجالات حيوية لخدمة الانسان فهم يذكرون في مجال الطب مثلا ان نظارة خاصة جهزت لملاحي الفضاء في استطاعتها ان تساعد في توجيه مقعد متحرك يستخدمه انسان مشلول الاطراف وان جهاز التمركز الطردى في أي مركبة فضائية يمكن استخدامه لنقل رصاصة أصيب بها جريح في أي موضع دقيق من جسمه بصورة عاش الطب الى اليوم الحاضر عاجزا عن نقلها .

كما ذكروا ان مادة بلاستيكية مغطاة بالالمنيوم تعمل اليوم في مراكب الفضاء بمثابة عازل نادر المثال في قوته ويمكن استخدامه في مجالات علمية لم تطرق الى اليـوم ·

لا عجب اذا ادعت اليوم بحوث الفضاء ان خدمتها سوف لا تقتصر على مجالات الفضاء وانها ستخدم حاجة الانسان على الأرض في آفاق لا يحصى عددها·

الليث بن سعد

« ١ »

قال صاحبى يحدثنى عن ثري ايطالي أوقف ثراه على مساعدة العلم والعلماء وانه عاش ينفق على نفر من طلاب الجامعات بصورة سخية هيأتهم لأفضل المراكز .

قلت ان في هذا ما يذكرني بعشرات وعشرات من أصحاب الثراء في تأريخ الاسلام عاشوا يبذلون أموالهم في خدمة العلم وطلاب العلم .

ويحضرني اليوم من هذا القبيل قصة الليث بن سعد وليس من يجهل الليث ابن سعد علما وفضلا وثراءا واسعا فقد كان دخله السنوي يقدر بمئات الألوف ومع هذا فقد قيل إن الزكاة ما وجبت عليه قط ذلك لأنه ما حال حول وفي خزانته ما يبلغ نصاب الزكاة .

كانت منزلته العلمية قل أن تقارن وكانت شهرته في علوم الحديث والفقه قل ان تجارى حتى لقد قارنه بعض عارفي كفاءته ببعض أئمة المذاهب الأربعة وميزه بعضهم على بعض من ذكرت وشهد له جمهرة من الفقهاء والمحدثين بعلو كعبه وميزته على أكثر من نبغ في عصره من فطاحل الأئمة في القرن الهجري الثاني .

وهو مع هذا بالغ الفطنة لا مع الذكاء ذكروا ان الرشيد غضب من زبيدة مرة

وهي تناقش بعض تصرفاته فقال لها أنت طالق ان لم أكن من أهل الجنة ثم بدا له أنه قد تسرع فعرض الأمر على أشهر علماء بغداد فلم يجد من يفتيه الى أن قيل له أن الليث بن سعد يزور بغداد من أيام فلو ارسلت اليه فأمر بحضوره وقص عليه ما حدث .

فقال للخليفة : لي سؤال لا تجيبني عليه إلا إذا حلفت بصحة ما تجيب .
فكبر على بعض الجالسين أن يستحلف الخليفة بمثل هذه الجرأة الغريبة وظهرت على ملامح الخليفة بعض آثار الغضب .

ولكن الليث أبى الا أن يحلف الخليفة ليفتيه أو ينفض يده من الأمر فلم يسع الخليفة الا أن يجيبه الى ما طلب .
فقال الليث : ألست تخشى الله .
قال نعم : قال عليك أن تقسم بالله على ما قلت .
فحلف الخليفة يمينا مؤكدة أنه يخشى الله .

قال اذأ فلك جنتان لا جنة واحدة بدليل قوله تعالى ((ولمن خاف مقام ربه جنتان)) .

واذأ لا طلاق فيما قلت فهتف به الخليفة أنت أعلم من رأيت وأمر له بمال بالغ الرواة في تقديره ولكن صدى القصة كان لها دويها الهائل في محافل بغداد العلمية الى زمن طويل .

الليث بن سعد

« ٢ »

لقد كان المقرر في حديث سابق ان نأتي على بعض ما يروى عن كرم فقيهنا المحدث الليث بن سعد ولكن شهرته في الفقه ساقتنا الى رواية بعض ما اشتهر من كفاءته العلمية ونستطيع اليوم أن نلم ببعض ما روى عن سخاء يده وبره المحتاجين وطلاب العلم من الفقراء .

لقد ترجم له أكثر من مؤلف ويكاد يجمع أكثرهم أنه كان واسع الغنى وأنه ورث عن أبيه ثراء طائلا وانه الى هذا كان يشارك في أكثر من تجارة يفوض فيها وكلاءه أو شركاءه ليتفرغ لطلب العلم وانه كان كثير الأسفار في سبيل العلم وانه ركب الى الحجاز أكثر من مرة ليأخذ من كبار التابعين في مكة والمدينة وانه كان يصطحب نفرا من تلاميذه في كثير من رحلاته ليفيدهم مما يتعلم ويستفيد من كتابتهم في مساعدته على تسجيل ما يهمه تسجيله من فرائد العلم .

وانه عندما ألقى عصاه في بلده مصر ازدحم عليه طلاب المعرفة فكان يعطيهم أكثر وقته ويفرد للفقراء منهم مجالس خاصة في داره .

ولما ضاق داره بالفقراء من طلاب المعرفة أمر وكيله أن يبنى لهم بيتا واسعا كبيرا كثير الغرف من نوع ما نسميه اليوم - رباطا - وان تجري عليهم نفقات تكفيهم مؤونة البحث عن طلب العيش ليتفرغوا لطلب العلم وان بعض القاصين

عن بلده كان يبلغهم ما يبذله في سبيل العلم فيكتبون اليه أنهم لا يجدون ما ينقلهم اليه فيأمر بنقلهم وان يزودوا بكافة مطالبهم الى أن يبلغوا مأمنهم عنده وربما بدا له أنهم يعولون بعض أهليهم فيأمر بمساعدتهم شهريا فاذا بلغوا مأمنهم عنده أمر بتأمين مساكن تكفيهم فإذا ضاق ما بنى من مساكن أمر باستئجار ما يكفي لسكناهم وكلف المختصين بدفع الأجور وان يرتب ما يكفي لنفقتهم .

وكان يلاحظ ان مستوى بعض الطلبة لا يؤهلهم للدراسة في مجالسه فيأمر باحالتهم الى من يتكفل بتدريسهم فيتطوع بعض كبار تلامذته بتدريسهم ولكن شيخنا الليث يأبى الا أن يدفع أجور التعليم وبذلك كانت تزدوج فوائد كبار الطلبة في بيته فيعيشون على نفقته وينهلون بالمجان من مناهل علمه ويتقاضون أجورا اضافية لقاء عنايتهم بتعليم صغار الطلبة في بيته .

فلا عجب اذا عاش الرجل رغم غناه العريض ومكاسبه الهائلة لا يجد في خزائنه اذا حال الحول ما تجب فيه زكاة .

هذا عدا ما اشتهر به من مساعدة العلماء فقد كان يفرض للمحتاجين منهم رواتب دائمة وكان بعض المعسرين منهم يكتب اليه اذا أثقلته الديون فيأمر بسدادها .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم × اذا جمعتنا يا جرير المجامع

في سبيل قضيّتنا

قال صاحبي : الا ترى أننا أخطأنا الطريق بالأمس ونحن نعالج قضيتنا مع العدو الغاصب في فلسطين .

قلت : لا ينكر هذا إلا مكابر فقد عشنا مع قضيتنا غير موضوعيين عشنا نتقد حماسا ننذر بالويل ونتوعد بالثبور بينما عاش أعداؤنا يبكون ويستبكون ويسجلون علينا خطب الحماس وعبارات الوعيد في براعة لا تتوفر الا لدهاة يعرفون كيف تؤكل الكتف .

عشنا لا نركز على الجهود الشعبية بقدر ما نضللها ونعمى عليها ونزوغ عن الحقائق عندما نواجهها .

عشنا ندعى افلاس أعدائنا وجوعهم وما يكابدون من أزمات اقتصادية وسياسية وعسكرية ونحن نعلم باطل ما ندعي كما نعلم أنهم يجندون من سائر طاقاتهم البشرية والآلية والعقلية والدبلوماسية ما تكشفت حقائقه الأليمة بأفظع ما كنا نتخيل .

ترى هل يعنى هذا اننا فهمنا مبلغ اخطائنا فيما سلف منا وهل استطعنا أن نهضم بوعي كل هذه الدروس التي امتحنا بها وهل تبين لنا اننا كنا في أحد الأيام

مخدوعين بمن يدعي صداقتنا ويستغل سذاجتنا ليوجهها كما يشاء ويحقق لنفسه منها ما يخدم مصالحه ويلون خارطته بالصورة التي ترسمها سياسته .

اننا في سبيل أن نتابع ما يزيف علينا لمصالحه خسرنا الرأي العام في أكثر بلاد العالم وارتبك علينا عرض قضايانا بالأسلوب الواضح الذى يقرر الحقائق ويتركها تنطق بحقوقنا في لغة سليمة مؤثرة تضمن اضاءة الطريق أمام كل مستفيد .

قال لي شاب عاد حديثا من بلاد حرة اننا كنا نتوارى عن وجوه القوم في ذلك البلد على اثر حوادث النكبة المريعة ذلك لأن العدو الماكر استطاع أن يوطئ لعدوانه بأسلوب بارع ضلل به على كل مستفيد واستطاع أن يظهرنا بمظهر الطغاة وأن يذيع كل ما سجله علينا مما كنا نتبجح به في عتو ليبكي ألما ويستبكي كل من يرجو عطفه ويؤمل رفده .

ان كسب الرأي العام في أهم بلاد العالم من أهم النقاط التي يجب أن نرتكز عليها في تحقيق قضيتنا ولا يكفي فيما أرى أن نكون أصحاب حق عادل ونحن لا نحسن تصوير وتجنيد الرأي العام لمشايعتنا .

عسانا اليوم نقتنع بسوء ما فعلنا ونثيرها من جديد جذعة تنير طريقها المشاعل الوهاجة التي تبصر العالم بأحقيتنا فيما نفعل .



ماذا يريدون بنا ؟

« ١ »

قال صاحبي : الا ترى أن ما حدث أخيرا في فلسطين كان في صالح بعض دول الغرب مثلما كان في صالح اسرائيل .

قلت : هو ذاك على ألا تنسى أن المستفيد في الدرجة الأولى قبل الدول التي تعنيها في الغرب بل وقبل اسرائيل نفسها هم الروس .

ولا أحسبك تسألني ؟ فانت تعلم أن ما قيل عن عزم اسرائيل مهاجمة سوريا كان خبرا مصدره موسكو .

وهو الخبر الذي أثار مصر ودفعها لتعلن فجأة اغلاق المضائق وتفتيش السفن التي تمر بقناة السويس تحاشيا أن تنقل ما تنقله لاسرائيل وان تطلب سحب قوات الأمم المتحدة من الحدود الفاصلة وان تأمر جيشها بعبور قناة السويس في طريقه الى اسرائيل .

ولست تجهل أن روسيا ايدت كل هذه الخطوات سلفا ان لم تكن قد أشارت بها

ولا تشير روسيا بهذه الخطوات أو تؤيدها بل ولا تهئ الجو لها بالخبر الذي أشاعته الا لتخدم مصالح خاصة بها .

فهى تريد قبل كل شيء أن تكشف دول الغرب أكثر مما كانوا مكشوفين لأمة العرب وتضع عيونهم على مبلغ العطف الذي تتمتع به اسرائيل وكأنها بهذا تريد أن تقول ليس لكم إذا جد الجد غيرى .

وهي بالتالي اذا انتصر العرب سيكون لسلاحها ومعداتها فضل لا تؤمل ان ينساه العرب لها وستجد دعايتها الشيوعية منفذا قويا الى صفوف كثير من العرب الذين عاشوا يستاؤون من أية علاقة تربطهم بها .

كما أنها خطوة مضمونة سوف تقصى فريقا كبيرا ممن يحتفلون في بلاد العرب بصداقة الغربيين وتقضى على جزء هام من علاقاتهم بهم .

وهي اذا هزم العرب استطاعت أن تمكن لعلاقتها بهم وان تؤكد لهم أنها ملاذهم الوحيد وانها بما تكن لهم من حب ستعوض خسارة الخاسرين وتهئ لهم من جديد ما يضمن لهم استئناف الكرة ومعاودة القتال .

انا لا أقول أن من يدعي صداقتنا بين دول الغرب يخلصون لنا اخلاصهم لاسرائيل أو يؤيدون قضايانا العادلة ضد قضايا اسرائيل الباطلة .

لا أقول هذا ولكنني أقول ان التجاء العرب بروسيا بعد أن أدلهمت أمورهم سيكون له خطره الذي لا يقاس بأي خطر تجرع العرب مرارته قبل اليوم .

فروسيا التي خططت لتجر العرب الى ما جرتهم اليه لا تنوي بكل ما فعلت الا خدمة مصالحها .

فليتنا نكتفي بما جربنا ولا نغذ السير قبل أن نتبصر مواقع أقدامنا وان نقف حيث وقفنا دون أن نعتمد الا على سواعدنا والا أسلمنا عواقبنا لأسوأ ما نعاني اليوم ورحم الله الشاعر العربي الذي يقول :

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

ماذا يريدون بنا ؟

« ٢ »

قال صاحبي : الا تستغرب تصريحات بعض الناطقين من دول الغرب وهم ينفون عن اسرائيل انها اداة استعمار للغرب وانها مخلب هجوم لصالح الغرب وان عطفهم عليها ليس الا عطفا على مضطهدين يجب أن يعيشوا .

قلت:ان اليهود لم يضطهدهم الا الغرب فما ذنب العرب فيما حدث واذا كان في الغرب من يرى حق اليهود في العطف فلماذا لم يمهدوا لهم منتجعاً من بلادهم وفي أوربا وأمريكا متسع لانشاء الصهيونية في اوسع مدى ؟

اننا لا نستطيع دائما ان نفسر هذا الحماس البالغ لنصرة اسرائيل ظالمة أو مظلومة بأنه عطف انساني على مضطهد يجب أن يعيش .

ان أحداث السنوات التي مرت منذ وعد بلفور في عام ١٩١٧ م الى اليوم أثبتت جميعها بصورة لا تقبل الشك ان اسرائيل ليست الا معقلا لدول الغرب وان شئت فقل قاعدة حربية هيأتها الدول المعنية وشحنتها بأحدث الذخائر والأسلحة لتكون منطلق هجوم على بلاد العرب عند الاقتضاء .

وهي بما فعلت لم تفقد صداقة العرب رغم تأييدهم في أحرج المواقف بل هيأت الفرصة واسعة لعدوها التقليدي في موسكو فمن المعلوم أن سياسة موسكو تحاول من عهد بعيد أن تسيطر على دول العالم ولكن يمنعها من ذلك أنها لا ترى

مواجهة الحرب بالحرب بل تخطط لسياستها ما تستغل به الفرص دون أن تكبد جيوشها خسائر تذكر .

حسبها أن تثير القلاقل في كل بقعة تتصل بنفوذ الغرب وان تمد الثائرين بأموالها وسلاحها وتنادي بهم كدعاة للحرية وتؤيد ما يدعون لأنفسهم في كل مؤتمر أو مجلس بينما تضطر دول الغرب أن تقحم نفسها وجيوشها في مثل هذه المواقف فتخسر شبابها المقاتل وتثير على نفسها نقمة العالم الذى يراها تقتحم ميادين لا صلة لها ظاهرة بما يدور فيها من أحداث .

لقد دبرت روسيا ازمة فلسطين لترقص من وراء الكواليس فماذا فعل الغرب لتلافي عواقب ما سموه عطفا على اليهود المضطهدين .

لقد أعطوا الفرصة لروسيا وتركوها تدعى نصرة العرب وليس في العرب من يجهل انها كانت أسبق من اعترف بأسرائيل وانها في أكثر من مناسبة مدت اسرائيل بمساعداتها وأباحت لليهود رعاياها أن يهاجروا الى اسرائيل ليدعموا مركزها على حساب العرب .

وحتى عندما فرضت هيئة الأمم المتحدة حظر ارسال السلاح الى المتحاربين في فلسطين بعد وقائع عام ١٩٤٨ م كانت روسيا تمد اسرائيل بالكثير من السلاح الذي قضى على كثير من حقوق العرب .

ان دول الغرب بعطفهم المصنوع على اسرائيل أثاروا في الشرق فتنة عجزوا عن تلافيها وسيظلون عاجزين ما أتاحوا الفرصة لروسيا لتزيدها وقودا وتشعلها سعيرا .

لقد عاش العرب طوال تأريخهم الاسلامى يعاملون اليهود معاملة قل ان يكون لها نظير فلم يضطهد وهم كما اضطهدتهم أوربا بل أن اليهود عند ما كانوا يئنون من اضطهاد أوربا كانوا يجدون ملاذهم عند العرب ويجدون أمانهم .

فماذا حدا فيما بدا ؟ ليس في الأمر الا ألاعيب السياسة التي أرادت أن تستغل اسرائيل كقاعدة لنفوذها في الشرق فأبت القاعدة الا أن ترج بهم في اتون لا يدرى إلا الله إلى أى مدى سيتسع لظاه .

ان روسيا وقد سنحت الفرصة لها سوف لا تتركها دون أن تحقق ما تصبو اليه من ربح ـ وهكذا جنت على نفسها براقش .

الفتوّة في بغداد

كنت كتبت قبل اليوم وبمناسبة شهر رمضان عن السُنَّة التي سنها الخليفة الناصر لدين الله في مثل هذا الشهر المبارك ودعا لتأسيسها في حواضر الاسلام .

تلك هي سنة نظام الفتوة الذي اقترحه بعض أشراف بغداد بدافع من غيرتهم على الشاب المسلم الذي غمرته المدنية يومها فماع في ترفها وكاد يفقد أصالة العربي المسلم المعروف باقدامه وبسالته .

ويهمني هنا أن أشير الى ما رواه التاريخ عن الحماس البالغ الذي بدا به الخليفة الناصر فقد ذكر أنه سجل اسمه بين جماعة الفتيان في بغداد وفرض نفسه أن يبرز أمام الجماهير في أكثر من مناسبة وهو يرتدي شعار الفتوة الذي التزم به الفتيان في مجتمعاتهم .

ونستطيع أن نستمع الى الرحالة المعروف بأبن جبير وهو يصف الناصر لدين الله ويقول ابن جبير بعد أن وصف ما شاهده في مجلس الناصر لدين الله أنه كان لابسا ثوبا أبيض شبه القباء محلى بخيوط ذهبية وعلى رأسه قلنسوة مطوقة بوبر أسود . وكان القباء المطرز وكانت القلنسوة المطوقة شعارا اتخذته جماعة الفتيان وكانت بعض الجماعات تضيف اليه حذاء طويلا من الجلد ليقوى على الحركات الخشنة التي كانوا يمارسونها واعتقد ان فكرة الحذاء الطويل انتقلت بعد هذا العهد الى الجيوش النظامية في أكثر الدول .

وجاء في كشف الظنون لحاجي خليفة ان الاحتفال بدخول الشاب في سلك الفتوة كان يقضى أن يشرب الشاب كأس الفتوة ماء نميراً وان يلبس سراويل خاصة بها .

وكان المفروض على أصحاب السلك من رجال الفتوة ان يتدربوا تدربا متواصلا على فنون الرياضة كوسيلة لتقوية أجسامهم واعدادها للأعمال الشاقة.

واذا كان فتيان العرب قد مارسوا قبل هذا العهد التدريب على ركوب الخيل وطعن الرمح وضرب السيف والرمي بالسهم فقد أضيف الى نظام الفتوة في هذا العهد رمى البندق .

وليس هو البندق الذي نعرفه اليوم بشكله الماثل وانما هو كرات دقيقة كانوا يصنعونها من الطين أو الحجارة أو الرصاص ويرمونها بالقوس بصورة لا يحذقها الا من طال تدريبه عليها واعتقد أن بندقنا اليوم استعار اسمه من كراتهم التي كانوا يصنعونها .

وقد استفادت بلاد الاسلام كثيرا يومها من نظام الفتوة واستطاع الشباب في جميع الحواضر التي كانت معرضة لغزو الصليبيين ان تحمى حماها وان تنتصر بفضل ما تهيأ لها من الاعداد الجسمى والروحى في أهم المواقع الحربية .

اننا للمرة الثانية نتمنى على القائمين بأمور الاسلام في سائر أقطار الأرض أن يدعوا شبابهم الى نظام الفتوة ليعدوهم اعداداً قويا يحمون به بلادهم من كل طامع ويصونونبه استقلالهم الذي ضحوا في سبيله بمئات الألوف من الضحايا .

ليتك تفهمني وأفهمك

قال صاحبي : اني لأعجب لهذه المهاترات التي تنشأ بين كاتب وآخر بين أديب ونقاد فينة بعد أخرى فاذا أعمدة الصحف مشحونة بالكثير الذي يسيء الى سمعة الأدب كفن .

قلت : ان مأساتنا في هذا كثيرا ما تنشأ من ضيق اذهاننا فأنت عندما يضيق ذهنك بالنسبة لمن يخالفك الرأي اتسعت شقة الخلاف بينك وبينه فلا عجب اذا استدرجكم هذا الى الملاحاة ولا عجب اذا استدرجتكم الملاحاة الى العناد وليس كالعناد شيئ يطور الخلاف ويصرف عن الهدف فاذا أنت وصاحبك تتلاحيان في غير الموضوع .

ما أحلى أن تحاول فهم ما يراه مخالفا ما أحلا أن تفنده في استقراء وتدرسه في دقة الرجل الحر الذي لا يضلله الغرض ولا يحيد به عن الحق الصراح .

أذكر انني كنت أقرأ من نحو ثلث قرن في بعض صحف البلاد العربية وكانت يومها من امهات الصحف بحوثا بدأت للبحث والدراسة العلمية ولكنها ما لبثت أن استطالت واستطالت حتى انتهت الى ملاحاة صرفه خرجت بها عن مدار البحث فاذا هي كلام مغرض ومفاهيم لا تليق بصحافة كنت اجل مركزها بين الصحف .

ولم تتورع المجلات المحترمة التي كنت أكبر فيها عنايتها بالأدب الأصيل والعلم الغزير في بعض بلادنا الشقيقة . لم تتورع هذه المجلات أن تخوض مخاضا لا يليق بسمعتها فقد فتحت صدورها لدراسات بدأت علمية قليلة المثال ثم ما لبث الجدل ان مال بها الى الملاحاة ومالت الملاحاة بها الى العناد ومال العناد بها الى مهاترات ما أساءت في رأيي يومها الى المجلات فقط تلك التي كنت احترمها واقدر جهودها في سبيل العلم والأدب بل تعدت الاساءة الى سمعة أصحاب الأقلام الذين كانت أسماؤهم يومها تلمع في دنيانا كما تلمع النجوم الزاهرة .

ترى هل استفاد العلم من كل ما جروا هل ظفر الادب كفن بما كان يرجوه من بحوثهم الواسعة هل انتفعنا وامثالنا مما قدموا وكنا يومها طلاب معرفة وعشاق دراسة كما كنا مهووسين بالأدب .

قد يقال ان تلك البحوث بما شابها من مهاترات عنيدة حققت جوانب لها قيمتها من الفائدة ولكن مع هذا لا يتعين علينا أن ننسى أنها كشفت الى جانب ذلك من النواحي الأخلاقية ما أساء الى سمعة الكتاب والناشرين .

يبدو أننا عشنا حينا من الدهر كان المخالف بيننا لا يعنيه كثيرا ان يتلاقى مع مخالفيه في نقطة الابتداء ليمضي النقاش مضيا نظيفا تحصحص فيه الحقائق أقول يبدو أن المخالف لا يعنيه هذا بقدر ما يعنيه ان يعتز بنفسه وان يثبت لمبدئه وربما تكفل في سبيل ما اعتنق كثيرا من المغالطة ليحقق لنفسه نصرا مهما تراءى له في هذا النصر من زيف .

ترى ما يمنعني اذا خالفتك في بعض مذاهب الفكر ألا أنسى أن نظرتي الى الأشياء لا تتسع لجميع الزوايا مهما حاولتها لتكون شاملة وان احكامي على ضوء هذا اذا قاربت الصحة لا يلزم منها أن تكون صحيحة صحة كاملة فالكمال لله وحده .



بين القديم والجديد

قال صاحبي : الست ترى من حق الشباب أن يحتاروا بين من يتحمس للقديم ويرى أن على الشاب ألا يعدل به جديداً وبين من ينبذ الارتباط بالقديم ويرى أن على الشاب أن يكون ابن عصره بكل ما في هذا من معنى .

قلت : أحسب أننا ناقشنا مثل هذا قبل اليوم وانه كان من رأيي أن من لا قديم له لا جديد له على ألا يرتبط بالقديم ارتباطاً كلياً ينسى فيه ملابسات القرن الذي يعيشه فليس من طبيعة الحياة ولا من سننها أن يقف الانسان حيث وقف والا لظل الى اليوم يعيش في الغابات حيث عاش اجداده الا علون ولما تقدم خطوة واحدة في سلم الحضارات .

انك اليوم تنصت الى من يخاطبك من بيته في أمريكا وأقصى بلد في أوربا فلو وقفت الحياة عند أول مرحلة عاشها رجل الغاب لظللت الى اليوم تحيا حياتك بين الرفش والفاس يظللك كهف غائر أو دوحة عريضة الظل .

لقد عاشت الأجيال قبلنا لا ترى أن لون الحياة التي تحياها هي نهاية المطاف بل كان طُموحها يمتد الى أبعد مما تعيش ولهذا ظل الجيل بعد الجيل يرقى في سلم الحياة مرقاة كان لا يعرفها جيل سابق كما ظل تفكيره يتسع لأفق أرحب مما كانت تتسع له أفكار أجداد عاشوا قبله .

عاشت الحياة تتدرج بابنائها من واسع الى أوسع ومن درجة الى أعلى منها .
من هنا كان التطوير ، من هنا استطاع الانسان أن يغزو القمر وان يعيش في أعمق أعماق البحر ليدرس ويحقق ويستنتج ومن هنا استطاع أن يبز الطيور في أجواء تعجز عن منالها بشكل كانت لا تحلم به أجيال سبقت ، ومن هنا استطاع أن يصافح ثبج البحار في أمان لا يضارعه أمان ، ومن هنا استطاع أن يهبط من طبقات الأرض الى آلاف الأميال ليستخرج من معادنها أنواعا كان لا يتخيلها عقل .

ومن هنا كان تطور العلوم والفنون والآداب والأفكار والنظر الى مثل الحياة شيئ لا بد منه لنواميس الحياة .

لا ننكر أن ثمت مصادفات قد تنشأ لظروف خاصة تعوق التطوير حينا من الدهر قد يقصر هذا الحين وقد يطول ولكنه لا يدوم لأن الوعي المدرك لا تنطفئ ذبالته مهما تكالبت عليه الظروف فهو لا يلبث أن يسترد وهجه لتستأنف الحياة خطواتها ولو في شكل وئيد على ضوء الذبالة التي شع وهجها ببصيص من النور .

لا يجب أن يقف الشاب حيث وجد أباه لا يحيل عنه شعرة فذلك لون من الخمول الذهني من شأنه أن يعوق تطوير الجيل وان يقف به عند مرحلة معينة بينما تتسابق الأمم في مجالي رحبة الآفاق .

كما لا يجب أن ينسى قديمه كل النسيان ليبني على غير أساس فما شيد صرح من غير أساس الا كانت نهايته الانهيار .

عليه أن يأخذ من قديمه تجارب من سبق من أسلافه وما حققوا في ميادينهم لينطلق بعدهم من حيث انتهوا بعد أن يستعير من أحدث الأمم أحدث الأفكار التي لا تتعارض وما ورث من مثل عليا فالجديد بحذافيره يشوبه من الغث ما يتنافى والمثل العليا والقديم بكل علاته وقوف لا يتفق مع سنة الحياة .



علينا أن ندرس فروع الفكر عند الأمم

« ١ »

قال صاحبي : يصادفني في الحين بعد الاخر شاب يدرس بعض نواحينا الهامة في التاريخ أو الأدب أو الحياة العامة وأعلم أنه وغيره مكلف بذلك البحث من جامعته كرسالة يتقدم بها زميل لنيل شهادة ما فما أروع هذا النشاط الذي تبدو به جامعاتنا وهي لا تزال بمكانها من الخطوات الأولى .

قلت : ونعما هذا الشباب الذي يجاهد في سبيل التكليف فقد مرت بنا عهود وعهود كنا موضع دراسة كل نابغة يشد رحله الى بلادنا ليحقق ناحية من نواحينا كلف ببحثها لجامعته بينما نظل في مكاننا لا ندري عن حيثيات الأمم التي تعاصرنا شيئا يفتق اذ هاننا ويفتح عيوننا على الحياة .

واني لأذكر أني قرأت فيما قرأت للدكتور النشار وهو فيلسوف اسلامى بحثا ينعى به أمم الشرق لتخلفها في هذا المضمار الدراسي وفيه عرج الى قضيتنا مع اليهود اعدائنا فيقول إنه في حديث له مع أستاذ جامعي انكليزي لفت نظره الى تقاعس العرب عن البحوث التي تتناول أعداءهم بصورة مفصلة تكشف آلاف الخبايا التي يجب أن يكونوا على علم واسع بها وانه قال له أن مما يلفت النظر أنه لا يوجد اليوم قسم من أقسام الجامعات الانكليزية يخلو من يهودي كأستاذ أو طالب دراسات عليا وان جل هذه الدراسات تتناول النواحي العربية في شتى أنواعها هذا عدا الطلاب من اليهود الذين يلتحقون في مئات الجامعات بين أمريكا

وأوربا وهم لا يصرفون همهم في شيء كما يصرفونها في بحوث عربية تمثل تاريخ العرب وحاضرهم وتظهر آلاف الحقائق التي يحتاج اليهود لمعرفتها .

ويعلق الدكتور النشار على ما سبق ليقول اننا للأسف لم نعرف الفكر اليهودي حتى الآن على الاطلاق . ولا نعرف نشأته ولا تطوره ومنذ أنشد اليهود التلمود في منفاهم السحيق لم نعرف حقيقة أفكارهم لا خلال تطوره في العصور الوسطى ولا في العصور الاسلامية . لم نعرف مقدار مشاركتهم في الحياة العقلية الاسلامية في العراق ولا دورهم في نكبة المسلمين في اسبانيا ولا مبلغ تطورهم فكريا في العصور الحديثة مع انهم درسوا الحياة الاسلامية والفكر العربي ولهم مراكزهم القوية لدراسة هذا الفكر في يافا وفي الجامعة العبرية وفي بيت المقدس وفي كثير من جامعات أوربا .

قلت لصاحبي وهذا ما اعنيه وأنا أتمنى إلى جامعتنا أن تندب طلابها لدراسة الفكر في أهم الأمم التي تعاصرنا وأن نخص أعداءنا بنصيب أوفى من هذه الدراسات لنكشف من حقائقهم ما لا يصح أن نجهله في مثل هذه الملابسات السيئة

إن على جامعاتنا أن تندب شبابها ليتخصص في فروع الفكر فلا يعجزه غدا أن يقدم لمكتبته العربية أبحاثا حقيقية غنية بتفصيلاتها تتناول الأمم التي يعنينا بحث حقائقها من أصدقائنا الى أعدائنا الى كل من له علاقة بمقدراتنا .

وعلى جامعاتنا ألا تنسى بقدر المستطاع أن مطابع أوربا وأمريكا تزدحم بالانتاج الفكري الذي تصدره إلى الا سواق العالمية وبين هذا الانتاج دراسات قيمة يضعها المكلفون بالدراسات العالية في الجامعات مما يتناول نواحي الفكر في شتى أمم العالم ومن بينهم أمتنا كما تتناول في الوقت نفسه دراسة الد أعدائنا فإذا اتسعت رفوف المكتبات في جامعاتنا بكثير من هذا الفيض ساعدنا ذلك على التوسع في فهم كل ما يهمنا فهمه من مناحي الحياة .

علينا أن ندرس فروع الفكر عند الأمم

«٢»

قال صاحبي :وكنا في صدد ما يتعين علينا لندب طلابنا الجامعيين ليدرسوا فروع الفكر في أهم الأمم التي تعاصرنا أصدقاء كانوا أم أعداء ليقدموا للمكتبة العربية أبحاثا غنية بتفصيلاتها تدرس حقائق هذه الأمم وتكشف لنا من مناحيهم كل ماله علاقة بمقدراتنا في الحياة .

قلت له:ولا يجب أن نقف بطلابنا الجامعيين عند هذا الحد فأدبنا لا يزال الى اليوم أدبا محليا وكان يتعين تصديره الى سائر بلادنا الشقيقة لتصل أصواتنا الى أسماعهم ويعرفوا مقدار مساهمتنا في نهضتهم وهذا لا يتأتى في الغالب الاعم الا لجامعي دَرَسَ اصول الأدب دراسة منهجية .

والأديب الجامعي لا نقنع بجهوده في هذا المضمار فهو يجيد لغة أجنبية أو أكثر ونهضتنا الجديدة في أشد الحاجة الى الأجنبي الذي يتفهم حقائقها وهو نزيل بيته في أقصى مدينة من أوربا والصين . نحن في حاجة لأن نكتب له بلغته لنصل بها إلى قلبه فليس كلغة الأجنبي سلاح نستطيع أن نغزوا به عواطفه ونحتل مكاننا من فؤاده .

ومثل هذه الآمال تناط أكثر ما تناط بطالب الجامعة الموهوب الذي يستطيع أن يقدم أمته أفكارها وآدابها وآمالها في الحياة ومساهمتها الجديدة في بناء الحضارة يقدم كل هذا للاجنبي في بلده في بيته في صحيفته في مجلته ليعرف أية

أمة هذه التي تنوي مساهمته في مضمار الحياة .

ان قصيدة عامرة أو بحثا وافي العناصر أو قصة محبوكة الأداء أو قطعة موسيقية تخاطب القلب أو لوحة فنية معبرة هي سفير دبلوماسي بارع يعرف كيف يربط بين وجداننا ووجدانهم مهما نأت بنا الأبعاد وانقطعت بيننا الأواصر وهي قاسم مشترك يجمع القلوب الى القلوب ويعطى فكرة واضحة عن حياتنا الجديدة .

إن طلابنا الجامعيين في أكثر بلاد أوربا وولايات أمريكا يتفرقون في كل صيف الى كل قارة . فيتغلغلون في مجاهل أفريقيا ودساكر وقرى الهند والصين وجزائر جاوى لينقلوا أفكارهم وأحاسيسهم وحقائق مقدراتهم إلى من يجهلها فلا أقل من أن نندب سفراءنا في شخص نتاجنا الأدبي أو الشعرى أو القصصى أو العلمي ليصبح مقروءاً في كل أمة بلغتها أو بأية لغة حية ذائعة .

لا يعجز الدارس الجامعي أن يفلسف الأفكار التي يغزونا بها كاتب أوروبي ويناقش البحوث التي تنشرها مجلة علمية أجنبية يناقشها بلغتها في أسلوب هادئ علمي رزين وعبارة راقية تقنع ولا تهوش ويبعث بها الى أروج صحيفة لها مركزها العالمي لتكون لنا بمثابة من يقول نحن هنا لنا آراؤنا ولدينا من أبواب المعرفة ما نستطيع أن نساهم به في مجالاتكم .

لا أنكر أن جامعاتنا في سبيل أن تنشط في مثل هذه الميادين لا بد لها أن تجد من بيوت المال عندنا ما يشد عزمها ويقوى اسارها ويهيئها للعمل الجاد المثمر فعسى أن يتضافر القادرون على تشجيعها لتؤدي رسالتها في الحياة كاملة .



بَين الحضَارتين العَربيّة وَالأُوروبيَّة

« ١ »

قال صاحبى : ما بال بعض الأوروبيين ينكرون على العرب مركز الأستاذ الذى علم أوربا يوم كانت أوربا غارقة في جهلها ممعنة في بداوتها لا تكاد تتصل بأي نموذج مبتكر مما صنع العرب حتى تظنه لونا من السحر نفث فيه الشيطان .

قلت: ليس هذا دأب كل الأوروبيين فبينهم من لا ينسى فضل العرب على حضارة أوربا ويعترف لرجال الفكر العربي بأثرهم في كل ما تميزت به أوربا اليوم .

وأحسبك قرأت مؤخرا ما ناقشه الأستاذ الفرنسي مونتيل في محاضراته التي أذيعت من باريس ونقلتها عدة صحف بعدة لغات منها العربية .

لقد قال الاستاذ فيما قاله عن أثر العرب في حضارة أوربا .. أن بيننا معشر الأوروبيين وبين العرب أواصر رحم روحية وعقلية وليس من يتفحص الحقائق ويتمعنها الا أن يدرس خيال الظل في كل ما أنتج الفكر الأوربي ليدرك مبلغ الصلة بين الحضارتين العربية والأوروبية .

وقال: أن علينا أن نفسر المدى الحضاري الذي بلغته بغداد في عهدها الزاهر والمجال العقلي الواسع الذي احتلت قرطبة صدارته في عصرها الرائع لنتبين مبلغ الأثر الذي انتهى مداه الى أقصى بلاد أوربا .

ذلك الأثر الذي جعل أحد البابوات يعلن في تذمر نعيه اللغة اللاتينية في خطاب قال فيه أن اللغة اللاتينية كادت تنطمس في الأوساط الدينية فكلهم يتكلمون باللغة العربية ويكتبون اللغة العربية .

الى أن يقول المحضر : ان القرون الوسطى المسيحية كانت غارقة في قراءة نوابغ الفكر العربي فان كتب ابن سينا والفارابي وابن رشد نقلت الى اللاتينية وأصبحت أوربا من حدودها في الشمال الى أقصى الجنوب تفكر بعقلية العرب وتناقش في مفاهيم العرب .

ولقد كان الأوربي المطلع اذا قرأ ما ترجم من كتب الفقه الاسلامي يستطيع أن يعتز بثقافته بين جماهير معاصريه واذا قرأ ترجمة مقدمة ابن خلدون تكشفت له من حقائق الاجتماع ما يذهل له مستمعوه .

وقلت لصاحبي لعلك لا تستغرب عناية الاستاذ مونتيل ببغداد وقرطبة بين مئات المدن الاسلامية العربية التي ازدهرت فيها حضارة الاسلام .

ولكن سوف لا يطول عجبك وأنت تعلم أن أمهات المدن الاسلامية والعربية كانت جداولها تصب في بحر بغداد وأن كثيرا من نوابغ الفكر الذين ازدحمت بهم بغداد شعروا بضرورة البحث عن منأى قصى يجدون فيه مجالا لا يزدحم بغيرهم فكانت قرطبة التي فتحت صدرها لكل نابغة طارئ حتى جارت بغداد في زحامها بالنوابغ وحتى قيل أن بعض نوابغها ورث خلفه تسعين كتابا مخطوطا تناولت شتى الوان المعارف وأن أحد خلفائها كانت مكتبته الخاصة تحوى أربعمائة ألف كتاب أباحها لكل مطلع ورتب لها من كبار المؤلفين والفلاسفة في عصره من يتزود من معينها لمؤلفاته ومذكراته فكانت نهضة نادرة المثال فاضت جداولها على أكثر مدن أوربا .



بين الحضارتين العربية والأوروبية

(٢)

قال صاحبي : كنا في صدد ما أدلى به الأستاذ الفرنسي مونتيل في محاضرته التي ألقاها من محطة باريس والتي كان لها صداها في كثير من صحف العالم في أكثر لغة من بينها اللغة العربية .

قلت له : تحدث الأستاذ فيما تحدث عن مناهل قرطبة التي فاضت جداولها على أكثر مدن أوربا فقال أن قرطبة بل وأكثر عواصم أسبانيا كانت همزة وصل بين الفكر الأوروبي والفكر العربي وهنا جاء على عدة أمثلة ذكر فيها عشرات الألفاظ العربية الباقية الى اليوم في اللغة الاسبانية كما جاء على عدة مصطلحات علمية تستعمل اليوم في بعض اللغات الأوروبية منحدرة عن منهلها الأصلي في بلاد العرب الى أن قال ولو أردت أن أستقصى كل ما في هذا المعنى من ألفاظ ومصطلحات محتفظة بأصلها العربي في كثير من لغات أوربا لاقتضاني ذلك أن أفرد له مجلدا ضخما .

وتحدث الأستاذ فيما تحدث عن هندسة البناء التي نقلها الاسبان عن العرب وعاشت شائعة بينهم دهرا طويلا وكانت تعد مفخرة بين أساليب البناء لذلك العصر .

ولقد صدق الأستاذ فيما روى بدليل هذه الآثار التي احتفظ بها الاسبان كأثر تاريخي ولو شهدت يا صاحبي ما شهدته أنا شخصيا من عظمة القصور والمساجد التي احتفظت برونقها في أهم مدن الاسبان لشهدت عجبا فكل أثر رأته عيني ترآءى لي وكأنه ينطق بأروع ما تنطق به حضارة مكتملة البناء .

وتحدث الاستاذ عن الموسيقى وآلاتها في الأندلس وأشار الى آثارها الباقية في موسيقى اسبانيا اليوم كما أشار الى بعض الألحان بمسمياتها وما تركت من أثر في بعض ألحان أوربا .

وجاء على ذكر الرياضيات والطب والفلسفة وعلم الفلك والنبات فقال ان العرب حملوا مشاعل هذه العلوم وأمثالها في عصرهم الزاهي حتى استضاء بضوئها الألوف من طلاب المعرفة في كثير من بلاد أوربا الى أن قال إني لأعجب للمغرضين الذين يجحدون فضل العرب على نهضة أوربا كما أعجب لبعض رجال البحث التأريخى الذين لا يتكلفون العمق في دراساتهم ليتبينوا الآثار الدقيقة التي انطبع بها اسلافنا في عهود سابقة .

هذه خلاصة موجزة كل الايجاز عن محاضرة الاستاذ الفرنسي مونتيل التي اذاعتها وكالات الأنباء ونشرت بأكثر من لغة وعنيت بها بعض الصحف في بلاد العرب فهل عنى بها قراؤنا من الشباب الذين غرتهم الحياة الزائفة فقدروا للعقل الأوربي ميزة حسبوها من خصائصه دون غيره .

ربما قيل أن للشباب المغرور بحضارة أوربا عذره لقلة ما بين يديه من مظان القراءة والاطلاع ولكنه عذر لا يغنى ففي ذخائر الكتب القديمة من النفائس ما يمكن البحث عنه اذا تعشق الشاب مزايا البحث وبين رفوفها ما يكشف عن حقائق الحضارة العربية بشكل يذهل العقل .



قصة غذاء الإنسان

قال صاحبي : ما خبر يقول إن عالماً من أبرز علماء الطبيعة أعلن في مؤتمر جامع أن الجنس البشري قد يبيد وينقرض اذا استمر العدد البشري في ارتفاعه واضطراد الزيادة في نفوسه بينما تظل مواد الغذاء الطبيعية محتفظة بنسبتها على وجه الأرض .

قلت : ويرى غيره أن ثمت أخطر من هذا ذلك أن المواد الغذائية الطبيعية لم يثبت احتفاظها بالنسبة الأصلية بل على العكس فقد اعتراها من أسباب النقص والفناء ما قضى على بعض هذه النسبة من جراء التصرفات السيئة التي يمارسها الانسان والتجارب الكيمائية الخطيرة التي يتهالك الاقوياء على التوسع في أعمالها .

ولكن ثمت أفكار لا تتشاءم بهذا القدر المخيف فهناك عالم من هولندا يقول أن العلاقة ثابتة منذ القديم بين عدد السكان على وجه الأرض وبين ما تنتجه الأرض من مواد غذائية .

وأحسبه يعنى بهذا ان ملايين البشر الذين تقصفهم الحروب وتقضي عليهم الكوارث وتبيدهم الاوبئة في بعض المناطق المتخلفة من الأرض تنظم هذا التوازن وتحفظ نسبته بشكل متعادل .

وهناك رأى لا يجادل في حقيقة الخطر ولكنه يدلي برأيه في تحاش وهو لعالم ألماني يقول فيه إن في استطاعتنا ترويض الحيوانات المتوحشة واستخدام لحومها لتغذية الناس .. انه يرى أن تصرف الانسان نحو الوحوش في الغابات تصرف أخرق لا بد ان ينتهي عند حد .. لا بد أن يكف الانسان عن صيدها ليترك لها الحرية كاملة ولذلك لا تلبث ان تألف الانسان وتعيش الى جانبه شأن سائر المواشي الداجنة فلا يصعب عليه أن يستفيد من لحومها الى أن يقول أن الاختبار دل على أن الحيوانات الطليقة تأكل ما يتيسر لها في البيئة الطبيعية وليس لها مطالب كثيرة رغم أنها تنتج من اللحم أكثر مما تنتجه الحيوانات الداجنة ومن أهم ما قرأته عن عناية العلماء المختصين بفكرة الغذاء وتوفيره ليسد حاجة الناس اليه خبر عن مؤتمر عقد في باريس من شهور حضره نحو ٢٠٠ عالم ندبتهم حكوماتهم من شتى أقطار الارض ليناقشوا الموضوع تحت اشراف هيئة اليونسكو وقد ذكر المعلقون ومراسلو وكالات الانباء ان نقاشهم الذي دام نحو نصف شهر أسفر عن مقترحات لها قيمتها وانهم انفضوا على موعد من العام الجديد ليستأنفوا دراساتهم .

وليس لمثلي أن يشك في كفاءتهم وقدرتهم على استنتاج ما يكفل للإنسان عيشه على الأرض اذا خلصت النية وتضافرت الجهود واستجاب العاملون في الانتاج الغذائي في سائر الحكومات للعمل الموحد الذي تتفق عليه آراء العلماء من كل قطر اذا ثبتت فعاليته .

وهناك رأي قديم كان ينادي به بعض المتعمقين يتلخص في أن تساعد الحكومات الغنية غيرها في الاراضي المتخلفة بما يعينها على استصلاح الأراضي البور في بلادها لتعطى نتاجا وفيرا .. ورأى آخر أحسبه أقدم من سابقه تأريخيا كان ينادي بعلاج التلوث الصناعي الذي أصبح يسمم الجو والماء ويخلق للدود بيئات صالحة لنموه وتكاثره بصورة تركت اثرها مريعا في القضاء على جزء كبير من الانتاج الزراعي .. اننا نؤمل أن تسفر البحوث العلمية عن نتائج تحفظ النسبة بين عدد السكان المتزايد وبين ما تنتجه الأرض .

عَلينا ألّا نُبَالغ في تدليل الطّفل

قال صاحبي : اتراك توافق على التدليل المفرط لصغارنا هذا الذي نشهده في كثير من بيوتنا .

قلت : انه أسلوب خانق يضيق به حتى الأطفال من حيث لا ندرى فالطفل يحس اذا أفرطنا في تدليله أننا ننظر اليه باستصغار واننا لا نمنحه الأهمية التي يستحقها كانسان له كيان وربما شعر أننا نلهو به ونتسلى كما نلهو ونتسلى بأى حيوان صغير .

واذا افرطنا في التدليل فمنعناه ان يشارك لداته في اللعب خوفا عليه من اذى اللعب وأبينا عليه الحركة في الظلام خشية أن يفزع من خيالات الظلام وحاولنا ألا يبعد الى أكثر من مدى ابصارنا حرصا عليه من كل ما نتوهم فقد فرضنا عليه قيودا لا تتفق مع مزاجه كطفل له غريزته التي هيأته للانطلاق المعقول .

ان الطفل من احوج الناس الى الرقة واحقهم بالتدليل والحنان على ألا نفرط في كل هذا ونبالغ فنتركه ينسى أهميته بيننا وربما شعر اننا نسخر به وبكفاءته الصغيرة التي يحس بها في أعمق أعماقه .

ان من الاطفال من يحس بأحساس الكبار في وقت مبكر ويرى أنه لا ينقصه الكثير ليصبح في عدادهم وفي هذا كثير من معاني الثقة بالنفس فاذا أبينا الا أن

نسبغ عليه الحنان المفرط أسأنا الى الثقة التي كان يتعين علينا أن ننميها وسممنا احساسه بكيانه وقتلنا فيه شخصيته فاذا تمادت طفولته الى مراحل المراهقة أو الفتوة أو الشباب أو اكتمل جسمه في مرحلة الشباب وهو يحس احساس الطفل فتلك جنايتنا لا محيص من أن نؤاخذ بوزرها ما عاش فاشلا تلازمه الخيبة .

قلت ان الطفل من أحوج الناس الى الرقة واحقهم بالحنان ويهمني أن أضغط هذه المعاني الى حد معقول فلا ينبغى أن ندلله الا الى حد مناسب فلا نحاول أن نشبع كل رغباته دون أن نميز بينها لنبيحه منها ما يتناسب وأوضاعنا ويتفق وملابسات ظروفه .

اني أعرف والدة كانت تفرط في حنانها على طفلها ولا يطاوعها قلبها الرقيق أن تعصيه في أمر أو ترفض له مطلبا فعاش محلولا يفرض دلاله على كل من يعامله فخابت أمانيه في كل من يعامل .

وأعرف والدة أحبت صغيرها بأسلوب المجانين فحرمت عليه الاختلاط ضنا به أن يفارقها فألف حنوها المفرط الى درجة أصبح معها يضيق بمعاملة مدرسيه المدرسية فكان يفر الى امه كلما ضاق بمدرس فتفتح صدرها فرحة بفراره اليها وتصطنع كل اسباب الرضى لتعوضه ما فقد من حنوها في المدرسة فلما قضت الأم نحبها ولم يكن له من يكلؤه بعدها عاش هانئا بما تركت له من ثروة يهيمن عليه المداجون حتى افقدوه ما ورث وتركوه ضائعا يعاني مرارة الفاقة والذل .

ما أروع الاتزان في كل مناحى الحياه وما أروع أن نعيش حياتنا موزونين ·



المدنية الملوثة

قال صاحبي : الا تدهشك هذه الحضارة الحديثة التي كما خاصمت الدين خاصمت الاخلاق فهي رغم ما احرزته من نجاح استطاعت أن تملك به طاقة البخار والكهرباء ونواة الذرة وان تطير به في أعلى أجواء الفضاء وتسبح به في أعمق أعماق البحار وان تحتل به مركزها في القمر برغم كل هذا عجزت ان تعالج في نفوس ابنائها عناصر الفساد الذي بات ينخر في عظامها بصورة بدت فيه بوادر الانحلال المدمر .

قلت : ليس في الأمر جديد فالمدنية لا تعطى إلا بقدر ما تأخذ ربما أعطتك من بهرج الحياة وزخرفها وفتنتها بقدر ما تأخذ من دينك وشهامتك ومن مروءتك مما فطرت عليه افضل المزايا .

ولهذا يوصى علماء الاخلاق بالحذر من اغرائها وفتنتها وألا تأخذ منها لمتعتك الا بقدر يحفظ عليك ما فطرت عليه من شمائل .

لقد لاحظ محمد اقبال شاعر الهند جوانب الضعف الاساسية في حضارة الغرب وأنت لا تجهل محمد اقبال فهو من انبغ العقول التي انتجتها الثقافة الجديدة ومن أعمق مفكرى الشرق الذين احتكوا بحضارة الغرب في أرقى بلادها .

يقول هذا المفكر في صدد ما لاحظ على الحضارة الغربية لقد عجنت هذه الحضارة بطينة الفساد لاتجاهها المادي وثورة أصحابها على الديانات والقيم الأخلاقية والروحية فهي اليوم ملوثة غير عفيفة وقد جردها تلوث الروح عن الضمير الطاهر والفكر السامي والذوق السليم وتسلط عليها القلق برغم المدنية الباذخة والغنى الفاحش فهي وان اظلم جوها بدخان المصانع ولكن بيئتها على كثرة أنوارها غير متهيئة لفتح روحى جديد يشرق به عليها عالم الغيب .

أقول ونحن نرى مصداق ما يقوله محمد اقبال ناطقا في تفكك الاسر وشيوع الفساد واستهتارهم بسائر القيم روحية كانت أو أخلاقية .

ربما أغراك بهم لون من الصدق التجارى والاستقامة فيما يعاملون فبضائعهم قل ان يشوبها غش وأسعارهم قل أن يستمرئوا فيها المساومة ولكن هذا وامثاله ليس إلا ضرباً من التجارة نفسها انهم قوم خلقوا للكسب والكسب المادى وحده وأثبتت تجاربهم في معاملاتهم ان في الاستقامة أو في ربح يصيبهم وان صدقهم في التعامل يضمنك لهم كعميل ويحقق لهم فيك كسبا يفقدونه بالغش فثابروا على هذا اللون من الاستقامة واتخذوا فيه الصدق ديدنهم .

اننا بهذا لا نعنى أمة وحدها ولا شعبا خاصا بقدر ما نعني المدنية التي يتعين علينا ألا تنسينا مزايانا الفطرية والتي لا يجب أن نخالطها الا بحذر لنأخذ منها ما يستقيم وقيمنا الدينية وشمائلنا الاخلاقية .



ليس الشديد بالصُّرعة

قال صاحبي : ما أروع الاقوياء الذين يملكون أنفسهم في أشد أوقات الغضب .
قلت : وذلك أقصى ما يشير اليه الحديث الشريف وهو يقول (ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) .

وثمت ما هو أروع من هذا ذلك الذي اذا ملك نفسه عند الغضب تأبى عليه كفاءته الا أن ينتصر عليها الى النهاية ينتصر على رغائبها السيئة وميولها الى الانتقام فاذا هو يبدو أهدأ ما تتخيل وألين ما تنتظر وأسمى خلقاً وأقرب الى معاني العفو .

اتذكر قصة وحشى قاتل حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأنت تعرف من هو حمزة والى أي مدى كان عزيزا على الرسول صلوات الله عليه أثيرا عنده محبوبا ؟

لقد جاء هذا الوحشى قاتل حمزة عم الرسول مستسلما تائبا يطلب قبوله بين صفوف المسلمين فوقف بعض الصحابة ينتظرون ما يأمر به الرسول على أمل أن يهتبلها الرسول فرصة يأخذ بها ثأره من عدو لدود كهذا فجع الرسول وفجع عامة المسلمين في اثير عندهم .

لكن النبي صلوات الله عليه كان أكبر من أن يغضب لنفسه في أمر فات أوانه ، أبى الا أن ينتصر للخلق الكريم فأعلن عفوه عما كان وقبل توبته ورضي اسلامه ثم قال : (عـلى ألا تجعلني أراك) فالنبي بشر ومن الخير أن يتوارى وحشى عن عينيه لئلا تغلبه طبيعة البشر .

وأنت تذكر دون شك ما دمنا في صدد فعلة وحشي ما فعلته هند امرأة أبي سفيان تلك التي ما كادت ترى حمزة مجندلاً بسيف وحشي حتى عمدت الى صدره فشقته وتناولت قلبه فلاكته بين أسنانها بصورة يعافها الكبد الغليظ ومع هذا فما كادت تتقدم مستسلمة في رهط من قومها . ما كادت تتقدم تائبة راضية بالاسلام حتى قبلها الرسول وعندما تهامس بعض الصحابة آملين أن يأخذ بحقهم منها كان النبي صلوات الله عليه أكبر من أن يأخذ بحقه من مهزوم يستسلم .. ما لبث أن أعلن العفو عنها وقبل طاعتها للاسلام .

وأحسبك لا تنسى مثل هذا أو بعده قصته مع أهل مكة وما عاناه من استهتارهم وحيفهم وطغيانهم واستعداء سفلتهم عليه وما كان منهم يوم أزمعوا على قتله فلم يظفروا به وما كان من أمر جموعهم يوم حاربوه ومع هذا ما كاد يتنصر .. ويقتحم مكة عليهم ظافرا حتى قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون

وعندما ازدحمت جموعهم بين يديه اذلة منكسرين يتوقعون أشد أنواع العقوبة وأفظع ألوان الانتقام صاح بهم صلوات الله عليه ((ماذا ترون اني فاعل بكم ـ قالوا في ضعة المستكين : أخ كريم وابن أخ كريم .. فلم يزد عن أن أعلن العفو عنهم ـ اذهبوا فأنتم الطلقاء)) .

هذه مشاهد عفوية جاء بها السياق عرضا وهي اذا قيست بمئات المشاهد من امثالها دلت على مبلغ هذا الخلق السامي الذي امتازت به مزايا محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

لعل بعض المشاهدين يومها كانوا ينتظرون من سيد الموقف بعد أن كلأه الله بعنايته ان يأخذ لنفسه ولعامة المؤمنين الذين عانوا من طغيان قريش بعض ما يشفى الصدور ولكن النبى أسمى خلقا من أن ينتقم لنفسه وذلك هو الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب .

المبادئ الحديثة الثابتة

قال صاحبي : ما عجبت لشيء عجبي لأصحاب المبادىء يثبتون عليها مهما نالهم في سبيلها ويقفون لعقائدهم محتسبين ما يصيبهم دون أن يبالوا بما يتعرضون له من آحن .

قلت : ان الثبات للعقيدة احتسابا لله ذكرني بثبات أبن حنبل للعاصفة الهوجاء التي كادت أن تزلزل عقائد الجماهير يومها وان تبيح للفلسفة مجالا واسعا على حساب مبادئ الدين الصحيحة .

وأنت تعرف من هو أبن حنبل علما وفضلا واستمساكا بما ورث من صحيح الحديث .

كما تعرف أن حركة الاعتزال كادت أن تقوم في عصره بدعوى حرية الرأي والتوسع في مجال الفلسفة على انقاض المبادئ الدينية التي ورثها كبار العلماء وشع وهجها في صدور الجماهير المسلمة التي توارثت ايمانها عن مصادره اليقينية وانه لولا ثبات ابن حنبل على رأس بعض أصحاب اليقين من امثاله لا نصرف معظم المسلمين عما ورثوا من الكتاب والسنة وقلدوا نظريات تقليدية لا يقرها عقل سليم .

لقد صدرت الأوامر يومها عاتية صارمة بأن يشايعوا فلسفة خلق القرآن أو يعذبوا فانهزم أمام هذه الصرامة علماء كان لهم شأنهم ولزم آخرون بيوتهم ينشدون السلامة أما ابن حنبل فقد وقف للمحنة وقوف الهزبر الشجاع فقد ارادوه الا أن يقول بما لا يعتقده من قولهم فأبى الا أن يحتسب ما يلاقيه في سبيل عقيدته وايمانه .

أمروا بأن يثقل عليه بأغلال وأن يرحل من بغداد الى طرطوس فلما أنيخ الجمل لركوبه تعذر عليه أن يستوى فوقه وهو في قيده من الاغلال فأبى المشرف على رحاله أن يساعدوه في الركوب فحاول المستحيل حتى استوى على ظهر الجمل بعد أن قاسى من الآلام ما لا يطاق واحتسب أكثر من هذه الآلام طيلة أيام المرحلة حتى انتهى الى طرطوس حيث ترك فيها يتلظى بوقدة الشمس الحارة وهو مع هذا صائم فلم يرحموا صيامه ولم يرأفوا بضعفه بل زادوا في نكالهم عندما وكلوا به بعض الحرس يتناوبون على جلده بالسياط حتى سالت الدماء من ظهره وهم مع هذا ينادونه ان يعتق نفسه من العذاب فيعترف بخلق القرآن فلا يزيد عن أن يهيب بهم : (اعطونى شيئا من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول به) .

ورأى المشرف أن يستعين بكبير من أصحاب القول بخلق القرآن لعله يقنعه بسداد النظرية فشرع يناظره بما حذق من علم الكلام فصاح به ابن جنبل : (انني لا أدري ما تقوله فأعطني شيئا من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول به) فقال له بعض الحاضرين بعد أن شهد ما يقاسيه من آلام العذاب : ان غيرك لم يتعصب كما تعصبت أنت في هذه المسألة فرد عليهم (ان هذا ليس دليلا على صحة المسألة أعطونى ما أستدل به من الكتاب والسنة) .

ثبت ابن حنبل عند عقيدته بصورة غريبة المثال فقد كان يغمى عليه من شدة الضرب حتى اذا افاق تقدموا اليه ببعض الماء ليشرب فكان يرفض لأنه ممسك على صيامه وعندما يئسوا منه لم يروا بُدأ من تركه لينطلق الى بيته على أن يظل حبيسا فيه ـ هذا هو الثبات ميزة المؤمن الصادق فما أحوجنا أن نجعل من قصته مثالا لأنفة المؤمن وصبره على لأواء المحن .

الغنى النافع

قال صاحبي : ما بال بعض المتكالبين على جمع المال يتكلفون من العناء ما تغنيهم عنه بعض مزايا القناعة فليس المال هو كل معاني الحياة السعيدة .

قلت : قد استصوب رأيك اذا أصبح المال في رأي المتكالبين هدفا لذاته أما اذا اعتمد كوسيلة يستطيع التكالب أن يحقق به كرامة لنفسه ومجدا لوطنه وان يواسى به قريبه المحتاج وجاره المعوز فنعما هذا التكالب .

انت تعرف من قصص بعض أصحاب الملايين الذين بذلوا في سبيل جمع المال الكثير من نفوسهم وأوقاتهم حتى انتهوا الى غايتهم منه شرعوا يبنون به أنفسهم وامجاد بلادهم في اشكال لا مزيد عليها لمستزيد .

هناك من يبنون الملاجئ للمحتاجين والمستشفيات للمرضى هناك من يبذل الاعانات سخية في سبيل البحوث العلمية ويقدم المكافآت الجزيلة للانتاج الفكري والأدبي هناك من يشجع الطلاب الذين قصرت بهم نفقاتهم ويساعد المجدين في أي مجال حتى يحققوا آمالهم هناك من يبنى المدارس وينشئ المعاهد ويساهم في سائر المجالات المنتجة .

هؤلاء قوم سعدوا بما بذلوا في سبيل أموالهم وأسعدوا غيرهم بما تهيأ لهم من أموال تكالبوا على جمعها .

لقد منّ الله على رسوله عندما اغناه عن غيره فهو يقول سبحانه (ووجدك عائلا فأغنى) ومن على بني اسرائيل بمثل ذلك عندما قال جل قوله : (وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) .

جمع المال ليس مذموما لذاته بقدر ما هو مذموم لحبسه فيما لا ينفع مذموم للشح به وقبضه عن أعمال الخير .

في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : يا اباذر قلت نعم : يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال : ما يسرني أن لي مثل أحد انفقه في سبيل الله أموت واترك منه قيراطين . قلت : أو قنطارين يا رسول الله . قال : بل قيراطين . ثم قال : يا أبا ذر تريد الأكثر وأنا أريد الأقل .

هذا هو المال الذي تتمناه التقوى الخيرة بل وتتكالب على جمعه لا لتسعد نفسها أو تسئ فيه التصرف بل لتسعد غيرها الى جانب ما سعدت به ولتصرفه في وجوه تعتز بها وتفاخر وتسابق الى ما يبنى مجد بلادها في أهم المجالات الحيوية

ولقد ورد في الاثر ((نعم المال الصالح للمرء الصالح)) .

ثم ما ظنك بالفقر وأنت تعرف من مذاقه وانكساره ما تعافه النفس حسبك منه أن سيد الخلق كما يستعيذ من الكفر يستعيذ من الفقر فهو يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر .

اضرب يا صاحبي ان استطعت في طول الأرض وعرضها وان استطعت أن تجمع مال قارون على أن يكون وسيلة لا هدفا فأفعل على ألا تتكالب على جمعه لتبنى منه لنفسك علوا في الأرض أو فسادا بل تكالب وانت تنوي الخير للخير تنوي أن يعزك اذا ذل الآخرون وان يهيئك لتكون ملجأ للمحتاج وملاذا للمضطر سخيا اذا دعا داعي امتك . كريما إذا نزلت النوائب بمن تعرف أو لا تعرف .



أبو عبد الله البخاري كعلم من أعلام الاسلام

« ١ »

اذا افتخرت الأمم بالعاملين من رجالها الممتازين ففي تأريخ الاسلام من رجال العمل من تجل جهودهم عن الوصف وتسمو مراتبهم فوق كل فخر .

يحدثنا التاريخ الاسلامي عن أمجاد أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري فتتولانا الدهشة ويستثيرنا العجب لهذه المواهب التي استطاعت أن تحشد قواها وتركز جهودها نحو الهدف الذي اختارت حتى استطاعت أن تبرز فيه بتفوق نادر المثال قليل الشبه .

درج أبو عبد الله البخاري بين أقرانه الدارجين في الكتاب ولكنه ما كاد يناهز عامه الحادي عشر حتى بدت طلائع تفوقه تتراءى لفقيه الكتاب وقد ذكروا أن مراجعته لما يقرره الفقيه كانت مثارا للعجب .

وضاق به الكتاب في سن مبكرة فألحقوه بحلقات العلم فشرع ينهل من منابعه بين طبقات العلماء وبدأت شهرته تذيع بين الطلاب والعلماء دلائل تفوقه .

ذكروا أنه ما بلغ السابعة عشرة كان بعض جلة الشيوخ يسمعون منه وانه بدأ يؤلف تأريخه المشهور قبل أن يتجاوز الثامنة عشرة .

ونزعت نفسه الى السياحة على اثر هذا طلبا للعلم وسعيا وراء المعروفين من كبار المحدثين فزار أكثر الامصار الاسلامية وتغلغل في مدن العراق وبلاد العجم والشام والحجاز ومصر فاتسعت آفاقه واجتمعت له مئات الألوف من الأحاديث التي سمعها مشافهة من أشهر المحدثين في عصره .

وكان يعاني في سياحته من شظف العيش وضيق ذات اليد ما لا يحتمله شخص عادي ولكنه انسان وهب نفسه وآلى عليها الا أن تثابر فلم يضايقه ما عانى من الشدة ولم يثنه ما لاقاه من الضيق .

قيل أن زملاءه من الطلبة افتقدوه اياما فأخذوا يبحثون عنه حتى وجدوه في بيت وهو شبه عريان وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شيء فاجتمعوا وجمعوا له من الدراهم حتى اشتروا له ثوبا يكسوه وبذلك استطاع أن يستأنف كتابة الحديث معهم ومضى به جده حتى استوى في عصره من كبار الاعلام فقد تتلمذ له مئات الألوف من طلبة العلم وقصد مجلسه من اجلة العلماء من لا يوفيهم الحصر وجلس بين يديه الامام مسلم صاحب الصحيح جلسة السائل المتعلم وقدر عدد من سمع الحديث عنه بنحو تسعين ألف رجل كانوا يتهيبون مجلسه ويتطامنون في حضرته كأنما يظلهم جبل شامخ .

وفي كلمة تاليه نستطيع أن نتابع بعض مزاياه التي تفرد بها على اقرانه واثبت جدارته بصورة قليلة المثال .



أبو عبد الله البخاري كعلم من أعلام الاسلام

(٢)

قلت لصاحبي : وكنا في صدد مزايا ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري .
قلت له : لقد بلغ من نشاط ابى عبد الله فيما كرس له نفسه أنه ظل حياته لا يأبه لشيء من أمور دنياه ومعاشه فقد ذكروا انه لم يشتر شيئا في حياته ولم يبع وان ادواته من الكاغد والحبر والقلم كان يتلمس غيره في قضائها حرصا على ثمين وقته وضنا بدقائقه الغالية .

وبلغ من انشغاله بفنه المفضل انه كان لا ينام الليل الا لماما وقد شهد من رآه انه كان يستيقظ في الليلة الواحدة بضع مرات فيوقد السراج ويبدأ في الكتابة والتدوين .

وقد خرّج صحيحه المشهور بصحيح البخاري من ستمائة ألف حديث وكان لا يدون الحديث الواحد الا اذا اغتسل وصلى ركعتين .

وذكر عن نفسه انه كتب عن أكثر من ألف شيخ كان أكثرهم بالغ الثقة رفيع المقام .

وبلغ من تقدير الناس لفضله انه كان لا يهبط حواضر الامصار حتى يتنادى الناس بمقدمه وكان لا يمر بقرية أو دسكرة حتى يسبقه صيته الى جميع القرى المجاورة فتنثال الجماهير من كل صوب ظامئة الى رؤيته والاستماع الى روايته

حتى أن مجالسه في الحواضر وبين مجامع القرى كانت تزيد عن عشرين الف مستمع .

وفي القصة التالية تبدو لنا مواهب أبي عبد الله البخاري جلية واضحة وترتسم امامنا صورة ناطقة بنبوغه النادر ومقدرته الفائقة .

يقول ابن عدى سمعت عدة مشائخ يحكون ان محمد بن اسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فتآمر بعضهم على امتحانه في أسلوب شاذ لا ينجح فيه الا موهوب له مثل كفاءة أبي عبد الله وقدرته الفائقة .

ذلك أن جماعة منهم عمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها واسانيدها فجعلوا متن هذه الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها الى عشرة رجال لكل رجل منهم عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا مجلس البخاري أن يلقوها عليه ليمتحنوا بذلك معرفته ويميزوا خبرته .

وبذلك طلبوا اليه أن يوافيهم الى مجلس اتفقوا على موعده فلما حضر واطمأن المجتمعون وكانوا خلقا كثيرا بينهم كبار رجال الحديث تقدم اليه أحد العشرة فسأله الحديث المتفق على تغيير سنده فقال البخاري لا أعرفه فابتدره الثاني بمثل ما فعل الأول فقال البخاري لا أعرفه فأعقبه الثالث والرابع الى نهاية الرجل العاشر في مثل الطريقة التي ابتدره بها الأولون فلم يخرج البخاري عن قوله لا أعرف . ثم ما لبث أن التفت اليهم فصحح لكل حديث اسناده ولكل سند متنه حتى استولت الدهشة على الحاضرين واقروا له بقوة الحفظ وكمال الفضل وبمثل هذا يعرف العاملون .



عناية السلف وما بذلوا

« ١ »

قال صاحبي : ألست معي في أن عناية خلفاء الاسلام وامرائه بشؤون اللغة ومقدرات الشعر كان لها أقوى الأثر في تدعيم مركزهما في الحياة .

قلت : لا أحسب أحدا ينكر هذا فربما كلف أحدهم رواده أو عماله في الأمصار أن ينقلوا اليه أخبار رواة اللغة والشعر وربما أمر أحدهم بترحيل الراوية الى عاصمته اذا ظنه مصدر البيت من الشعر أو كلمة من مفردات اللغة فيطوى الراوية مئات الأميال معززا مكرما تلبية لنداء الخليفة .

وما كانت العناية مقصورة على ما بذل الخلفاء والأمراء في سبيل اللغة والشعر فقد دأب الرواة على مسح البوادي من اطرافها الى أطرافها بحثا عن كلمة تعذر عليهم تصحيحها أو بيت من الشعر ارتابوا في حقيقة قائله .

وحذا عشاق النحو حذو هؤلاء في الدأب فصنفوا أنفسهم في مذاهب قلدوا فيها البصريين أو الكوفيين أو غيرهم من اعلام النحو وراحوا في سبيل ذلك يتبارون . كل طريقة تؤيد مذهبها وكل مذهب يأبى الا أن يحقق قواعد ما رأى مستندا على ما نقله من ثقاة العرب وما درسه من قواعد لسانهم ولم يدخروا جهدا في سبيل ما تعشقوا فقد ساهر بعضهم نجوم الليل مكبا على ما جمعه من فنون القول ونشط بعضهم للسعي وراء ما يحقق من أطراف الجزيرة الى اطرافها .

وإذا راق لى ولك أن نذكر مثل هذه الجهود الجبارة فلا يجب أن ننسى جهودا بلغ دأبها الى أوسع من هذا المدى وأفضل .. تلك هي جهود رجال الحديث والفقهاء فقد كرسوا نشاطاتهم لاستنباط امهات المسائل من الكتاب والسنة واضطرتهم مذاهب التفسير أن يتعقبوا رجال اللغة وأصحاب القول من النحويين ليستنتجوا ما يصح استنتاجه عندهم ويبينوا ما أدى اليه اجتهادهم على أسس صحيحة من لغة العرب وقواعدهم في الاعراب حتى برز منهم الفقهاء الأفذاذ والقضاة اللامعون وأصحاب التحقيق العلمي من مختلف الطبقات .

واتسعت آفاق النشاط في هذه الحقبة الطويلة من تاريخ الاسلام فامتدت عدواه الى رجال المغازي والسير ومؤلفي التاريخ ورواة القصص فرأينا من يجود بنفسه ويتبرع براحته في سبيل دراسة غزوة أو تحقيق سرية من غزوات وسرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بحث حالة من حالاتها تتعلق بموقعها الجغرافي أو التأريخى حتى برز من بينهم محققون لا يقف دأبهم عند حد وظهر في اعقابهم نقاد غربلوا كلما انتهى اليه تحقيق غيرهم وبذلوا في سبيل اهدافهم أقصى ما أمكن البذل .



عناية السلف وما بذلوا

« ٢ »

قلت لصاحبي : وكنا في صدد ما بذل رواة الحديث والفقه وما عانى رواة الأخبار والمغازى الى أن قلنا عن محققي أخبار المغازي أن بينهم من كان يجود بنفسه ويتبرع براحته في سبيل بحث حالة من حالات المغازي تتعلق بتحقيق موقعها الجغرافي أو التأريخى ونقول اليوم أن منهم من كان يتسع نشاطه الى تعقب أسماء المشهورين من رجالها أو فرسانها فيترجم حياتهم ويسرد انسابهم ويدرس مواطن القوة والضعف فيهم ثم يعلق على هذا بما تراءى له من أسباب وما ترتب على ذلك من نتائج .

ولم يقف نشاط اسلافنا عند هذا الحد الذي ارادوا به خدمة دينهم فان منهم من اتسع نشاطه الى خدمة الحياة في شتى وجوهها كان منهم الرحالون جوابو الآفاق الذين عاشوا يتأبطون كراريسهم وينيطون محابرهم وأقلامهم الى مواقع النطاق من خصورهم ليسيحوا في أقاليم الأرض مشرقها الى مغربها ويطأوا قاراتها واقسامها من التخوم الى التخوم ليدرسوا أصول البشر وأنواعها وألوانها ولغاتها ويتعرفوا الى عاداتها ووديانها وطرائق حياتها ثم يسجلوا ما شاهدوه في فصول مبوبة لها قيمتها الى اليوم عند علماء الجغرافيا وأساطين التأريخ ورجال البحث من المتخصصين في علوم الاجتماع .

وتمتد عدوى النشاط الى طبقات أخرى من صفوف المسلمين فاذا بينهم من رجال الفلك من يعتد بجهوده في أحدث بيئة فلكية تعيش اليوم بيننا .

وبينهم من رجال التنجيم من ترك اثارا لا تضاهى وبينهم من رجال الهندسة من شهدت قواعده بكعبه العالي وبينهم من رجال الطب والصيدلة من بز اساتذته من اليونان والفرس وادخل على ما ورث من مذاهب الطب طرائق كان لا يصدقها العقل .

وبينهم من رجال الوزارة والكتابة والحساب من تفنن وأتقن واخترع من وسائل الفكر والخيال والابداع ما تدل عليها مخلفاتهم وتشهد بها آثار اقلامهم .

لسنا عظاميين نريد أن نتكل على فخارنا على أمثال هؤلاء الاجداد فتلك خلال العاجزين فيما نعرف ولكننا هنا لنثير أمثال هذه الذكريات أملا في أن نشحذ الهمم ونهيئها للعمل فيما يتعلق بها على ضوء هذا المجد الاثيل ..

اننا هنا لنقنع الجاحدين ممن تنكروا لآبائهم وجهلوا حظ أسلافهم من ألوان المجد وحسبوا أن أمتهم لا تملك من المؤهلات ما يعدها لمواجهة الحياة التى تعيشها أمم تعاصرنا اليوم . اننا لا نبدع جديدا ونحن نتطلع الى حياة أفضل فقد اثبتت التجارب قبل اليوم ان لا مستحيل علينا اذا صدقنا العزم .



ليس لك أن تربطني بعجلة أفكارك

قال صاحبى : لا أمقت شيئا مقتى للإنسان الذى يأبى إلا أن يسترقك لآرائه ويفرض عليك فلسفته في الحياة .

قلت أما أنا فلا أرى الجريمة في أن تذنب في ملكوت الله الذى يسع المذنبين بفيضه واحسانه ولكن الجريمة أن تربطني الى عجلتك وتفرض آراءك على ملكاتى فتعطلها وتحجر على أفكارى فلا تبيح لها أن تحلق إلا في حيز حددته خطوطك .

انه العقل المتفتح جامح الخيال رحب الأفق لا يذكيه إلا أن يحتك بالمعارضين والمناقضين ليمرن بذلك ملكته على مناقشة ارائهم وتمحيص أفكارهم وعندئذ لا يربح ما اعتنق من رأى بقدر ما يربح تمرين نفسه على الاستنتاج والاستنباط .

ان العقل المرن الذي نرى أثره في أحدث ما ابتكرته الأفكار الجبارة لم يكسب مرونته من نظريات تلقاها من أساتذته في صيغ محدودة لا تقبل المراجعة ولا تتسع للنقاش الحر بل تعلم أول مانشأ كيف يمارس النقاش وكيف يمرن ملكته على الاستنباط وربما استنتج الفكرة الخاطئة فهداه الخطأ الى محجة الصواب .

أنت لا تنكر أن أروع النهضات الفكرية في تاريخ الأرض لم تتوقد جذوتها إلا بعد أن استطاعت أن تذكى روح البحث في جماهيرها دون أن تبالى بتشعب الآراء وتضاربها فتلك تيارات تدل على مدى النشاط الذى يهيب بالعقول لتتفتح ومن ثم لا تلبث أن تستعر وتسلك سبيلها المنتج في الحياة ·

أما الركود على ما قيل والبقاء على ما علم وتحديد البحث بما استخلصه أستاذك أو استنتجه معلم معروف الكفاءة فذلك حَجَرٌ لا يفتق ذهنا ولا يعد العقول للابتكار والاختراع ·

أنت تعرف أن في الشرق أمة ذاع صيتها بما أنتجت في مجالى الابتكار والاختراع وباتت تجارى بمنتجاتها عددا كبيرا من أرقى أمم الغرب علما وعملا وأنت تقرأ الكثير من تاريخ نهضتها لتلتمس أهم البواعث التى هيأتها للحياة الجادة فتجد أنها مارست أكثر ما مارست تمرين العقول فيما يفتقها فيعلمها كيف تناقش المفاهيم دون أن تقيّدها نظرية قيلت أو فكرة رصدت أو حكمة كتبت ·

كان هناك مجال لمداولة العقول لاحتكاكها · لتمرينها على البحث والدراسة · والاستنتاج الذى لا تحده قاعدة ولا تقف به عند نظرية ربما سرقوا الفكرة أو استعاروا التصميم لكنهم لا يلبثون أن يتخطوا ما سرقوا أو استعاروا فإذا هم وقد أبدعوا فيما انتجوا وتخطوا حدود ما أخذوا عن غيرهم فما أحوجنا ونحن على أبواب هذه النهضة أن نعلم العقول كيف تمارس لنبدع كما أبدعوا ·



عَلَينا أن نتفاعل مع أحداث الحياة

قال صاحبي : أحسبك سمعت صديقنا وهو يقول في حديثه بالأمس أنه عود من حزمة وانه انسان حده حد نفسه وأن حسبه من الحياة أن يخرج من بيته الى تجارته ليعود من تجارته الى بيته دون أن يشغل نفسه بشيء من تيارات الحياة في أركان الأرض .

قلت : أنه ضيق الذهن في صورة لا يقبلها إلا إنسان محدود العقل .

ان حياة الاسلام عاشت قبلنا مئات السنين تتجاذب وتتدافع فكريا وعمليا حتى انتجت الوف النظريات حتى عرف الاوربي اليوم كيف يتسلح بها وهو يخوض غمار الفكر والانتاج .

فلو وقف التجاوب يومها والتدافع بين اعلام الفكر وأساطين الفلسفة وكبار علماء المذاهب لما احتل العقل ولما استطاع أن يمارس أعماله اليوم في نشاط نرى آثاره لامعة في أكثر أقطار العالم المتمدن .

ولو وقفت تلك الأجيال تدعى أن حدّها حد نفسها وأن الرجل يكفيه أن يكون رجلا من بيته الى تجارته ومن تجارته الى بيته لتعطلت أعمال العقل ولما استطاعوا أن يتركوا للحياة هذه الارتال من الاعمال الفكرية والمذهبية وهذه النظريات التي اعدت العقول لما تتمخض اليوم عنه من انتاج .

اننا لا نبالغ اذا ادعينا ان جميع احداث الحياة التي لا تزال تغير أوضاع الأرض وترسم خرائطها في اشكال وصور ينسخ بعضها البعض وأن جميع ما دال من دول وما قام على انقاضها من أمم وما طرأ على قارات الأرض من جزر ومد وحروب ومطاحنات لم تكن الا نتائج نظريات عاشت في رؤوس المفكرين قبل أن تأخذ سبيلها الى العمل واثرا من آثار ابتكارات اخترعتها عقول لم تكن ضيقة الحدود .
ان خارطة اليابان في لونها الاخير لم ترسمها جنود الحلفاء على كثرة عددها وانما رسمها عقل واحد استطاع أن يستخدم الذرة في ((هيروشيما)) مدينة اليابان الصناعية .

وان حضارة أميركا اليوم التي هيأتها للاشراف على الكرة الأرضية لم تكن في أحد الأيام الا عقولا واسعة الآفاق حفية الانتاج استطاعت أن تعدها للمركز العاتي العظيم الذي تزهو به اليوم على الممالك والأمم .

فلو ضاقت أذهان المنتجين عندهم والتزم كل مفكر عامل في الحياة حده الذاتي لا يطمع إلا في العمل المحدود بين تجارته وبيته لما كانت أميركا اليوم ولما كان هذا الشأو الذي تملى به على الحياة .

ما أحلى أن نصيخ الى صوت الحياة وان نتفاعل مع أحداثها وان نبنى في غمارها كما بنى اجداد لنا عرفوا كيف يعايشون احداثها وان نفعل مثل ما فعلوا



علينا أن نواجه مقدراتنا بفهم الحصيف

«١»

قال صاحبي : يروعني هذا التكالب على حرب الاسلام وتشويه تعاليمه بصورة تكاد تلمس فيها روح الصليبية المتعصبة .

قلت : إنه خطأ المسلمين قبل أن يكون خطأ اعدائهم فلو تبينوا موقفهم مما يراد بهم وعرفوا كيف يواجهون مقدراتهم بفهم الحصيف الذي لا يغشه زيف المزيفين ولا ترهات المبطلين لكان شأنهم اليوم غير هذا الشأن .

ان أعداء الاسلام في الغرب أو الشرق لا يخشون شيئا كما يخشون يقظة المسلمين وتجمعهم على الصراط الذي اختطه لهم دينهم وفرضته عليهم تعاليمهم ولهذا لا احسبك تعجب اذا قرأت ما ينال المسلمين في كل الاصقاع التي يهيمن عليها الروس فأن مبادئ ماركس التي يدينون بها ترى أن لا نجاح يحقق مراميهم الا بالقضاء على الاسلام في سائر الشعوب والأقاليم التي باتوا يحكمونها .

وقل مثل هذا في أكثر الممالك التي يسيطر عليها الغرب عمليا أو فكريا فما أكثر الأخطار المدسوسة في كثير من المبادئ التي يبثها بأسم العلم رجال تخصصوا في هذا البث فأوهموا المغشوشين أن عقيدتهم قابلة لبحثهم ليدخلوا على الغفل من بعض شباب الاسلام ومراهقيه وطائفة من شيوخه المأخوذين بالبريق الزائف حتى نسينا ـ بتأثير ما دخل علينا ـ حقائق الاسلام وأهملنا ما يجب علينا

لكيانه وانسقنا وراء ما زينوا لنا من ترهات وما استنتجوا لنا من أباطيل .

انها دون شك روح الصليبية تعيدها جذعة فثمت شعوب تعبئ طاقاتها ماديا ومعنويا للضغط على مقدرات المسلمين واضعاف معنوياتهم وتشكيكهم في كل ما ورثوا من حقائق كانت ناصعة البيان يوم كانت اليقظة عامة في أقطار الاسلام فباتت مهزوزة بفعل ما انساق الى المسلمين من نظريات ودراسات سموها علمية بعد أن بطنوها بما انتهى اليه ابداعهم في المغالطة المخدومة والتضليل المحبوك

كان عليهم ألا ينسـوا فضل الاسلام ومفكري الاسلام على حضارتهم يوم نهبوا تراثه وسرقوا أفكاره وقلدوا حضارته .

كان عليهم الا ينسوا اننا قبل هذا وبعده ابحناهم علومنا وفتحنا امامهم أبواب مجامعنا ولم نبخل عليهم بارائنا وما انتهينا اليه من نتائج بحوثنا ولكنه التعصب البغيض ابى عليهم الا أن يتنكروا لكل ما بذلنا لهم وما هيأنا لانشاء حضارتهم .

وعودا على بدء أرى أننا نشاركهم الخطأ إن لم ننفرد به دونهم فقد أسلمناهم قيادنا ورضينا أن نقيد أفهامنا بهم دون أن نتبنى وجه الحق في غمار ما يضللون ورحم الله شاعرنا البدوي الذي يقول : ـ

أساى مني وبي ـ وأنا اللي بالوادي جريت ـ والعشب منى طلع
وأنا اللي بناره انكويت

فغضبة يا سراة الاسلام تعيد لكم مجدكم وتفتح عيونكم على حقائق الحياة .



علينا أن نواجه مقدراتنا بفهم الحصيف

« ٢ »

قلت لصاحبي : وكنا في صدد خصوم الاسلام الذين تكالبوا علينا واستطاعوا أن يهيمنوا على مقدراتنا وأن يقيدوا أفهامنا بهم دون أن نتبين وجه الحق في غمار ما يضللون به علينا .

قلت له : ليس بيننا وبين ان ندعم شخصيتنا في مجالى الحياة الا أن نعرف مدى مسؤليتنا حيال أحداث الحياة ونتبين نوع الواجبات التي يفرضها علينا ديننا لنأخذ دورنا وافيا بين الأمم .

علينا ان نبعث الروح التي عاشت احقابا طويلة تخطط مسيرة آباء لنا أثبتوا ذاتيتهم وحققوا من أمانيهم ما شهد به تاريخهم الناصع .

وليس هذا بعزيز علينا إذا تضافرنا على العمل الجاد وتعاونت سائر قوانا في المجامع والمدارس والمساجد ودور المصانع وغرف المساجد .. الامام في مصلاه والعالم في حلقة درسه والتاجر في منصة متجره والعامل الى جواره سنداله والمزارع بين رفشه ومحراثه والمتسوق في أقصى زاوية من سوقه ان عليه لعزة دينه واجبات لا يجوز بحال أن يتخلى عنها أو يتراخى عن العمل في سبيلها .

علينا أن نتنكر لكل اجنبي عن الاسلام يحاول الهيمنة على مقدراتنا أو يحتال ليسيطر على افهامنا ويكبل عقولنا بما يضمن له النجاح في توجيهها

التوجيه الذي يقيدنا به ويربطنا بعجلته ٠

لقد تناولنا في بعض ما قلنا قبل اليوم قصص المستشرقين الذين يأبون أن يناقشوا مبادىء الاسلام إلا بالصورة التى تمليها أهواؤهم وقلنا انه اذا كان البعض قد خدم النقاش بروح علمية بحتة فان كثيرا منهم أضلهم الهوى فناقشوا أكثر مباحثهم بروح تتنافى وحقائق العلم فثمت نظريات اكدوها كمبادئ وراحوا يؤولون في تفسيرها عشرات النصوص ويحرفون من معانيها ما يدعم تأويلهم وبذلك أوهموا كثيرا من شباب المسلمين بأن مفاهيم الاسلام لا تتماشى مع الحياة فضللوا بذلك طوائف لا يحصى عددها زلزلت بعض عقائدهم ولو تحرى هؤلاء الشباب ما زيف به عليهم وكلفوا أنفسهم دراسة الحقائق في مظانها الصحيحة لكان شأنهم غير هذا الشأن .

ان في المكتبة الاسلامية ألوف المجلدات التي عاشت مدفونة لا يعرف الشاب حتى ولا أسماءها وليس بينه وبين ان يتفهم حقائق دينه ومعالم تأريخه الناصع الا أن ينبش عنها ويعكف على قراءتها ليرى أيه دراسات عنى علماؤه ببحثها بصور لا تدع مجالا لمرتاب .

لقد نسينا كل هذه الذخائر وتقاعسنا عن نبشها وتركنا لخصومنا من كل لون وجنس امر العناية بها فأطلعوا وتوسعوا في الاطلاع وعرفوا كيف تؤكل الكتف واستطاعوا أن يخرجوا علينا بما استنتجوا في أساليب لحمتها التشويه وسداها الزيف .

غضبة يا قوم تفتح عيونكم على حقائق ما ضللوا وزيفوا .



لئلا نعلّم أطفالنا وشبابنا العصيان

قال صاحبي : ما رأيت كصديقك (فلان) مطاعا في أهله محترما بين أبنائه يقول الكلمة فلا تعصى بل ربما أشار الاشارة فكان لها حكم الأمر النافذ لا كما يشاهد بين بعض الأبناء وآبائهم الذين يلحون في الخصام عند أول بادرة تبدر بأمر من والديهم .

قلت : انها حكمة سيد الأسرة فثمت أب يعرف كيف يحترم نفسه فيحترم كلمته لا يلقيها على عواهنها لأنه سيد مطاع فحسب والا جاءت برد الفعل وعلمت اولاده اللجج وربما ساقتهم الى العصيان .

اذا عرف الاب كيف يناقش أولاده في الفكرة قبل أن يصدع بالأمر فيها وان يكشف لهم وجه الصواب من الخطأ ليتبينوا موقفهم منها استطاع أن يكسب ثقتهم وأن يعلمهم كيف يحترمون رأيه فيما يرى .

واذا مرن الأولاد على احترام الثقة بات لأبيهم مركزه المحترم منهم حتى اذا بدرت البادرة . مستعجلة لا يتسع وقتها للنقاش قامت الثقة بدورها في احترام كلمته وطاعة أوامره .

وقد قيل اذا أردت أن تطاع فأحكم بما يستطاع وأنا أرى الاستطاعة هنا تعنى

الى جانب معانيها قناعة المأمور بأن ما يتلقاه من آمره ليس أمرا للامر وليست أحكاما جزافا تلقى على عواهنها . لا لشيئ لأنه أب آمر وان كلمته يجب أن تطاع

حذار يا صاحبى ان تترك أوامرك تترى على أولادك دون تمييز أو حساب لان الطفل أو الشاب اذا أدرك أنك كثير الأوامر وانها أوامر لا تعنى شيئا الا أنك صاحب الكلمة وان كلمتك يجب أن تطاع حتى ولو لم يقرها عقله تمرد على ما امرت وربما استساغ التمرد فلج فيه الى نهاية لا تحمد عقباها .

ما أحلىأن تأمر لشىء فيه مصلحة وان تنهى عن شيئ تعرف مغبته السيئة وهذا يعني في رأي التربية الحديثة أن يدرك الابن مدى المصلحة فيما أمرت ويستبين مغبة السوء فيما نهيت .

واذا نسيت فلا يجب أن تنسى قصة الايحاء فاذا استطعت أن توحى الى ابنك أنه انسان مميز وانه يدرك في موقفه هذا مبلغ ما يتعرض له من مساوئ واخطاء اذا أصر على ديدنه فيه وان من الاخطاء ما هو كيت وكيت ومن المساوئ ما هي كيت .

اذا استطعت أن توحي اليه بمثل هذه المعاني في هدوء العاقل تكشفت أمامه الحقائق الغامضة في الأمر وازداد ثقة بارائك وتأكد لديه مبلغ حرصك على مصالحه فلانت قناته وهان عليه ان ينقاد لما ترى وان يحترم ما تأمر .

على أن أوامرك لا بد وان تكون محتملة التنفيذ فاصدار الحكم في مواقف لا تحتمل التنفيذ أمر يفقدك الثقة ويشكك في قيمة ارائك ويعطى المأمورين عشرات الحجج ضدك وبذلك يجدونمئات المبررات لعصيانك .



للأدب أثره في حياة الأمم

قال صاحبي : ألا يصح أن نسمي الأدب ملهاة المترفين .. قلت قد يصح هذا في أمة بلغت شأوها من التقدم وباتت ولا هم لها الا أن تترف وتلهو بطيبات ما نالت

قلت : ولكنه في غير هذا السبيل تناط به حياة الأمم الغافية وتعقد عليه الامال في يقظة الوعي وانارة الطريق .

أنت اليوم لا تقرأ تأريخ أمة أثبتت وجودها بين الأمم الحية وتتبع أهم العوامل التي هيأت صحوتها وأنارت أمامها الطريق الا وجدت للأدب أثره الفعال في حياتها .

صحيح ان انتشار التعليم بين طبقات الأمة يبصرها بالحياة ويهيئها للعمل النافع الجاد ولكن الأدب هو البذرة الأولى الذي تتفتح عنه الحياة .

قد تذر الأمة في غفوتها طويلا فلا تحس بمدى ما تخلفت عن غيرها في سلم الحياة وربما طاب لها أن تنعم بلذة استرخائها وربما تراءى لها أنها سعيدة بما يكتنفها من استنامة حالمة .. وهو شأن كل أمة رضيت أن تستكين لضعفها وتنزوى في احدى زوايا الاهمال . وهنا يأتي دور الأديب .

والأديب الذي أعنيه شعلة تتوقد في احساس مرهف يستفزه واقع امته فيألم لآلامها ويتعذب لما سدرت فيه من غفوة فيندفع في حماس ليصرخ في مضاجعها فيقض نومها ويطرد النعاس عن أجفانها ويظل أمره على ذلك حتى تتوثب للحركة وتتهيأ للنهوض ·

لست أعني الأديب المصنوع ولا الأديب المتاجر ولا الأديب الكاذب الذي يميل بميل الأحداث فتلك أصناف ربما برعت في التنميق والتزويق وارسال الصيحات في نبرات خادعة تخالها صيحات الهوى وليس فيما تذوقه وتحسن تنميقه الا ما يحقق ربحها الذاتي ومنافعها الشخصية .

من الغبن أن نسمي مثل هذه الصنوف أدباء وهم ليسوا أكثر من تجار كلام يجيدون الصياغة ويتقاضون الثمن ويعرفون كيف تؤكل الكتف .

انما الأدباء الذين اعنيهم هم الأدباء الذين تستفزهم اصالتهم فيستوحون مشاعرهم ويندفعون بتأثير من وجدانهم ويأبون أن يشتروا بعقائدهم عرضاً زائلاً مهما بلغ ثمنه أو تضاعف أجره .

بمثل هؤلاء الادباء تناط حياة الأمم الغافية وعلى كواهلهم تعقد الامال في يقظة الوعي .

فاذا استيقظ الوعي احس القادرون على العمل بضرورة السعي والحركة . وعندها تنشأ المدارس ويعمم التعليم ويشعر بالتالي كل مواطن بأن عليه دينا لبلاده يجب أن يوفيه .

ولا ينتهي دور الأديب في رأيي عند هذه الصحوة لان عليه أن يتابعها قبل أن تضطرب المسيرة وتختلط الدروب .. عليه أن يتابعها بمشعله لينير أمامها الطريق فتسلك سبيلها السوى الى غايتها الصحيحة في الحياة .

عندما نكيّف وجداننا

قال صاحبي : الا ترانا خاضعين في حياتنا لمئات التقاليد ومئاتها مما لا يقره منطق ولا يوافق عليه انسان وهبه الله ذرة من عقل .

قلت : لقد ورثناها من أجيال سبقتنا فانطبع وجداننا من نعومة اظفارنا فاذا رأيتنا ننظر الى الحياة من زاوية ما انطبعنا عليه فلا تستغرب ما نفعل .

ان عاداتنا في مآتم الموت وأفراح الزواج وما الى الزواج من تفصيلات ثم في عقد العقود وطريقتنا في الاحتفال به وما نعاني من مشاق في استئجار الحلى والثياب أو استعارتها وما نبذله من نفقات لا حد لاسرافها كل هذه لا يختلف عاقلان منا على استهجانها ومقتها بل اننا في الواقع لا ننفك في كل مناسبة نشيد بمساوئها ونتفكه بنوادرها في ازدراء ومقت ونقضى كثيرا من ليالي سمرنا في تعقب مصائبنا فيها وشرح ما نعانيه من سيئاتها وتطالعك على الدوام في وجوهنا علامات الكره ناطقة بأبرز معانيها ومع هذا فنحن نمضي في خضوعنا لها مضى العبد تسوقه عصا سيده الجبار ونؤدى طقوسها مستوفاة كاملة كما يؤدى عابد الوثن طقوس وثنه في خنوع الجاهل الضال .

والشيئ الذي تهولك غرابته ان الدين قد يبيح لنا ما تحرمه العادة أو يحرم ما أباحته ومع هذا فنحن ننسى نصوص الدين أو نتغافل عنها ونمضي في ركاب العادة مستجيبين لتقاليدها راضين باحكامها .

ولو اردنا أن نمضي في سرد الأمثال لهذا لاستطعنا أن نملأ أضخم المجلدات فأكثر تقاليدنا في غدواتنا وروحاتنا في صحونا ونومنا في بيوتنا وأسواقنا في حبنا أو كرهنا في أفراحنا ومآتمنا في مأكلنا ومشربنا في أزيائنا وملبوسنا كلها مستوحاة من عادات نشأنا عليها أو تسلمناها موروثة من اجدادنا فتكيف وجداننا بكيفها واصطبغنا نحن بصبغتها فلا محل للتغيير فيها ولا وجه للفرز والانتقاد الا في اليسير النادر .

وهذا اليسير النادر هو هدفنا اليوم فيما نحن بصدده .

يقول علماء التربية أن في الاستطاعة أن نحكم وجداننا ونكيفه بالكيف الذي نريد ولا نتركه يحكمنا بما الف ويوجهنا بما انطبع عليه من العادات فاذا استطاع الرجل أن ينظر الى نفسه نظرة فيها كثير من الوقار وان يحترم ذاته كانسان له شخصيته واستقلاله وان يعطى هذه الشخصية قيمة أكثر مما يعطيها الرجل العادي عندئذ لا يعجزه أن يكبر على وجدانه المطبوع ولا يعجزه ان يقف في كل خطوة من حياته موقف المميز الذي يفرز الاشياء ويفهم معانيها ويدرك الى أي حد كان تأثير الوجدان فيها ثم يعمد الى مكان الوجدان منها فيحاول أن يلوى شكيمته بأسلوب مقنع يبدو فيه أمام انطباعات وجدانه في مظهر الرجل الذي يعتز بكرامته ويربأ بها أن تساير البيئة في كل ما تعودت كما يسايرها العاديون الذين لا يحترمون ذواتهم ولا يشعرون بكرامة استقلالهم الشخصى

انك قد تحتفل بزواجك فنرى ان وجدانك أو وجدان بعض قرابتك المطبوع بطابع بيئتك لا يجيز هذه الخطوة الا في وضع معين له تقاليده المقدسة فاذا استطعت ان توحي الى هذا الوجدان بانك أكبر من أن تتقيد لتقاليد لا يقرها عقلك فستكبر في نظر نفسك وتبنى لشخصيتك من جديد .



مكتبة المثقف عنوانه الصادق

قال صاحبي : ما جمعني جامع بصديقك فلان الا رأيته يتأبط كتبا اشتراها من يومه .. ربما مر بي في الشارع أو رأيته في مكتبة أو صادفته وهو يركب سيارته ولا اذكر مرة انى شهدته خلوا من مجموعة كتب تصحبه كما لا اذكر اني سألته مرة الا ليجيبني انه اشتراها لوقته فأي وقت يتسع أمامه لقراءة كل ما يشتري وأي دخل يكفيه لتغطية كل ما يشترى .

قلت : أما أن وقته لا يتسع لقراءة كل ما يشترى فهو لا يشتريها ليقرأها في يومه وانما هي ذخائر يكنزها لفراغه على مدار العام وما يتلوه من أعوام .. واما موضوع دخله فمدى علمي انه ينظم موازنته بشكل مقدر مضبوط وهو يعطى منها بند شراء الكتب أو في رقم يستطيعه .. والطريف في أمره انه الغى في سنيه الاخيرة عادة شرب الدخان والغى كثيرا من كماليات الحياة التي رأى أن في استطاعته الاستغناء عنها ليوفر بنودها الخاصة فيضيفها الى البند الخاص بشراء الكتب وقد سمعته مرة يقول : ان حاجتي الى الغداء الذهني لا تعادلها حاجة في سائر شؤون الحياة .. وهو من أجل هذا لا يجلس اليه جالس ليناقشه في أي فرع من فروع الفكر الا وجده ضليعا نادر المثال وما عن له قط ان يحاول كتابة بحث من هذه البحوث التي تعود كتابتها الا استطاع أن يوفيه شمولا وغزارة لا تتهيأ لكاتب عادي .

ثم لا أرى وجها للغرابة فالمثقف الضليع لا يواجه الحياة بسائر الوانها الا من خلال مكتبته العامرة بصنوف الأفكار والمفاهيم . انه وهو يقتعد مقعده من غرفته أو مكتبته في ظل رفوفها وخزاناتها يستطيع أن يحلق في أبعد أجواء الفكر الانساني وان يحتك بأحدث مفاهيمها الحية ويخالط آخر تطوراتها .

ان صاحبنا لم يفعل جديدا فقد عاش العقاد رغم دخله المحدود اذا قيس بأصحاب الارباح الكبيرة ينفق شهريا على شراء الكتب ما يقدر بثلثي مكاسبه كما يقول بعض العارفين استغنى عن كل أنواع المكيفات وتحاشى جميع الكماليات وابى على نفسه أن يكون له اسرة ترهقه نفقاتها ليصبح كسبه بعد كفاف العيش وقفا على اقتناء الكتب وبذلك توافرت له مكتبة قل ان يضاهيها مثلها حتى في الدور العامة التى تشيدها الحكومات للمطالعة .

وبهذا استطاعت مكتبة العقاد أن تكوينا هائلا وان تهيئه لقيادة الفكر في بلاد الشرق العربي وان تعده ليناقش من فلسفة الحياة مالا يضاهيه فيها منازع حتى اثبت وجوده بين فلاسفة العالم وأصبح اكاديمية قائمة بذاتها يعترف بها أساطين الفكر في أمريكا وأكثر بلاد أوربا وبات وثيق الصلة بمشاهير العلماء والفلاسفة في أشهر البلاد الراقية . وكان بريده اليومي يرهق سعاة البريد لكثرة مراسليه في الافاق من طلاب المعرفة وهواة النقاش وكبار المؤلفين الذين يبادلونه هدايا الكتب والمؤلفات .

ان مكتبة المثقف هي عالمه الذي لا تحده حدود وهي جهازه الكوني الذي يصله بكل ما في الكون من معارف الحياة .



ليت لنا مثل عنايتهم

قال صاحبي : ان تعجب فأعجب لألماني مستشرق لم يتجاوز سن الشباب صادفته وبعض أصدقائي في بلد عربي فلما علم اننا من مكة شرع يحدثنا عن قصة الرومية التي استدعاها معاوية رضي الله عنه يوم جاء مكة ليسألها لم انحازت لجيش علي كرم الله وجهه ضده فكانت صريحة صادقة لم تكتم شيئا مما اعتقدت . وكان معاوية أمام تصريحاتها مثالا للديمقراطية الحقة بما اولاها من حلمه وسعة صدره فأى عناية هذه جعلت الأجنبي البعيد يتغلغل في تاريخنا بهذه الصورة الواسعة ؟

قلت:لا عجب في هذا فان أكثر الجامعات الراقية في أكثر بلاد أوربا وأمريكا تعنى عناية خاصة بالدراسات الاسلامية .. انهم يبذلون جهودا كبيرة في سبيل أن يتفهم الطالب في قسم الدراسات الاسلامية أهم الادوار التى مرت بتاريخ الاسلام ويتعرف على كافة المجالات والعلوم التي جال فيها علماء الاسلام وهم في سبيل هذا يعقدون الندوات لبحث المواضيع العامة التي كان لها أثرها في تنظيم المجتمع الاسلامي في عهوده الذهبية ويستضيفون في ندواتهم كبار المتعمقين في الدراسات الاسلامية وأكثرهم من المستشرقين ليناقشوهم فيما يغمض عليهم من دقائق علوم الاسلام ويفسحون المجال أمام طلاب هذه الأقسام ليتحدثوا فيما يهمهم من شؤون الاسلام على أن يدعم الطالب حديثه بمستندات علمية يستقيها من أمهات

الكتب العربية الموثوقة أو مؤلفات بعض المستشرقين الذين يعنون بأمثال هذه البحوث .

وكثيرا ما تتسع بحوثهم لدراسة النظم الادارية التي كانت تسود دول الاسلام ومراجع الفقه التي كانوا يستنبطون منها أحكامهم وأساليب الحياة التي كانوا يعيشونها .

وتعتمد أكثر هذه الجامعات على مكتبات واسعة تضم آلاف المجلدات من أوثق ما ألف علماء العربية في عهودهم بين مخطوط ومطبوع الى جانب ما تضمه من مؤلفات المستشرقين في بحوث اسلامية تعددت لغاتها بتعدد اجناس مؤلفيها وأخذت مكانها بين رفوف الاقسام العربية في هذه الجامعات .

لا أقول أن كل ما يدرس في هذه الاقسام من هذه الجامعات يعطى الاسلام حقه من الانصاف ولا أقول أن كل هذه الندوات التي تناقش تاريخه تعتمد الحق فيما تناقش فثمت رجال من نوع عرفت لا تضيرهم كلمة الحق بينما في البيداء رجال لا يهمهم الا ان يضربوا في كل واد بما يشتهون .

لسنا في صدد صحة ما يقال أو رده فذلك موضوع له بحثه ولكننا اليوم في شأن هذه العناية التي نتمنى لشبابنا أن يتوافروا عليها يخدمون بها دينهم وعروبتهم .



كيف نضمن تحويل المجتمع

قال صاحبي : كيف نضمن تحويل مجتمعنا عن اكثر ما ألف من مضار العادات

قلت : ان للأمم والشعوب وحتى الجماعة الصغيرة أخيله وتصورات خاصة بها .

هذه الاخيلة تجمع الافريقي الى اخيه الافريقي وهما في أقصى بلاد الهجرة من جنوب أمريكا .

وتجمع الغامدي الى مواطنه الغامدى وهما في أعماق بلاد الحبشة وتوائم بين الحضرمي وأخيه الحضرمي وهما في أبعد قرية من جزائر أندونـيسيا .

يعيش المهاجر مهما نأت به هجرته تحكمه اخيلة بيئته ولا تقوى أكبر المؤثرات على محوها في الغالب الا بعد أجيال وأجيال .. على أن يتناول تغييرها بالتدريج ابناء الاحفاد واحفاد الابناء .

يتقادم العهد على العربي في اوربا فيجاري الاوربيين في كثير من مظاهر الحياة الا فيما يتعلق بالاخيلة والتصورات فيظل فيها عربيا من حيث لا يدري .. تجده بالرغم من اندماجه في مجتمع اوربي اكثر اخذا بالغيرة على قرينته

وكريمته من الأوروبى كما تجده أشد تعلقا منه بأنواع من المجاملات الشائعة في الشرق .

وتطول اقامة الهندي أو التركستاني أو الأفغاني أو المغربي في مكة فيظل الى فترة طويلة من حياته وربما حياة ابنه من بعده محكوما لتصورات بيئته ونحن نشهد هذا واضحا في مجتمعاتهم بيننا وطريقة عيشهم وفي الكثير من مظاهر ازيائهم بل وفي سائر ما يدور في اخيلتهم من معاني الحياة .

نريد أن نخلص من هذا الى أن الاخيلة والتصورات هي النواميس الخفية التي تجمع الامة أو الشعب وتدعم افراده وتدمغه بدمغة واحدة وتحفظ عليه حيثيته .

ومنه يبدو لنا ان رجال التوجيه في كل أمة لا يستطيعون أن يضمنوا نجاح توجيههم الا على ضوء ما يدخل في حسبانهم من مراعاة لأخيلة المجتمع الذي يحاولون توجيهه .

فالموجه الاهوج الذي يقحم نفسه في تيار الاخيلة الخاصة بأمة يعيش بينها فيصدها ويعلن حربها في قسوة وعنف هو موجه اقرب ما يكون الى الفشل والخيبة ((ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك)) .

والموجه الحكيم الذي لا يصادر اخيلة مجتمعه ولا يصادم تيار تصوراته الا بمقدار ما يبنى دون ان تظهر آثار الهدم خلفه احرى بالنجاح واقدر على تحويل المجتمع رويدا الى الشكل الذي يصبه فيه .

واذا فليس لتحويل المجتمع سوى تحويل اخيلته وتصوراته حتى يتكيف بالأشياء في الصورة التي يرسمها الموجه .. تكييفا يرضيه ولا يفتنه أو يستثير حماسه ضد ما ألف من سيئات قديمة .

دراسات جديدة في علوم البحار

قال صاحبي : أرى أن من روائع المبتكرات العلمية في القرن العشرين ابتكار تحلية الماء ذلك لان المشاهد في كثير من أقطار الارض شدة حاجة الناس الى ما يروى ظمأهم وقد احسنت حكومتنا صنعا عندما بادرت للاستفادة من هذا الابتكار في بعض مناطقنا التي شعرت بحاجتها الى الماء .

قلت:اما انها احسنت صنعا فيما بادرت اليه فهذا ما يسجل لها ومبلغ علمي مما قرأت في الصحف ان ثمت خطوات ستترى في هذا المجال حتى يعم فيض الماء سائر المناطق المحرومة .

واذا ذكرنا بالخير حكومتنا على صنيعها فيما بادرت اليه فلا يجب أن ننسى تقدير هذه الادمغة الجبارة التي استطاعت أن تستخدم العلم لفائدة البشرية في مجال كهذا بلغت حاجة العالم اليه ما لم يبلغه أي مجال في آفاق العلم .

والطريف في الأمر ان الادمغة الجبارة التي اعنيها لم تقتصر في مجال البحار على دراسة تحليتها فهناك بحوث واسعة اخذت تتناول كثيراً من الجوانب التي يؤمل العلماء أن تفيد البشر في كثير مما تفتقر اليه حياتهم . فهم يرون أن تزايد سكان العالم بهذه الصورة التي تتضاعف بتضاعف الايام تحتم على العلم ان يواصل السعي لايجاد الوسائل التي تغطى حاجة البشر وتضمن لهم حياة مطمئنة.

نشطت الدراسات بشكل واسع فاستبان لاصحابها ان في نباتات البحار مصدرا ثرياً لتزويد الصيدليات بأنواع من العقاقير كانوا لا يحلمون بمثلها وان فضلات بعض الحيوانات البحرية التى تعيش في مناطق ضحلة من البحار بالغة الفائدة كأفضل مركب كيمائي هذا عدا الثروة السمكية التي يؤملون ان يبتكروا لصيدها وسائل جديدة يتضاعف بها الانتاج الى ما يزيد عن امثاله اليوم عدة مرات .

ويتبارى أصحاب هذه الدراسات الى أبعد من هذا فقد جاء في اخبار احدهم انه زار اعماق كل محيطات العالم في رحلة استغرقت عدة سنوات درس خلالها كلما يهمه ان يدرسه وتابعه غيره وكان من هواة اكتشاف المعادن فتبين له ان قيعان البحار زاخرة بخامات النحاس والفضة والذهب واليورانيوم وان بعض المناطق غنية بالزيت بشكل يفوق امثالها على وجه الارض وهو لهذا يقترح انشاء معامل في قيعان البحار الغنية بالزيت ولا بأس في رأيه من انشاء بيوت زجاجية يسكنها العاملون في مجال الزيت كما يرى أن العلم لا يعجز في المستقبل من انشاء حقول زراعية في القيعان تسد بعض حاجتهم الى الغذاء .

حيّ ياصاحبي حكومتنا في مبادرتها الى الاستفادة من تحلية مياه البحر وحيّ العقول المفكرة التي لا تقف جهودها عند حد .



مِن أجلِ مُتابعةِ الأقمارِ الصِّناعيَّة

قال صاحبي : وصاحبي في هذه المرة من الذين لا تتجاوز ثقافتهم ما تحت المتوسط قال وهو يستنكر قصة ما يسمع عن الاقمار الصناعية وجولتِها في الفضاء : كيف نستطيع تصديق ما يذاع عن اقمارهم وليس لدينا ما يؤكد وقوعه

قلت : ان الدولة التي تطلق قمرا لا تعيش وحدها في الكون ولا تتميز وحدها بالكفاءة العلمية وهي الى هذا تعرف ان لها أكثر من خصم في مجال السياسة يراقب سائر حركاتها ويتجسس على كل دقيقة من دقائق اعمالها فهي لهذا لا تجرؤان تتبجح بما لا تفعل والا عرضت سمعتها لفضائح لا يستهان بمداها .

وليس من يجهل أن مراقبة هذه الأقمار في أبعد أفاقها بات أمرا عاديا لا يكلف الأمم التي تقدمت علميا الا أن تتابع خطواتها على صفحة الرادار أو عدسات المراصد الجبارة وتساير حركاتها في صورة مكشوفة لا يخفى منها دقيق ولا جليل . وربما سبقت الامة المترصدة اصحاب القمر الصناعي انفسهم الى اذاعة تفاصيل حركاته ونشر صوره ومسيرة دورانه .

ولقد قرأت آخر ما قرأت ان احدى الدول المتقدمة علميا استخدمت لتصوير الأقمار عدسة دقيقة عملاقة قيل أن زجاجها يكلف ما قيمة وزنه ذهبا وانها في سبيل ان تتابع سير الأقمار الصناعية في الفضاء انشأت مراكز للمراقبة في نصف

الكرة الارضية الغربي بلغت نحو ٢٢ مركزا جهزتها بأحدث أجهزة التصوير واستعانت فيها بالعدسات العملاقة الجديدة فأصبح في استطاعتها التقاط صور الأقمار في شتى مداراتها وليدلل الخبر على قوة هذه الأجهزة ودقة التقاط العدسة الجديدة ذكروا ان بعض الاقمار الصناعية ربما كان حجمها لا يزيد عن حجم كرة القدم ومع هذا استطاعت العدسة أن تؤدى وظيفتها وان تتابعها في وضوح رغم أن مركزها ربما بلغ بعده عن القمر الصناعي ما يزيد عن مئات الكيلومترات .

وتعلق بعض الاخبار العلمية على آخر أنباء هذه العدسة العملاقة التي طوقت مراكزها نصف كرة الارض فتقول أن بعض كبار العلماء من المهتمين بطبقات الفضاء استطاعوا الحصول على معلومات هامة قيمة عن الطبقة الهوائية خارج مدار الارض فقد تبين من دقة تصوير العدسة للاقمار الصناعية خلال سيرها في مجراها بأنه يجرى تمدد وتقلص في هذه الطبقة خارج مدار الارض وتدل هذه الظاهرة فيما يراه العلماء على قوة جاذبية الارض وتبسطها عند القطبين واتخاذ شكل الاجاصة .

نريد أن نستخلص من هذا ان أجهزة الرصد والمراقبة تتابع سير أصغر قمر صناعي ينطلق الى الاماد البعيدة وان المجال العلمي لا يتسع لمن يتلاعب باخبار الفضاء أو يدعي شوطا في مداه يعجز عن تحقيقة .



مَا يَقولهُ أَحرار اليَهُود في أُورُوبا وأَمريكا

« ١ »

قال صاحبي : ما قيمة الصداقة التي يدعيها رجال من شعوب اوربا واخرون من أهالي الامريكتين وهم يرون مظالم العدو في فلسطين دون أن يفعلوا شيئا أو يسمع لهم صوت يندد بالاعمال الوحشية التي لا تخفى عليهم .

قلت : أما أنهم لا يفعلون شيئا فالواقع ان كثيرا منهم حاولوا أن يقفوا لنصرة العرب ولكنهم عجزوا وقاتل الله السياسة فقد حالت دونهم وما يتمنون .

أما أصواتهم فليس لنا ان ننكر ما سمعنا من احرارهم وما نشر بأقلام دعاة الحق منهم في كثير من صحف العالم .

ولعلك تستغرب اذا عرفت أن بعضاً من اليهود الاحرار في أوربا وأمريكا أبوا أن يتعاونوا مع زعماء الصهيونيين أو يقروا مبادئهم في العدوان وان رجالاً منهم وقفوا في المؤتمر الصهيوني الأخير يتساءلون لماذا نزغم العرب على دفع ثمن جرائم اقترفتها اوربا قبل اليوم .

لعلك تعرف أن موشى منوهين كتب في أوسع الصحف انتشارا يقول : ان الحقيقة المريرة تواجهني باستمرار وهي أن هؤلاء اليهود أغتصبوا أراضي وأملاك ومزارع الفلاحين والعمال والتجار العرب في فلسطين وانشأوا دولتهم عن طريق المذابح والمجازر وأعمال الارهاب .

ويقول البرفسور مارتن بيلر الفيلسوف اليهودي والزعيم الروحي اليهودي في خطاب القاه في نيويورك بمناسبة العدوان الأول عام ١٩٥٦ على السويس .. يقول : ان الشعب اليهودي يفضل ان يتعلم من هتلر أكثر مما يتعلم من زعمائه الروحيين فقد اثبت هتلر أنه لا يؤمن بالروح بقدر ما يؤمن بالقوة لهذا عاش يقتل دون أن يكون هناك مبرر للقتل وكذلك فعل اليهود ٠

ولو اردنا أن نستقصى كلما اذيع بأصوات العاملين للحق أو نشر باقلام دعاة الحرية في أوربا وأمريكا لطال الأمر بنا كثيرا ـ ولكن الذي اعرفه ان عناية هؤلاء الاحرار مهما اتسع مداها لا يصح ان تستغنى عن حملة العرب الدعائية الصادقة التي تثير شعوب اوربا وامريكا على كل من يؤيد باطل اليهود أو يدعم مخازيهم .



مَا يَقولهُ أحرار اليَهود في أوروبا وأمريكا

« ٢ »

قلت لصاحبي : وهو يناقشني في مناسبة سابقة في شأن من يجاهرون بصداقة العرب من شعوب أوربا وأمريكا وهو يظن انهم يظاهرون العدو في فلسطين بسكوتهم على مخازيهم وفظائعهم .. قلت له ان كثيرا من أحرارهم لم يدخروا وسعا في اعلان شعورهم .. ولكنها السياسة .. وقاتل الله السياسة فقد حالت دونهم وما يتمنون .

قلت : هذا بالأمس وبين يدي اليوم صحيفة فلسطين وهي تنقل عن كاتب يهودي مستقل حديثا طويلا نشره في جريدة جويش نيوزلتر جاء فيه ((لقد جئنا وحولنا السكان العرب الى لاجئين وما نزال نجرؤ على الافتراء عليهم والطعن بهم لنلوث سمعتهم وعوضا عن ان نخجل كثيرا من افعالنا ونحاول أن نمحو بعض الشر الذي ارتكبناه فاننا نبرر اعمالنا الفظيعة بل اننا نسعى لتمجيدها)) .

وفي مقال نشره ناثان شوفستى في نفس الصحيفة وهو من كبار كتاب اليهود وله مؤلفات واسعة الانتشار جاء ملخصه : انه عندما اقترب الاسرائيليون من قناة السويس قبل اعوام مضت وعندما كانت حليفتاهم تقاتلان في بور سعيد امرت الامم المتحدة جميع القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية بالانسحاب من مصر وسيناء وادرك الفرنسيون والبريطانيون أن الوقت ليس وقت شن حرب

عدوانية وحاول الاسرائيليون أن يماطلوا ولكنهم ارغموا على الانسحاب ارغاما فما بالهم اليوم يتحدون قرارات الأمم المتحدة التي اتخذت بأغلبية ٩٩ صوتا مقابل لا شيء .

هذا قليل من كثير صدع به عشرات وعشرات من دعاة الحق والفضيلة من أصحاب الرأي في أوربا وأمريكا ومن الطريف ان بينهم من احرار اليهود وزعمائهم الروحانيين والسياسيين من لم يبالوا شيئا في سبيل الحق وان بينهم من توسع في ادلاء الحجج وبسط البراهين في صور تؤيد حقوق العرب ـ ولست اشك في أن العرب لو عنوا بجمع مثل هذه الادلة التي شهد بها أهل المعتدين وبنو جنسهم لتهيأ لهم دعما جديدا صالحا لاقناع كل الذين غررت بهم الصهيونية ودعاواها الكاذبة من شعوب اوربا وأمريكا ـ فهل نفعل ؟ .



الفدائيون الفلسطينيون

قال صاحبي : يسألني رأيي في العمل الفدائي الفلسطيني .

قلت : انت في سؤالك يا ابن أخي شبيه بمن يسأل ما رأيك في الفوائد التي نجنيها من الشمس .

ثق انني اعجز من أن أحصى لك فوائد ما نجني من الشمس كدأبي وأنا أتهيأ لاجابتك عن رأيي في أعمال فدائي فلسطين بعد أن نذروا نفوسهم لبلادهم وباعوها في سبيل الله .

أتراني أحسن الاشادة بقوم وضعوا رؤوسهم في اكفهم وتقدموا بها في بسالة لا يبغون من وراء جرأتهم الا أن يموتوا أو تعيش بلادهم حرة .

اتراني احسن التعبير وأنا أصف ليوثا أبوا الا أن يثيروها جذعة في وجوه الغاصبين وقد استطاعوا رغم قلتهم ورغم فقرهم الا من ايمانهم بحقوقهم ان يقضوا مضاجع العابثين وان يسلبوهم أمنهم وهناءتهم .

صدقني يا ابن أخي ان ما فهمته من بعض اعمالهم لا يقاس بما أعرفه عن أشد الحروب ضراوة وأقساها مرارة .

انها أعمال جن مستنفرة فرت من قسورة لقد قيل أنهم أبطال ولكنهم ليسوا كالابطال .. وقيل أنهم رجال ولكنهم ليسوا كالرجال .

قيل إن لهم كياناً ولكنه ليس ككل كيان .. وان لهم تكتيكا ولكنه ليس ككل تكتيك وان لمسيرتهم رعبا ولكنه ليس ككل رعب .. وانهم مع هذا وبكل هذا لا يكادون يعرفون الا بآثارهم وما تركوا خلفهم من خراب ودمار في حصون المعادين ومعاقلهم .

أتدري يا ابن أخي انهم لا يضعون عيونهم على منطقة حتى يهبطوها هبوط الليل وينسلوا خلالها انسلال الاشباح يبثون الالغام ويشعلون الحرائق ويدمرون أقوى العتاد ثم لا يلبثون أن يتبخروا كما يتبخر الغاز في الهواء الطلق .

اتدري أن لهم خرائط مدروسة تشير الى المواقع التي تسلكها دبابات العدو وان لهم تعليمات دقيقة تحدد ساعة الصفر وان بين جنوبهم أرواحا لا تعرف الهزيمة ولا تقر التراجع فلا تكاد مسيرة الدبابات العاتية تنطلق في طريقها حتى تنطلق معها متفجرات المترصدين من كل صوب فإذا دوى هائل يمزق الصمت وإذا قطع من الحديد تتطاير في الأفق . وإذا غمامة كثيفة من الدخان تحجب الشمس ولا يكاد ينجلي الغمام حتى يتكشف عن أوصال الدبابات وقد تناثرت بين معارج الطرق . واشلاء الظالمين .

ان ابطالك الفدائيين أحالوا ليالي العدو الى قلق دائم تتراءى لهم فيه أشباح مخيفة وخيالات مروعة وليس كالقلق ما يثير الرعب ويحقق الهزيمة .
ألا فاصبر وما صبرك الا بالله .

ثـــق يا ابـــن أخـــي .. انـــهـــم بـــعون الله عائدون .



ألا نستخلص الأدوية من أعشابنا

قال صاحبي : يبدو ان الكثرة الكاثرة من الادوية التي تقدمها الصيدليات في شكل اقراص أو أشربة أو مساحيق أو دهان يمكن ان نستغني عنها أو أكثرها بما ينبت في جبالنا ووديانتا من أعشاب فما يمنعنا أن ندرس خواصها ونستخلص منها ما نحتاجه لعلنا نستغني عن كثير مما نستورد من شركات الادوية ولا سيما وقد بدأت طلائع شبابنا من خريجي كليات الصيدلة يثبتون وجودهم بيننا .

قلت : هذا ما نرجو تحقيقه في نهضتنا الجديدة فقد عاشت الأعشاب أحقابا طويلة من عهد الأشوريين والبابليين الى عهد قدماء الفراعنة والهند والصين الى أن تألقت حضارة العرب .

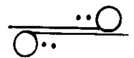
عاشت الاعشاب مصدرا لتحضير الأدوية في صور وأشكال كانت تعالج الوف الامراض والوفها وعندما انتقلت اسرار الاعشاب ووسائل تحضيرها الى بلاد الاندلس استطاعت اوربا أن تحتك بصناع الادوية فيها وكانت ثمت مدارس في حواضر الاندلس لتخريج الصيادلة اتصل بها بعض الايطاليين والفرنسيين ونفر من أهالي اوربا الوسطى فتخرجوا فيها وهم يجيدون اسرار أكثر الاعشاب ووسائل تحضيرها ثم كانت الحروب الصليبية فأختلط المعنيون بأكثر أعشاب الشرق وادركوا كثيرا من اسرارها واستطاعوا أن ينقلوا الى بلادهم كثيرا من انواعها وبدأوا في تحضير ادويتهم منها حتى لقد جاء في تاريخ الصيدلة ان اول

صيدلية عرفتها اوربا بدأت اعمالها في القرن الثالث عشر وشرعت تبيع الادوية مستخلصة من اعشاب شرقية على طريقة ما كان يجري في الاندلس .

ومن المسلم به ان خصائص الاعشاب فن لا نهاية لبحره الزاخر فقد اثبتت التجارب ان عشبة واحدة تنبت عفوا في منحدر صخري أو يباب قفر ربما جمعت من الخواص النافعة ما لم تجمعه عدة قناني في دكان الصيدلة وان منقوع زهرة مما تكتظ به السفوح ومشارف الوديان عندنا ربما نفع في علاج اكثر من مرض بصورة لا يقدرها الا باحث عميق الدرس .

ان اوربا بعد أن اخذت عن الشرق تجاربه في علم الاعشاب ما لبثت ان توسعت في دراساتها حتى تهيأ لها من نحو قرن وبعض القرن ان تحلل المواد الفعالة في اكثر الاعشاب ثم عمدت الى تركيبها كيماويا من مصادر استغنت فيها عن أكثر الاعشاب وبذلك بدأ علم الاعشاب يتضاءل لتحل محله عمليات التركيب الكيماوي ومع هذا فلا تزال بعض الحالات المرضية تستعصى عليهم فيعودون الى تجاربهم في الاعشاب ليستخلصوا منها ما تعذر عليهم استخلاصه من تركيبهم الكيماوي .

لا اعني بهذا أن علينا أن نربط مفاهيمنا بتجارب قرون مضت دون أن ننفك عما استنتجت تلك القرون .. لا .. ولا أعني أننا نجب ان نعيش عالة على ما انتهت اليه اوربا في مصانعها الكيماوية ولكنني أعني أن بلادنا مفروشة بأنواع من الاعشاب لا تعرفها أوربا في اشكال لا يوفيها عد ولا حصر فما يمنع شبابنا من خريجي كليات الصيدلة أن يستأنفوا الشوط من حيث انتهى الاجداد ليستنتجوا دراسات جديدة ويستخلصوا من الخواص ما لم يهتد اليه غيرهم من قبل فيبتكرون من أنواع العلاج ما يثبت وجودهم ولا يعجزهم بعد هذا فيما اعتقد ان يُحللوا المواد الفعالة في اعشاب لا تنبتها قفار اوربا ليعملوا على تركيبها في معامل كيماوية بصورة نغزو بها بلادا عاشت تغزونا بمنتوجاتها فقد آن أوان الجد وحمّت الحاجات والليل مقمر .



هل نقضي على شرور العالم

« ١ »

قال صاحبي : بليت بجار لي غضوب لا يكاد يعقل ما يفعل اذا تملكه الغضب فنحن نعايشه في خطر ولا نأمن على انفسنا واولادنا اذا ثارت به ثائرة الغضب وهو مع هذا رقيق الحاشية ودود الى أبعد حدود الود اذا زايله الغضب .. الى ان قال واحلف انني لو ملكت بسطة في الرزق وتهيأ لي من يحسن علاجه لما بخلت عليه بأثمن ما املك برا بجيرته وتقديرا لوداده .

قلت : لقد سبق للعربي القديم ان قال : ـ

لكل داء دواء يستطب به   الا الحماقة اعيت من يداويها

وليس الغضب بمثل هذا المنوال الذي تصفه الا نوع من الحماقة .. فالحماقة فساد في العقل ولافساد في العقل ابرز مما تشاهد من تصرفات جارك الغضوب .

ولكن مع هذا فليس لك ان تيأس ـ اذا جادك الرزق ـ من علاج صاحبك الغضوب فقد مضى العهد الذي يئس فيه الشاعر العربي من علاج الحماقة أو الجنون وأعلن انها اعيت من يداويها .

مضي ذلك العهد ونحن اليوم نعيش في عصر الذرة وغزو الفضاء واطلاق الصواريخ .

لقد نوقشت امثال هذه الا دواء وما يدور في فلكها من معاني الغضب والاعتداء والحقد في مؤتمر باريس دعا اليه اليونسكو تحت عنوان ابحاث الدماغ.

وتداول العلماء اراءهم في الموضوع فأكد بينهم من أكد أن ثمت دورات في الدماغ تنتج لدى تحريكها سلوكا عدائيا . وقال : ان في استطاعة البحوث الجديدة ان تتحكم في هذه الدورات فتسلط تيارا كهربائيا على منطقة معينة من الدماغ عندما تنتابه انفعالات مؤثرة فيقضى التيار على بواعث الانفعال فلا تلبث حرارة الانفعال ان تهبط الى درجة تحت الصفر فيبدو الشخص وكأنه انسان عادي يتمتع باقصى درجات الهدوء ويتجاهل كل مؤثر كان يثير حنقه قبل ثوانا من ايصال التيار .

ويؤكد هذا انه بتجربة التحريك الكهربائي في دماغ حيوان ثائر شعر ان انفعالاته بدأت تتضاءل . ثم ما لبث أن تملكه هدوء غريب أشبه ما يكون بهدوء المخدر ولكن مفعوله لا يتطاول الى مفعول المخدر في الجسم لان حواس الحيوان ظلت حية على حالها ولم تتغير فيه الا عوامل الثورة التي كانت كما يؤكد تتفاعل في منطقة معينة من دماغه .

وبعد فاذا صحت نتائج هذه التجارب فهل سيظلنا يوم نقضى فيه على شرور العالم ونستل سخائم المجرمين والاثمين وموقدى نار الحروب في كل أقطار الأرض .



هل نقضي على شرور العالم ؟

« ٢ »

قلت لصاحبي : بعد أن تداولنا الحديث في شأن جاره الغضوب الذي يتمنى علاجه والذي بدأت بوادر البحوث تتناول امثال هذه الادواء وما يدور في فلكها من معاني الغضب والاعتداء والحقد في مؤتمر باريس الذي دعا اليه اليونسكو .

قلت له : ان مما دار في مداولات المؤتمر ما اكده عالم من جامعة بتزبيزغ الامريكية وهو يقول ان حساسية مركز الاعتداء تثار على ما يبدو بمواد كيماوية في الدم ولا سيما بالهرمونات وقد جرب هذا العالم اعطاء جرعات من هورمون معين لبعض الحيوانات الثائرة فهبطت حرارة الثورة نهائيا كما جرب جرعات من هورمونات اخرى في بعض الحيوانات الهادئة فما لبثت أن ثارت ثائرتها على غير ما عرف من طبائعها وهو يعني بهذا طبعا ان مجاري الدم في حيوانات بعينها مزودة بمواد كيماوية من شأنها اثارة الانفعالات لأدنى مناسبة كما أن مجاري الدم في حيوانات أخرى تفقد هذه المادة فلا تشعر بما يثيرها وتعيش حياتها هادئة مسالمة ومن شأن هذه الهرمونات ان تترك أثرها سلبيا أو ايجابيا في نفسية الحيوان . أو إن شئت فقل في نفسية الإنسان بعد أن تستنفذ التجارب مداها في حقل الحيوان .

ومال البحث في مداولات المؤتمر الى فكرة الجراحة في ازالة الطاقة العدائية من دماغ الحيوان العاتى فذكر الدكتور ولغادو من ولاية تكساس انه

استطاع اجراء عملية جراحية نزع فيها جزءا من دماغ حيوان شرس فاذا هو يصبح اليفا وديعا وان طبيبا يابانيا من جامعة طوكيو أجرى مثل هذه العملية لدماغ انسان . وان هذا الانسان يقول الآن انه ليس في استطاعته أن يغضب حتى لو اراد ان يفتعل ذلك .

ويعود الطبيب الامريكي الى مواصلة البحث فيؤكد أن بامكان العلم غدا وفي الايام القريبة أن يضبط سلوك الانسان العدائي فثمت فاعلات مضادة للعداوة تتداولها حقول التجارب سوف يصبح في الامكان ايداعها خزانات الشرب العامة في أية مدينة يراد لها أن تجنح الى السلم .

والذي استنتجه من هذا ان عالمنا الصاخب المائج بالاحقاد والعدوات والانفعالات . الغاضبة سوف يصافح عهودا جديدة يتمتع فيها بالسلم الآمن والصفاء الوادع اذا صحت هذه التجارب وكتب لها حظ في النجاح .

وليس لدى ما يريبني في نتائجها فقد بات العلم لا تعجزه اشد المعضلات بعد ان راد أعلا طبقات الجو . وغزا الافلاك في أقصى مواقعها البعيدة . وافتن آلاف المحدثات التي كان لا يتخيلها عقل بشر .

واذا كان الانسان قد عاش حياته على الارض من يوم خلقت الارض لا يتمنى شيئا بقدر ما يتمنى السعادة والأمن فيها فإن ظفره بالقضاء على الطاقة العدائية لا يعد له ظفر في كل ما ابتكر العلم من محدثات .

ما أحلى أن يشرب العالم كل العالم ماءه ممزوجا بالمفاعلات المضادة للعداوة فتلغى سائر أنواع الحروب . ويعيش الناس كل الناس آمنين في اسرابهم قابعين في أوطانهم بحدودهم .

هل نقضي على شرور العالم

« ٣ »

قال صاحبي : كنت تحدثت الي قبل اليوم عن دورات في الدماغ طبيعية تنتج لدى تحريكها سلوكا عدائيا . وقلت ان البحوث الجديدة تحاول اليوم ان تتحكم في هذه الدورات عندما تسلط تيارا كهربائيا على منطقة معينة من الدماغ فيقضى التيار على بواعث الانفعال فلا تلبث ان تهبط حراراتها الى ما تحت الصفر .

وقلت ان ثمت محاولات اخرى تستهدف علاج ادواء الشر وما يدور في فلكها من معاني الغضب والاعتداء والحقد وهي تتلخص في اعطاء جرعات من هورمون معين تقضى على بواعث الغضب والشر وهي محاولات لا انكر عظيم فوائدها لمرضانا من الحمقى والغضوبيين وأصحاب المزاج الحاد .

ولكنك قلت ان البحوث عندما اتسعت او شكت ان تنتهى الى ابتكار فاعلات مضادة للعداوة وانه سيصبح في الامكان ايداع هذه الفاعلات خزانات مياه الشرب العامة الى ان قلت ما احلى ان يشرب العالم كل العالم ماءه ممزوجا بهذه الفاعلات المضادة للعداوة لتلغى سائر أنواع الحروب . ويعيش النـاس آمنين قانعين في اوطانهم .

فهل يعنى هذا أن عمران الكون يتفق وهذا السكون الوادع الذي يقضى على الانفعالات النفسية ؟ .

قلت انك تتفلسف منذ اليوم وفي فلسفتك كثير من العمق فالواقع ان القضاء على كثير من التفاعلات النفسية قضاء على روح التنافس في الحياة .
ولست اشك ان القضاء على التنافس مجبنة تتقاعس لها الهمم وتتخلف بأسبابها مقدرات الامم التي عاشت تتسابق في مجالات التقدم .
لست انكر اننا ونحن نقضى على تفاعلات النفس ربما قضينا على كثير من طاقات العقل وتركنا نوازع الطموح الشخصي تسترخى في هدوء رتيب لتحلم باحلام الكسالى .

لست انكر هذا ولكننى انكر في الوقت نفسه ان يعيش العالم كل العالم تحت رحمة مزاج دعاة الحرب .. نتركهم لأعصابهم تتوتر في ادنى مناسبة وتحتد لأول بادرة ينفعلون فيها فيشعلونها نارا تأكل الاخضر واليابس .

ويمتد لهيبها الى البعيد والأبعد فإذا هى اتون لا حد لسعته يقاسى لظاه البرئ كما يقاسيه الجاني وتعاني مرارته الثكلى واليتيم والعاجز وتتسع مآسيه باتساع اكبر رقعة ينالها اللهب المتصاعد ويقضى على اهلها بالفاقة والتشرد والجوع .

اذا ساءك يا صاحبي ان يقضى العلاج على بواعث الشر بصورة جماعية شاملة خشية ان تقضى على روح التنافس فلا اقل من ان نبتر رؤوس الشر من دعاة الحروب بجرعات من علاجنا الجديد لنستل سخيمة العداء من نفوسهم فنخفف بذلك ويلات الحروب ونهدئ ولو بعض الاطمئنان لحياتنا في الارض عسانا نأمن بذلك ولو بعض الغوائل الفاجعة .



٥ يونيو (١)

قال صاحبي : اتريدني لأسميها نكسة أو نكبة .

قلت : لا يا صديقى .. انها في رأيي أهول من هذا وأكثر فداحة مما تؤديه هذه المعاني .

أتعرف قصة الذين يخربون بيوتهم بأيديهم ؟؟ .

انها قصتنا .. قصتنا حروفها ومعانيها وكامل ابعادها . فهل لك بعد هذا ان تسميها نكسة أو نكبة ؟ .

ام تراك تستطيع أن تبعثني الى معاجم اللغة عسانا نجد في دفائنها بين مواد الويل والهول ما يصح اطلاقه على ما أصبنا به .

ما أصابنا اليهود يوم أصابونا .. فقد كانت ايدينا على زناد القذائف التي رنحت جيوشنا وشتتت شمل ابطالنا . وأباحت العدو ديارنا وأموالنا وشردت اهلينا بين المغاور والوهاد .

لقد كان اجداد لنا يقولون اننا لا نغلب من قلة .. فماعتم احفادهم ان باتوا يغلبون من كثرة .. فهل لي أن اعرف كيف تسمى هذا ؟ .

---

(١) كتبت يوم النكسه للمناسبه

لقد عشنا ننقض بيوتنا في كل يوم لبنة . في كل يوم حجر حتى تبدت سوآتنا وخر السقف علينا وتكشفت عوراتنا من حيث لا نشعر وتركنا العدو المتربص يجد طريقه سهلا الى حصوننا .

كل هذا كان بما كسبت أيدينا فدعنا نتجرع غصتنا ونجتر آلامنا فيما نسميه نكسة أو نكبة وأسميه خطبا بالغ الهول .

ستقول لي ان الخطوب اذا تفاقم هولها ربما احدثت من ردود الفعل ما يكشف غمتها وهو رأى لا أمارى في صحته اذا استطعنا ان نجعل من هوله دروسا تقوم اعوجاجنا وتفتح عيوننا على حقائق ما نالنا .

اذا استطعنا ان نتعاون في صدق وان نخطط في اخلاص وان نناقش آراءنا في وضوح وصراحة فقد ضمنا جولتنا الاولى نحو اهدافنا .

نحن لا نشك ان عدونا رغم ما حقق من انتصار لا يعيش ناعما بما حقق فقد اقض مضاجعه ما يعاني من مرارة المقاومات وبات افراده من مدنيين الى عسكريين يئنون تحت وطأة القلق المستمر الدائم وان رجاءهم في الهجرات التي كانوا يؤملون اعمار البلاد بها خابت لفقدان الامن وما نالهم من اشاعة الفوضى في ارض يهددها المتربصون بها ويعرضون مرافقها العامة وحياتها الخاصة للتدمير والهلاك .

وفي هذا القلق وفيما يعانون من فقدان الامن سر فشلهم وركيزة اضطرابهم وفيه اذا صدقنا واخلصنا واجتمعت كلمتنا ما يدعم خطوتنا ويضمن نجاح مسيرتنا .



تُرى مَاذا يَنقمُونَ مِنّـــا (١)

قال صاحبي : لقد سايرنا ركب العروبة الى نهاية الشوط الذي استطاع الركب أن ينتهي اليه فماذا افدنا ؟

قلت : لقد حشرنا انفسنا في خلافات لا يحكمها منطق وسايرنا في تصرفات كان يستبد بها اخواننا دوننا على ضوء مصالحهم دون النظر الى مصالحنا أو احترام لمبادئنا .. كانوا يعقدون خناصرهم على فكرة فنتابعهم عليها خشية الفرقة ثم تنقضها معاملاتهم الخاصة فنتناسى ما فعلوا حرصا على ضم الصفوف .

فعلنا كل هذا وتسامحنا في اكثر من هذا على أمل توحيد الصف . فهل افدنا من كل ما فعلناه ما كنا نتوخاه لعروبتنا ام ضاعت جهودنا في غير سبيل ؟ .

لا نريد أن نذهب في تشاؤمنا رغم ما قاسيناه فلا يزال الامل يحدونا في ان تصفو النوايا وان ننسى ما قاسينا ونقاسى .

ولكن الذي نتساءل اليوم عنه في دهشة واستغراب ماذا ينقم منا اصحابنا ونحن ندعو الى تضامن اشمل وتعاون اوسع ندعو الى كلمة نادانا بها الدين وحضنا عليها واوصانا ان نسعى اليها بما نملك من ايمان .

---

(١) كتبت في مناسبة سياسية خاصة

أتكون دعوتهم الى التضامن وسيلة لجمع الشمل وتوحيد الصف لأنها صدرت عنهم ولا أكثر ولا تكون مدعاة لكل هذا لان الدين مبعثها .

لئن كان الغرض ألا يجيزوا الا ما نبع منهم أو هيمنوا عليه .. فتلك انانية لا تتفق مع شرف الدعوة التي يروجون لها .

اذا كان بيت الله ومبعث دينه واذا كانت كعبة الاسلام التي يتعين على ملايين المسلمين ان يتوجهوا اليها لا يخولونها ان تنادى بتآلف المسلمين وتآزرهم وتمسكهم بما جاء على لسان المبعوث فيها عليه صلوات الله وسلامه فأنهم بهذا يثيرون الشك فيما يدعوننا اليه رغبا ورهبا ويحملوننا على أن نرتاب في نواياهم فنحملها على ما حملها غيرناونفسرها بما فسروه بها من أنها كانت اسلوبا لمحاولة الهيمنة ووسيلة من وسائل الاحتيال للسيطرة والا فما معنى ألا يكـون التضامن صادقا الا اذا دعى اليه بأسمائهم واصطبغ بصبغتهم .

نحن لا نريد صبغة الا ما صبغنا الله ولا نريد وسيلة الا ما الزمنا بها ديننا وفرضه ايماننا فهل ينقمون منا ان آمنا بالله ؟ .

ان أخشى ما اخشاه اننا شرعنا بتناحرنا نعرض بلادنا من جديد لمشاكل كنا في أشد الغنى عن التعرض لها .. واننا بتنا منذ اليوم نعود القهقرى الى مضاجعنا القديمة قبل أن نستيقظ وأصبحنا نشرع معاولنا لنهدم كل ما بذلناه من جهد وننقض جميع ما بنيناه لحرية بلادنا واستقلالها .

شرعنا نحتك بالاقوياء من غير طينتنا ونمتحن امكانياتنا الجديدة بما لا تستطيع الثبات فيه اذا جد الجد فاذا عصفت بنا العواصف غدا واذا اجتثت ما بنيناه لحريتنا واستقلالنا وحرمتنا ما ظفرنا به بعد طول الجهد فالذنب في هذا ليس ذنب الطامعين بقدر ما هو ذنب المتناحرين من بني قومنا في سائر أقطارهم

فهل يخفف المهتاجون بعض غلوائهم ويعودون الى ضمائرهم فيحاسبونها على ما اقترفوا بعنادهم وما عرضونا له بتناحرهم أم هم سادرون فيما ارادوا من شطط حتى يسلموا بلادهم الى أسوأ العواقب واشدها خطرا على حياة الحرية والاسقلال .

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

الكتاب	المؤلف
* الجبل الذي صار سهلاً	المرحوم الأستاذ أحمد قنديل
* من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
* عهد الصبا في البادية	الأستاذ عزيز ضياء
* التنمية قضية	دكتور محمود محمد سفر
* قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	دكتور سليمان الغنام
* الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
* الدوامة (قصة طويلة)	دكتور عصام محمد علي خوقير
* غداً أنسى (قصة طويلة)	دكتورة أمل محمد شطا
* موضوعات اقتصادية معاصرة	دكتور علي بن طلال الجهني
* ازمة الطاقة إلى أين ؟	دكتور عبد العزيز حسين الصويغ
* نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
* إلى ابنتي شيرين	المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* رفات عقل	المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* شرح قصيدة البردة (دراسة وتحقيق)	دكتور محمود زيني
* عواطف انسانية (ديوان شعر)	دكتورة مريم البغدادي
* عمارة المسجد الحرام	المرحوم الأستاذ حسين باسلامة
* وقفة	دكتور عبد الله حسين باسلامة
* خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد السباعي
* طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
* عبير الذكريات (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري

* الحضارة تحدٍّ — دكتور محمود محمد سفر
* لحظة ضعف — الأستاذ فؤاد صادق مفتي
* الرجولة عماد الخلق الفاضل — المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* أفكار بلا زمن — الأستاذ عبد الله الحصين
* علم إدارة الأفراد — الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
* الإبحار في ليل الشجن [شعر] — الأستاذ محمد فهد العيسى
* التنمية وجهاً لوجه — دكتور غازي القصيبي
* قال وقلت — الأستاذ أحمد السباعي

■ تحت الطبع

* نبض.. — الأستاذ عبد الله جفري
* السعد وعد (مسرحية) — الدكتور عصام محمد علي خوقير
* عام ١٩٨٤ مجنون أورو ين [ترجمة] — الأستاذ عزيز ضياء
* الأمثال الشعبية في مدن الحجاز — الأستاذ أحمد السباعي
* ثمرات قلم — الأستاذ محمد حسين زيدان
* مكانك تحمدي — الأستاذ أحمد محمد جمال
* التاريخ العربي وبدايته — الأستاذ أمين مدني
* قصص من سومرست موم — الأستاذ عزيز ضياء
* مجلة الأحكام الشرعية — دكتور عبد الوهاب سليمان
* أيامي.. — الأستاذ أحمد السباعي
* ماما زبيدة [مجموعة قصصية] — الأستاذ عزيز ضياء
* خدعتني بحبها (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبد الله بوقس
* مدارسنا والتربية — الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
* السنيورا (قصة طويلة) — الدكتور عصام محمد علي خوقير

* الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — دكتور حسن محمد باجودة
* النفس الانسانية في القرآن — الأستاذ ابراهيم سرسيق

الكتاب الجامعي

صدر منها : ـــ

* النمو من الطفولة إلى المراهقة — دكتور محمد جميل منصور / دكتور فاروق سيد عبد السلام
* النفط العربي وصناعة تكريره — دكتور أحمد رمضان شقلية
* الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا — دكتور عبد المنعم رسلان
* الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — دكتور مدني عبد القادر علاقي
* الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق [باللغة الانجليزية] — الدكتور : فؤاد زهران / الدكتور : عدنان جمجوم / الدكتور : محمد عيد
* علاقة الآباء بالأبناء [دراسة فقهية] — دكتورة سعاد ابراهيم
* الملامح الجغرافية لدروب الحج — الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
* مبادئ القانون لرجال الأعمال في المملكة العربية السعودية — دكتور محمد ابراهيم أبو العينين

* الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
* أفكار تربوية — د. عباس إبراهيم نتو

* هندسة النظام الكوني في القرآن — دكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
* الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — دكتور لطفي بركات أحمد

رسائل جامعية

■ تحت الطبع

الأعلام ووسائله في المملكة العربية السعودية — الأستاذ حسين نجار
* العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — أميرة علي المداح
* بيان خطأ من أخطاء علي الشافعي — دكتور نايف هاشم الدعيس
* المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي — دكتور نايف هاشم الدعيس
* القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
* السيوطي ومنهجه في فقه اللغة — الأستاذ محمد يعقوب تركستاني

مطبوعات تهامة PUBLICATIONS

صدر منها : ــــ

* حارس الفندق القديم — الأستاذ صالح ابراهيم

■ تحت الطبع

* دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — دكتور محمود الشهابي
* الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الاسلام. — الأستاذ أمين ساعاتي

* خطوط وكلمات [رسوم كار يكاتور ية]	الأستاذ علي الخرجي
* القرآن ودنيا الانسان	الأستاذ صلاح البكري
* الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية	الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
* الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك	الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
* ألوان	الأستاذ أحمد الشريف الرفاعي
* التخلف الإملائي عند التلميذات	الأستاذة نوال قاضي
* وللخوف عيون	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
* سوانح وخواطر	الأستاذ أحمد طاشكندي

كتاب للأطفال

صدر منها :—

لكل حيوان قصة — للاستاذ يعقوب اسحاق

صدر منها :—

- القرد ..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الحمار الوحشى
- الجمل
- الاسد
- الذئب
- البغل

■ تحت الطبع

- ❊ الفأر ..
- ❊ الحمار الاهلى
- ❊ الفراشة
- ❊ الخروف
- ❊ الببغاء
- ❊ الوعل
- ❊ الجاموس
- ❊ الحمامة
- ❊ الفرس
- ❊ الدجاج
- ❊ البط
- ❊ الغزال